

الفُرْقَان

١٧ - ١٦



سماعة الشيخ  
الدكتور محمد الصادقي

# الفروق

في تفسير القرآن  
بالقرآن والسنة

سُورَةُ طه سُورَةُ الانبياء

دار الفوائد الإسلامية  
للطباعة والنشر والتوزيع  
بجدة - لبنان



(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّة

وآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ وَمِائَةٌ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ

هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهْشُوا عَلَيَّ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى (١٩) فَلَقَاهَا فإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)



وَأَخْلَلَ غُفْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ  
 أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ  
 كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾

ملاحم السورة ومصارحها برهان قاطع لا مرد له انها كلها مكية ، وفيها من ذكريات  
 التسلييات من تاريخ الرسالات ولا سيما الموسوية ، ما تطمئن خاطر الرسول الأقدس محمد  
 (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما تبدء به «طه» وتختتم به : ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ .. وَلَا  
 تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ .. وَامُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ .. فَلْكُلُّ مَتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ  
 الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ ١٣٥ وبينهما قصص موسى وهرون ، ثم آدم وزوجه وهما أهم  
 القصص الرسالية ومعارضيتها طول التاريخ الرسالي ، وأكثرها ذكرا في الذكر الحكيم.

ويا لها من ظل ظليل يغمر غالبية جوها ، علوي جليل تخشع له القلوب وتحار دونه  
 الألباب وتخضع النفوس : تجلي الرب بالوحي بالوادي المقدس على عبده موسى كما تجلى  
 بربوات المقدسين على «فاران» حرى! تلك المناجاة الطويلة في بزوغ وحي التورات ، والليل  
 ساكن وموسى وحيد ، وكما ناجى محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) في ساكن الليل  
 والرسول وحيد بفاران ، وبين الرسولين والوحين والكتابين تشابهات منقطعة النظير عن كل  
 بشير ونذير ، مما تربط السورة كلها بهذا البشير

النذير.

﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (٢) إِلَّا تَذَكُّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ ٣

«طه» اسم من أسماء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نداء ك «يس» «ن»<sup>(١)</sup> في القرآن أو سواه<sup>(٢)</sup> وهنا ﴿عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ دليلان اثنان على ذلك النداء ، وثانيتهما يبرهن على مدى شقائه في مرضات الله ، هيمانا في الله ، وشغفا في ذات الله ، ابتغاء مرضات الله ، اصطناعا لنفسه أكثر مما هي ، واصطناعا للمرسل إليهم أكثر مما هم ، وكما أمر بالأمرين في المزمّل ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا .. إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ فقدم الأمر من الأمرين فقام الليل طويلا طويلا حتى تورّمت قدماه فجعل يرفع رجلا

(١) ففي القرآن ما في تفسير البرهان ٣ : ٢٩ عن التوحيد للصدوق سعد بن عبد الله عن ابراهيم بن هاشم عن غثم بن عيسى عن حماد الطنافسي عن الكلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال يا كلبي كم لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من اسم في القرآن ، فقلت : اسمان أو ثلاثة فقال يا كلبي له عشرة أسماء : وما محمد الا رسول . ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد . ولما قال عبد الله . طه . يس . ن . يا ايها المدثر . يا ايها المزمّل . قد انزل الله إليكم ذكرا رسولا . قال : الذكر اسم من أسماء محمد ونحن اهل الذكر ..

أقول : وقيل انه من أسماء القرآن أو السورة أو اسم الله أو مفتاح الاسم الطاهر والهادي ، والمصدق منها اضافة الى انه من أسماء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مفتاحا لصفات من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واسما للسورة.

(٢) الدر المنثور ٤ : ٢٨٩ . اخرج ابن مردويه عن أبي الطفيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لي عشرة أسماء عند ربي قال ابو الطفيل : حفظت منها ثمانية : محمد واحمد وابو القاسم والفتاح والخاتم والمحي والمعاقب والحاشر وزعم سيف ان أبا جعفر قال : الاسمان الباقيان طه ويس ،

ويضع رجلا<sup>(١)</sup> ، وكان يربط نفسه بجبل كيلا ينام<sup>(٢)</sup> ويضع إحدى رجليه على الأخرى<sup>(٣)</sup> وقد يروى عن أخيه علي (عليه السلام): لقد قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفرَّ وجهه يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿طه ما أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ بل لتسعد<sup>(٤)</sup> ، ويؤوِّل «الليل اجمع» هنا بما يناسب آية المزمِّل كما أمر ﴿فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ حيث قلَّ قليل النوم لحد كثير حتى صح القول «يقوم الليل اجمع» فلم يكن مخالفا لأمر ربه ، بل مرجحا إمر الأمر المخير بين مربعه ، ثم «لتسعد» بفتح التاء هي سعادته نفسه بالقرآن ، بشقاء العبادة والذكر عن الخشية ، وبضمنها هي إسعاده الآخرين ، والمعنيان عليهما معنيان ، فتحلَّق ﴿لِتَشْقَى. إِلَّا تَذَكَّرَ﴾ على شئون النزول كلها.

وهي بطبيعة الحال عتاب حنون يدل على شغفه البالغ لحدّ رجع الأكثر مما عليه.

وكما يدل على الجهل البالغ في آباء الجهالات حيث نسبوه إلى الشقاء

(١) المصدر اخرج ابن مردويه عن علي (عليه السلام) قال : لما نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يا ايها المزمِّل قم الليل الا قليلا قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فهبط عليه جبريل فقال : طه . . .

(٢) المصدر اخرج ابن عساکر عن ابن عباس قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا قام من الليل يربط نفسه بجبل كيلا ينام فانزل الله عليه طه.

(٣) المصدر اخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يربط نفسه ويضع إحدى رجليه على الأخرى فنزله طه ..

(٤) نور الثقلين ٣ : ٣٦٧ في كتاب الاحتجاج للطبرسي روي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) ولقد قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

بنزول القرآن ، تركا لما هم فيه وآباءهم من الجاهلييات الساقطة ف «بل لتسعد» تفسيراً لمقابل «تشقى» ناظرة الى شأني النزول ، فلا هو شقي بنزول القرآن خلاف ما افترى عليه ، ولا عليه ان يتعب نفسه به في نفسه وفي دعوته ، فقد وضع عنه إصر مثلث الشقاء عناء ، ورسول الهدى من غير السعادة في الشقاء براء.

ففي ذلك الخطاب العتاب الحنون رد على الذين قالوا «لقد شقي هذا الرجل بربه فانزل الله طه» <sup>(١)</sup> وعَلَّه مثلث الشقاء ، وقد يروى عن طه «ان الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق السماوات والأرض بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا» <sup>(٢)</sup>.

ولأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان دائب العبودية في أصعبها ليظهر أكثر وأكثر ، وكان دائب الدعوة الصارمة حرصاً على هدايتهم ، ضائق الصدر عن رداهم ، كما ﴿لَتَشْقَىٰ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ لحة إجمالية عنهما ، وفي القرآن المفصل تفصيلهما ، فعله لذلك خوطب هنا بطه ، انه الطاهر لقمته دون شقاء في العبادة ، والهادي لقمته دون شقاء في الدعوة ، فهو الطاهر الهادي فلما ذا يشقى.

(١) الدر المنثور اخرج ابن مردويه ابن جرير عن ابن عباس وفي تفسير الرازي ٢٢ : ٣ قال مقاتل. ان أبا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي والنضر بن الحارث قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انك لتشقى حيث تركت دين آباءك فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) بل بعثت رحمة للعالمين قالوا بل أنت تشقى فانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتعريفاً لمحمد بان دين الإسلام هو السلام.

(٢) المصدر اخرج الدارمي وابن خزيمة في التوحيد والعقيلي في الضعفاء والطبراني في الأوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله ...

انه (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) الطهارة القمة فهو «ط»<sup>(١)</sup> وهو الهداية القمة فهو «ه» وذلك بعصمة إلهية بما اصطنعه ربه واصطنع هو نفسه ، فتكفيه ما فرض عليه ربه في بعدي العبودية والدعوة دون زيادة وعبء فيه شقوة ، فيا له من مكرمة ربانية شغفا بالغاي في تحقيق عِدَّة العبودية وتطبيق المسئولية في الدعوة ، لحدّ يقول له ربه قف يا ﴿طه. ما أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ وأنت أوّل العابدين وسيد المرسلين وإمام الأولين والآخرين.

أم انه «طالب الحق الهادي إليه»<sup>(٢)</sup> فكذلك الأمر ، حيث الطلب بالعبودية لاصطناع نفسه والهداية لاصطناع غيره.

وأما ان «طه» كلمة معربة عن لغة «عك» او النبطية او الحبشية او السريانية<sup>(٣)</sup> فغير وجيه ولا صحيح ، ومعناها فيها «يا رجل» فكيف يخاطب أوّل العابدين وسيد المرسلين ب «يا رجل» وهو رسول ونبي في ساير القرآن؟ ومع الغض عن ذلك الغض في مكانته فلما ذا لم يأت «يا رجل» في صيغته العربية ، انتقالا الى لغة اجنبية غير بهيمة؟! ولا أنه بمعنى «طأ» قلبا لهُمَزته هاء ، قلبا لرجله الى الأرض بعد

(١) البرهان تفسير الثعلبي في «طه» قال جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) طهارة اهل بيت محمد (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) ثم قرأ آية التطهير.

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٦٧ في كتاب معاني الاخبار باسناده الى سفيان بن سعيد الثوري عن الصادق (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه واما طه فاسم من اسماء النبي (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) ومعناه يا طالب الحق الهادي اليه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى بل لتسعد» أقول : علّ التاء هنا مفتوحة ومضمومة حملا على بعدي السعادة لنفسه والإسعاد لغيره.

(٣) وهي مروية على الترتيب عن الكلبي وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة كما في الدر المنثور.

رفعها ما رفع ، مهما وردت به رواية ، فانها مردودة الى راويها حيث تنافي القرآن البيان .  
 كلا! انه الطاهر الهادي ، او طالب الحق الهادي اليه ، كما يروى في اخرى تناسب  
 موقف القرآن لفظيا ، والخطاب معنويا ﴿ **مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾ .  
 ومن الموافقات هنا في منزلة ذلك البدر الساطع المنير أن «طه» حسب حروف الجمل  
 .١٤

وهي ليلة البدر ، أتراه بعد متخلفا عن أمر ربه في «تشقى» حتى ينهى هنا؟ كلا! فان  
 ذلك كان طبيعة الحال في عبد شكور مثله حتى تأتية الرخصة تخفيفا بعد أمره في المزمّل وبعد  
 ﴿ **إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ فَأَوْلاً ثَقِيلًا** ﴾ وكما أجاب سائله «يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر  
 لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا! <sup>(١)</sup>»  
 مما يدل على دؤوبته في صعوبة العبودية على تخفيفه منها بعد طه ، وقد عده الامام  
 السجاد (عليه السلام) في مجلس يزيد من مفاخره قائلا : انا ابن من هو ﴿ **طه ما أَنْزَلْنَا**  
**عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾ .

والشقاء منها العناء في طلب الخير تعباً فوق الميسور كما هنا ، ومنها العناء من جراء  
 الشر وهي الضلالة في الأولى والأخرى ، وساحة الرسول الأقدس براء عنها ، و ﴿ **طه ما أَنْزَلْنَا**  
**عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾ تلمح لمحة لامة بمناسبة الحكم والموضوع ان نزول القرآن كان له  
 شخصيا ورساليا منزل

---

(١) المصدر في اصول الكافي بسند عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند عائشة ليلتها فقالت يا رسول الله ... قال : وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم على أطراف أصابع رجله فانزل الله سبحانه ﴿ **طه ...** ﴾ .

الشقاء والعناء ولأنه قول ثقيل : ﴿إِنَّا سَأْلُقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ فالقول الثقيل يقتضي للمقول له العبء الثقيل ، والتعبء الثقيل ، دون ان يكتفي بالميسور القليل ، ولذلك أخذ يتكبد فيما يتعبد حتى جاء امر الجليل بالتقليل ﴿طه. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ :

اجل ، ليس القرآن مجالا للشقاء على أية حال ، حيث المحور الأصيل فيه في كافة مجالاته وجلواته يسردون عسر ، فانه ميسر للذكر لكل مدكر فضلا عن منزل وحيه ومهبط رسالته : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ فلا تتجاوز تكاليفه طاقة الإنسان أيا كان ، إذ لا يفرض إلّا ما في الطوق والسعة ، نعمة دون شقوة ونعمة.

كما اننا ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ في حمل الناس على الهدى ، فتغيظا وتضييقا حين لا يؤمنون ، واستزادة حين يؤمنون ، إذ ليس عليك هداهم ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولاتك في ضيق مما يمحرون ، فإنما الغاية القصوى منه محصورة في :

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ تذكرة للمدكر ، وتبصرة للمتبصر ، ف ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (٣٦ : ١١) والاستثناء هنا من أوصل المتصلات دونما انقطاع ، ف ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ في الأولى او الأخرى ، ولا لأمر أخرى ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ ومما يشهد لذلك الحصر ان الذكر هو من أسماء القرآن الأصيلية ، ذكرا لكافة الآيات آفاقية وانفسية جملة وتفصيلا.

وقد تتوسع «لتشقى» وما أولاها ، الى انك تشقى وتتعب في نفسك ودعوتك تذكرة لمن يخشى ، حيث تنذر به قوما لدا ، فما شقاءك وعناؤك كرسول إلّا للذكرى ، واما أنت يا رسول الهدى فقد يكفيك ما أنت دون نصب في تعبدك فإنك ﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾.

فالمعني إذا . ضمن ما يعنى . ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ هكذا «إلا» شقاء وعناء «تذكرة» بهذا القرآن ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾!

فلولا تعب المذكر في اصطناع نفسه ثم المحاولة في اصطناع غيره ، لم تكن التذكرة تلك الكافية البالغة لمن يخشى .

والخشية هي الضراعة في الجوانح كما الخشوع للجوارح ، وهي خوف يشوبه تعظيم عن علم بما يخشى منه ف ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٣٥ : ٢٨) وعلى ضوءها الخشية من الحياة الأخرى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ (٧٩ : ٤٥) : ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢١ : ٤٩).

فحين لا تكون خشية فحمل القرآن حمل وشقاء ، وإذا جاءت الخشية فحمله نعماء مهما كانت فيه من عناء ، وأنت يا أول العابدين في شغف بالغ من خشية الله ، يسهل عليك كل عناء في سبيل الله ، ولكن لا عليك أن تشقى بالقرآن فوق ما عليك .  
ولأن التذكرة ليست إلا عن غفلة ، فلتكن مادتها موجودة لمن يخشى ، وهي كذلك لمن يخشى ومن لا يخشى ، حيث الفطر مفطورة على معرفة اصول المعارف الدينية ، والعقول الصافية الضافية تتبناها في نضدها ونضجها ، استيحاء من وحي الله التي يكملها ويفصلها ، فالعقول تأخذ من الفطر بشمائلها الميمونة ، ومن الوحي بأيمانها الميمونة ، وذلك المثلث البارع ينتج دينا بارعا لا عوج فيه ولا ريب يعتريه .

وهكذا يكون القرآن تذكرة بالفعل لمن لم تحجب فطرته ، ولم تكسف عقليته ، فهو خاش للحق ، متحر عن الحق ، متربص تشريفه ليتذكر ما استغفل ، ويكتمل على غراره ما هو قاصر ، فمن يخشى وهو يسعى فالقرآن له ذكرى ، ومن لا يخشى وهو يتلهى لم يكن له ذكرى ، باقيا في غفلته ،



باغيا في غفوته وشقوته.

وترى لماذا التعبير عن عبء التعب ب «لتشقى» دون صيغته الأصلية السائغة للكتاب البيان؟ لأنه لا يعني . فقط . منعه (صلى الله عليه وآله وسلم) عن التعب البالغ في بعدي الرسولية والرسالية ، بل وجوبا عما افترى عليه : «انك لتشقى حيث تركت دين أبائك» إذا «لتشقى» بيان مجمل جميل عن هذا المثلث ، سلبا للشقاء عناء وغير عناء ، وتثبيتا لشقائه وعناءه بعض الشيء تذكرة لمن يخشى .

إذا فشقاءه (صلى الله عليه وآله وسلم) في «لتشقى» بين موجبة وسالبة ، موجبة دون الحرج تذكرة لمن يخشى ، وسالبة حدّ الحرج إذ تورمت قدماه ، وسالبة ثانية هي فرية المفترين عليه ان في نزول القرآن شقاءه إذ خرج عن دين الآباء!.

وطبعا ليست «لتتعب» لتعني ما عنته «لتشقى» من مثلث المعنى المعنى حسب شئون النزول هنا.

﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ (٤).

ذلك القرآن المنزل عليك ذكرا وتذكرة لمن يخشى ، حقا فيه الكفاية لكل تذكرة ، دونما حاجة الى نسخ او تكملة ، لأنه ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ فكما ان خلقه التكوين يعم الكون كله ، كذلك كتابه التشريع التدوين يشمل الخلق كله ﴿تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ في كل ذكرى تتطلبها الحياة الإنسانية العليا على مدار الحياة وممر الزمن.

وكما ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ سيطرة ملكية ومالكية على الكون كله ، كذلك كتابه العظيم مسيطر في ذكره على العالمين أجمعين.

وهنا في «تنزيلا» وجوه عدة وجمعها أوجه : نصبا على المفعولية ل «يخشى» حيث يخشى تنزيلا من خلق الأرض والسموات العلى».

ونصبا ، بدليا عن «القرآن» : ما أنزلنا عليك القرآن .. تنزيلا ، وثالثا على المدح والاختصاص : نخص تنزيلا ... وذلك الاختصاص هو الذي يؤهله للتذكرة العامة الدائبة ، ورابعا على الحالية للقرآن المنزل ، ومربع المحتملات محتملات تحتملها الآية لفظيا ومعنويا.

وهنا تقابل الأرض للسموات العلى يلمح انهما جنس الأرض الشامل للأرضين السبع ، كما تلمح له ثانية ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فهما - إذا - تعبيران عن الكون كله ككل كتاب التكوين ، تأشيرًا عسيرا ان القرآن هو كل كتاب التدوين.

وإشارة اخرى ، الأرض هي أراضي القلوب خاشية وغاشية ، والسموات العلى هي القرآن حيث تضم كل سماوات الوحي ، يحمله الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلا شقاء للسموات العلى ان تمطر غزيرة الوحي الهاطل على أراضي القلوب ، ثم لاشقاء للقلوب في تقبلها تلك الأمطار ، لا شقاء العناء ولا غير عناء ، مهما شقيت قلوب مقلوبة خاوية عن الهدى ، مليئة بالردى.

ثم «العلى» في مواصفة «السموات» دليل علوها على الأرض كلها حول أكنافها ، محيطتها بها ، حائطة لها ، منزلة عليها من ماءها وسائر رحمتها ، إذا فالأرض محاطة بالسموات فمدورة كما السموات ، سائرة حائرة في خضمها ، غير مائرة في حراكها حيث ﴿اللَّهُ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (٣٥ : ٤١).

فكما الأمطار تنزل على الأرض من عليا السموات مكانا ، كذلك القرآن منزل من عليا سماوات الوحي مكانة ، إذ ليس لله مكان ينزل منه

القرآن ، وانما «تنزيلا» من عليا الربوبية ، الى دنيا القلوب.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥)

«الرحمن» . رفعا ، خبرا عن «هو» المقدرة ، ام مبتداء ل «استوى» أو «الله» المؤخرة وكلها صالحة . هي من أعم الصفات الإلهية ، شاملة لكل الرحمات تكوينية وتدوينية ، فهو مستو مستول بعد ما خلق على كل ما خلق تكوينا وتشريعا ، دون تفلّت لها عنه تعالى ، ولا تلفت له تعالى عنها ، فهو المدبر لها كما هو الخالق إياها ، سبحانه وتعالى عما يشركون.

فلله عرش قبل خلق السماوات والأرض وهو على المادة الأولية الأم : «الماء» ﴿هُوَ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (١١ : ٧).

وعرش بعد خلقهما في حياتهما الدنيا ، وقد تعنيهما العرش هنا ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوَى﴾ وعرش في قيامتها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (٦٩ : ١٧) وكل

ذلك يعني استيلاءه على الخلق ، مهما اختلف الخلق في مثلث نشأته.

ثم لا عرش لله فعليا قبل خلق الخلق ، حيث السلطة تقتضي مسلطا عليه ، اللهم إلا

كامنا في محيطه العلمية وفي القدرة في معنى «خالق إذ لا مخلوق».

فالعرش على أية حال لا يعني مخلوقا هو سبحانه متكئ عليه ، مهما كان الملاء الأعلى

من العرش حيث تصدر منه أوامره تكوينيا أو تشريعا بعد الخلق.

وجملة القول في ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ انه «استولى على ما

دق وجل»<sup>(١)</sup> و «استوى من كل شيء فليس شيء أقرب اليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب استوى من كل شيء»<sup>(٢)</sup> «استوى تدبيره وعلا امره»<sup>(٣)</sup> و «من زعم ان الله من شيء فقد جعله محدثا ، ومن زعم أنه في شيء فقد زعم أنه محصور ، ومن زعم انه على شيء فقد جعله محمولا»<sup>(٤)</sup> وانما «بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستول على العرش باين من خلقه من غير ان يكون العرش حاملا له ، ولا ان يكون العرش حاويا له ، ولا أن يكون العرش ممتازا له ، ولكننا نقول هو حامل العرش وممسك العرش ونقول ما قال : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتته ونفينا ان يكون العرش او الكرسي حاويا وان يكون عز وجل محتاجا الى مكان او الى شيء مما خلق بل خلقه محتاجون اليه»<sup>(٥)</sup> فهو «المستوي على العرش بلا زوال»<sup>(٦)</sup>.

وعلى الجملة «ان للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب وضع في القرآن صفة على حدة فقوله : رب العرش العظيم . يقول : الملك العظيم ، وقوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ يقول : على الملك احتوى ،

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٧١ في احتجاج الطبرسي عن الحسن بن راشد قال سئل ابو الحسن موسى (عليه السلام) عن الآية فقال : ..

(٢) المصدر في كتاب التوحيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه سئل عن الآية فقال : ...

(٣ ، ٤) . المصدر في الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل وفيه قوله «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» يعني وكذلك (٤) فيه عنه عليه السلام.

(٥) نور الثقلين ٣ : ٣٦٧ في كتاب التوحيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل وفيه قال السائل فقوله : الرحمن على العرش استوى ، قال ابو عبد الله (عليه السلام) : ...

(٦) المصدر في كتاب التوحيد خطبة لأمر المؤمنين (عليه السلام) وفيها : ...

وهذا ملك الكيفوفية في الأشياء ، ثم العرش في الوصل منفرد عن الكرسي لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب ، وهما جميعا غيبان ، وهما في الغيب مقرونان ، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه يطلع البدع ومنه الأشياء كلها ، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والأين والمشية وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والتترك وعلم العود والبداء ، فهما في العلم بابان مقرونان ، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه أغيب من علم الكرسي فمن ذلك قال : رب العرش العظيم ، أي صفته أعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان» (١).

ثم الآية التالية بيان لذلك العرش وكما نجد له بيانا في كل آيات العرش :

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٦).

«له» فقط لا سواه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ومعهما . بطبيعة الحال .

السماوات والأرض ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.

عرفنا السماوات والأرض ، فما هو الثرى وما تحت الثرى؟ هذه الآية منقطعة النظير في ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فما هنالك آية أخرى تفسرها ، إلا ان آيات انحصار الكون في السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ، تجعل ما تحت الثرى مما تحتهما ، إما في السماوات أم في الأرض ، هذه ام سائر الأرضين المعنية من الأرض؟ فلنفتش عن الثرى وما تحتها في هذه الثلاث.

(١) المصدر عنه بإسناده الى حنان بن سدير قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن العرش والكرسي فقال :

الثرى هي التراب الندي ، او الذي إذا بلّ لم يصر طينا لازبا ، والأرض الثرىة هي الندية والليّنة بعد الجدوبة ، وأثرى المطر بلّ الثرى ، وفي الحديث «فإذا كلب يأكل الثرى من العطش» أي التراب الندي ، وثرى التراب إذا بلّه ، وارض مثرية إذا لم يجف ترابها.

إذا ف ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ هو ما تحت الترابات الندية للأرض ، وهي في الأغلبية الساحقة في باطن الأرض ، وهنا الثرى لا تشمل ما في الأرض على أكنافها حيث تشمله ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ فلتكن الثرى الترابات الباطنة لها ، وهي بطبيعة الحال ندية.

إذا ف ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ تعم كافة المواد الأرضية التي هي تحت تراباتها الندية من ثروات تحت الأرضية كالفلزات والبتروال والفحم الحجري وما الى ذلك من أثقالها الباطنة تحت تراها ، والى الواجهة الخلفية لكل أفق من الأرض ، فحينما كانت الكرة الأرضية مستوية الواجهات الأخرى ، وراء الآفاق التي كانوا يعيشونها ، ف ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ تعني . فيما تعني . خلفيات الثرى كلها من ثرواتها ، ومن الآفاق الخلفية الأرضية ورائها.

إذا فآية الثرى من آيات الكروية الأرضية ، وكما تلمح لأرضين أخرى هي ايضا ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ وتوضّحها آية الطلاق ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أرضون ست أخرى تماثل أرضنا ، وهي كلها ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ منبثة حول الكرة الأرضية في خضمّ الفضاء ، فان كل أفق من الأرض ما تحتها واجهة أخرى من الأرض ، فافرض أخرى غير هذه الأرض ، فقد تحول الأرضون الست حول هذه الأرض في مكاناتها ، كما ان ما تحت الثرى تعمها كلها.

ولماذا ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ دون «ما فوق الثرى» حين تعني سائر الأرضين؟ لأن المجهول عند الناس حين نزول القرآن والى زمن بعيد هو

﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ واما ما فوقها وهي السماء بانجمها فمعروفة للناظرين ، إذا فحق الكلام كما هو : ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.

واصدق ما يروى وأحسنها تفسيراً لما تحت الثرى ما عن رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) حين سئل «ما تحت هذه الأرض قال : خلق ، قال : فما تحتهم؟ قال : ارض ، قال : فما تحتها؟ قال : خلق ، قال : فما تحتهم؟ قال : ارض حتى انتهى الى السابعة ..»<sup>(١)</sup>.

ف «تحت هذه الأرض» تعني تحت الأفق الذي كان يعيشه السائل ، وطبعاً فيه خلق ، فان في كل أكناف الكرة الأرضية خلق كما نحن ، ثم «ما تحتهم ارض» هي الأرض الثانية ، توسعة في التحت لكل أكناف الأرض! إذا ف «تحت الثرى» تعم التحت المتصل بالأرض وهو ثرواتها ، ووراءها ، والمنفصل عنها ومنها سائر الأرضين.

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٩٠ . اخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة تبوك إذ عارضنا رجل مترحّب يعني طويلاً فدنا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخذ بخطام راحلته فقال : أنت محمد! قال : نعم . قال : اني أريد ان أسألك عن خصال لا يعلمها احد من اهل الأرض الا رجل او رجلان فقال : سل عما شئت قال يا محمد ما تحت هذه يعني الأرض قال : خلق ..... الى السابعة . قال : فما تحت السابعة؟ قال : صخرة ، قال فما تحت الصخرة؟ قال : الحوت . قال : فما تحت الحوت قال الماء قال فما تحت الماء قال الظلمة قال فما تحت الظلمة قال الهواء قال فما تحت الهواء قال الثرى قال فما تحت الثرى ففاضت عيننا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبكاء فقال : انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق ايها السائل ما المسئول بأعلم من السائل قال صدقت اشهد انك رسول الله يا محمد اما انك لو ادعيت كنت الثرى شيئاً لعلمت انك لساحر كذاب اشهد انك رسول الله ثم ولى الرجل فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ايها الناس هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال : هذا جبريل .

أقول : ونحن لا نعلم عما تحت الأرض السابعة مما روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً.

وقد تعني ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ كل ما نجعله من خلق الله ، فتحت ثرى الأرض منها وهو ثرواتها وخلفها المتصل بها ، ثم تحتها من سائر الأرضين الست ، هذه الثلاث هي من عامة ما كنا نجعلها ، وقد عرفنا شطرا منها بعد أمة من الزمن! ثم يبقى علينا الأرضون الأخرى ولما نكشف النقاب عنها ، وقد صرح بها آية الطلاق كما لحت لها آية الثرى ، هذا!.

وأما ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ككل ما هنا لك ف «هيهات هيهات عند ذلك ضل علم العلماء»<sup>(١)</sup> «عند ذلك انقضى علم العلماء»<sup>(٢)</sup> «وما يعلم تحت الثرى إلا الله»<sup>(٣)</sup> مهما كان الرسول (ص)

(١) المصدر عن ابان بن تغلب قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الأرض على أي شيء هي قال : على الحوت قلت فالحوت على أي شيء هو؟ قال : على الماء قلت فالماء على أي شيء هو قال : على الصخرة قلت فعلى أي شيء الصخرة ، قال : على قرن ثور الملس ، قلت : فعلى أي شيء الثور؟ قال : على الثرى قلت فعلى أي شيء الثرى قال : هيهات ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٧٢ في تفسير القمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) سئل عن الأرض على أي شيء هي؟ قال : على الحوت ، قيل له : فالحوت على أي شيء هو؟ قال : على الماء ، فقيل له : الماء على أي شيء هو؟ قال : على الثرى ، قيل له : فالثرى على أي شيء هو قال : عند ذلك انقضى علم العلماء.

(٣) المصدر في علل الشرايع عن علي (عليه السلام) قال ليهودي وقد سأله عن مسائل : اما قرار هذه الأرض لا يكون الأعلى عاتق ملك وقدم الملك على الصخرة والصخرة على قرن الثور والثور قوائمه على ظهر الحوت والحوت في اليم الأسفل واليم على الظلمة والظلمة على العقيم والعقيم على الثرى وما يعلم تحت الثرى إلا الله ....

(٤) المصدر في اصول الكافي باسناده الى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يذكر فيه الأئمة (عليهم السلام) وفيه : جعلهم الله ... ومثله في بصائر الدرجات بسند عن محمد الجعفي قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ... وفي الكافي عن سعيد الأعرج عنه (عليه السلام) مثله.



والأئمة «جعلهم الله؟؟؟؟ الأرض ان تميد بهم والحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت  
الثرى»<sup>(٤)</sup> والحجة البالغة على شيء عارف . بطبيعة الحال . ذلك الشيء ، فضلال علم  
العلماء وانقضائه عند ﴿مَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ يعني غير الحجة البالغة ، واختصاص علمه بالله هو  
حق العلم بما تحت الثرى كما الثرى وما فوقها.

ومن تحت الثرى سكنة سائر الأرضين ، والأنجم العامرة التي فيها مدن كمثل التي في  
الأرض<sup>(١)</sup>.

والأحاديث الواردة في ترتيب الثرى بما قبلها مجهولة المعنى إلا في تجهيل من سوى الله  
لما تحت الثرى.

ولنا ان نفتش عما تحت الثرى ، كما حصلنا لحد الآن على مواضيع منها ، وبقيت  
اخرى لما نصل إليها ، منها ما علّنا نصل إليها على ركب العلم روحيا وزمنيا مهما ضل عنها  
الأولون ، ومنها ما لن نصل إليها كما يشير إليها أئمة الهدى «عند ذلك ضل وانقضى علم  
العلماء ، وما يعلم تحت الثرى إلا الله».

وبعبارة اخرى وصيغة أخرى ، إن العلم الحق وحق العلم بكل ذلك ، كما حقّ القدرة  
والقدرة الحقة ، ان ذلك كله مخصوص بالله تعالى ، كما تلمح له «له ..» حيث يدل تقديم  
الظرف على الحصر ، ونحن لا نعلم . فيما نعلم منها . إلا ظاهرا ضئيلا ، وجانبا قليلا ﴿وَمَا  
أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾!

﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ٧

(١) في البحار عن الامام امير المؤمنين (عليه السلام) قوله : ان لهذه النجوم التي في السماء مدائن كمثل التي في  
الأرض مربوطة بعمودين من نور طولها في السماء اثني عشر عاما.

﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ﴾ أيًا كان ، مع ربك كما في صلاتك وسائر دعائك ، ام مع غيره او نفسك ، ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ فضلا عن الجهر.

فلما ذا ﴿تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ﴾ مع ربك؟ لأنه لا يعلم السر؟ ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾! أم لأنك تلتذ بسماع صوت الدعاء الى الله منك أو سواك ، فلا عليك إذا أن تجهر بالقول ، ام لأنك تعني بجهرك أن تسمع الآخرين تشجيعا على الدعاء ام تعليما؟ فكذلك الأمر ، ام لأنك ترائي في جهرك ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ مهما لا يعلم من نيتك السريرة غير الله : ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٦٧ : ١٣) سرا وأخفى ، ولكن ادب الدعاء يقتضي دون الجهر العال : ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا وَاتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٧ : ١١٠) ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٧ : ٢٠٥) ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ (٢١ : ١١٠).

ولقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجهر . أحيانا . في الدعاء تعليما ، وهو محبور دون الجهر العال إلا إذا اقتضت الحال : ف «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى : لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله ولا نعبد الا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» (١).

(١) تفسير روح المعاني للالوسي ١٦ : ١٦٣ قد صح ما يزيد على عشرين حديثا في انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيرا ما كان يجهر بالذكر وصح عن أبي الزبير انه سمع عبد الله بن الزبير يقول : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله) ....

هذا ولكنه دون المرتفع العال وكما قال (ص) لمن ارتفعت أصواتهم «يا ايها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انه معكم سميع قريب»<sup>(١)</sup>.  
اجل ولكل قال مجال ، ولكل حال قال يقتضيه المجال ، فلا جهر لإسماع ربنا المتعال ، ولا فوق العال على أية حال ، فلا مرجح لجهر القول في الدعاء في ذاته بل هو مرجوح غير ممنوح ، اللهم إلا لتعليم او تذكير ، ام سنّ سنة الدعاء ، ام حظوة من سماعها تزيد في عمقها.

ثم ذلك هو السرّ فما هو الأخفى؟ «السر ما أكننته في نفسك ، وأخفى ما خطر ببالك ثم أنسيته»<sup>(٢)</sup> ثم وأخفى من ذلك الأخفى ما لم تنوه ، او لم تعلمه ثم تنويه ، أو لم تعلمه فتفعله ام لا تفعله<sup>(٣)</sup> والأخفى المطلقة في الآية تعمهما وما لن ينوه او يعلمه أو يفعله ابدا ، مثلث من الأخفى تقابل السر ، والكل مقابل الجهر ، وهذه الخمس في علم الله سواء: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٣ : ١٠) مهما كان لا سواء بالنسبة لنا علما وحظوة في الدعاء الجاهرة في رنينها وطنينها وحنينها.

---

(١) المصدر عن الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعري قال : كنا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكنا إذا أشرطنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ....  
(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٧٣ بسند متصل عن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ قال : ....

(٣) الدر المنثور ٤ : ٢٩٠ . اخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس في الآية قال : السر ما اسره ابن آدم في نفسه وأخفى ما خفى عن ابن آدم مما هو فاعله قبل ان يعلمه فانه يعلم ذلك كله فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة.

وقد يعني «السر» ما هو سر عنك كما عن غيرك حيث أنسيته ، ثم «أخفى» ما لم تعلمه بعد ، وما لن تعلمه ، حيث السرّ هو الكائن السرير ، فالأخفى هو غير الكائن الذي بالإمكان كونه بعد ام لا ، وعوان بين السرّ والجهر هو النجوى ، فانه جهر لمن تناجيه وسر عن سواه ، وهي هنا مشمولة للسرّ ، وان كان مع النجوى كالظرف والمجرور إذ اجتماعا افترقا وإذا افترقا اجتماعا : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ (٤٣ : ٨٠) ﴿أَمْ يَكَلِّمُونَ اللَّهَ بِغُيُوبٍ﴾ (٩ : ٧٨).

فلأن الآية في مقام عرض العلم المحيط ، لم تكن الأخفى لتختص بما سوف تعلمه او تويه او تفعله ، بل وما لن تعلمه من الحقائق الكائنة في الكون ، بل وغير الكائنة كوّنت بعد أم لم تكون ، كما السر لا يختص بغير النجوى ، إذا فالسرّ هو دون الجهر من القول من نجوى يسمعها صاحبها ، ومن إخفات تسمعه في نفسك وقد يسمعه غيرك ، ام إخفات لا تسمعه في نفسك وانما تعلمه وهو النية السريّة.

ومثلث العلم لله : جهرا وسرا وأخفى ، هي المواطن الثمانية ، ١ . جهرا ، ٢ . دون الجهر نجوى ، ٣ . إخفاتا قد يسمعه غيرك ، ٤ . إخفاتا لا يسمعه غيرك وتسمعه في نفسك ، ٥ . أم لا تسمعه ، ٦ . وسرا عن نفسك ما كنت تعلمه ثم أنسيته ، ٧ . أم لم تكن تعلمه وبالإمكان ان تعلمه ، ٨ . ام ليس بالإمكان ان تعلمه.

فهذه الآية تتكفل عرضا موجزا عن عرش العلم في مواطنه الثمانية كما آية الثرى عرضت عرش الملكية المالكية المطلقة ، فهما إذا تفسيران لعرش الرحمن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ومن ثم الأسماء الحسنی لذي العرش الواحد القهار ، عرضا لوحدة

## الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ٨ «الله» قد يكون تعريف التصريح باسم الجلالة بعد المواصفات السابقة السابقة ، من ﴿مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ .. الرَّحْمَنُ .. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ .. فَإِنَّهُ يَعْلَمُ﴾ فذلك المربع الصفات هو «الله...» خبرا عن «هو» المحذوفة ، وكما انه مبتدأ خبريه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ والجمع اجمع وأوفر ، رابطا بما قدم وأخر ، مهما كانت هنا لك احتمالات آخر (١).

في سائر القرآن آيات اربع تتحدث عن اسماء الله الحسنى (٢) هذه منها ، وقد تحدثنا عنها في حشرها (٣) ونزيد هنا ان اسماء الحسنى لا تختص بالصفات ذاتية وفعلية ، بل والرعيلى الأعلى من عباده المخلصين هم من أسمائه الحسنى ، نتيجة الصفات الفعلية العليا ، فإنهم يدلون على الله ويوجهون الى الله بما يحملون من رسالات الله وحيا أو إلهاما.

وفيما أمرنا ان ندعوه بها ونذر ما وراءها : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (٧ : ١٨) نعم الدعوة الدعاء الخالصة ، فهي بالأسماء الأولى ، كل دعاء باسم يناسبها ، وبواسطة المقربين ، سواء في دعاء الاستغفار وسواه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٤ : ٦٤).

(١) كأن يقال «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» هما وصفان و «الله» خبرا ل «هو» أما ذا القرآن حمال ذو وجه فاحملوه على احسن الوجوه.

(٢) وكذلك الآيات ٧ : ١٣٧ و ١٧ : ١١٠ و ٥٩ : ٢٤ .

(٣) في الفرقان ٢٨ : ٢٦٥ . ٢٦٦ .

أم في دعاء المعرفة والعبودية فهي برجالات الرسالات حيث يعرّفونه كما عرّف لهم نفسه ، ويبيّنون طرق عبوديته ومسالك طاعته كما بيّن لهم.

فدعاء الله بغير الأسماء الحسنى . سواء الأولى أو الأخرى . قبيحة ملحدة نذرنا وراءنا ظهريا ف ﴿أَيَّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (١٧ : ١١٠).

وأحسن الأسماء الحسنى هو «هو» وهو «الله» اسمان للذات المقدسة ، وهما مذكوران في كلمة التوحيد التي هي احسن الكلمات ، وهي ضمان الجنة كما يروى عن رسول الهدى (صلّى الله عليه وآله وسلم): «ما زلت اشفع الى ربي ويشفعني واشفع اليه ويشفعني حتى قلت يا رب شفّعي فيمن قال : لا إله إلا الله . قال . : يا محمد! هذه ليست لك ولا لأحد وعزتي وجلالي لا ادع أحدا في النار قال : لا اله الا الله» (١).

اجل وهي الشجرة الطيبة الطوبى ، والكلم الطيب ، والحق المتواصى به ، والواحدة الموعوظ بها ، والوقفه المسئول عنها ، والقول الثابت في الأولى والأخرى.

وقد قال موسى : يا رب علمني شيئا أذكرك به ، قال : قل لا اله الا الله . قال : كل عبادك يقولون : لا اله الا الله! فقال : قل لا اله الا الله! قال : انما أردت شيئا تخصني به! قال يا موسى : لو ان السماوات السبع ومن فيهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن : لا إله الا الله (٢).

وهي بطبيعة الحال ليست فقط قالة القال فانها قال ، بل هي قالة

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٢ : ١٠ عن انس بن مالك قال قال عليه السلام : ...

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٢ : ١١ ان موسى بن عمران قال : ...

حاكية عن الحال على أية حال وهي درجات.

وترى من قالها بقلبه ولما تظهر على لسانه دونما ضنّة ولا استكبار ، هل هو من أهلها؟ اجل! وانها اجلّ من قالها باللسان لأنها حكاية عما في الجنان ، وهو محطة الإيمان ، فلو عكس الأمر ، قالوا باللسان دون الجنان فلا إيمان ، مهما قبلت كظاهر الإسلام! هذا . ولكن الذي يعتقدها ثم لا يبرزها بلسانه ، كيف يعرف إيمانه في كتلة الإيمان؟ وحتى إذا عرف فما باله لا يبرزها باللسان وهو شعار الإيمان وشعور بالإيمان! <sup>(١)</sup> اللهم **﴿إِلَّا مَنْ أْكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾** (١٦ : ١٠٦) وطبعاً فيما إن كانت البقية على نفسه أنف من ظاهرة الإيمان.

ثم بعد اسمي الذات ، الأسماء الثلاثة لصفات الذات : الحي العليم القدير ، ومن ثم سائر التسعة والتسعين هي أسماء صفات الفعل ، وكلها حسنى . فاختلاق اسماء الله في أيّ من هذا المثلث إلحاد في أسمائه ، كما اختلاق رسالة ليست من الله إلحاد في أسمائه.

**﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ٩ إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾** ١٠ **﴿وَهَلْ أَتَاكَ؟﴾** ومتى أتاه ومن أين وهو أمي «وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان» (٤٢ : ٥٣) إلا ان يأتيه بالوحي ، وقد ذكرت القصة في القصص بتفصيل أكثر مما هنا ، وهي بطبيعة الحال مؤخرة عن «طه»

(١) تفسير الرازي ٢٢ : ١٠ . ان عمر قال قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): من قام في السوق فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير «كتب له الله الف الف حسنة ومحاه عنه الف الف سيئة وبنى له بيتا في الجنة.

والأفقد أفاده آءءء موءسى ان كانت مقدمة علفها ، مهما كان فى النقلفن فوارق تكمل كل الأءرى ، والاسءفهام هنا لءقرفر العءاب عن آءءء موءسى واولى به ثم اولى .

فالقصف تصص الذى آصل لموءسى قبل قصءه هنا ، وهذا بءاءفة الوءى الرسالى لموءسى بعء وءى النبأ من ذى قبل : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٨ : ١٤) .

﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٨ : ٢٩) ..

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ مكثا فسفر ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ والافناس هنا مما فلمآ أنه كان فى برء قارص كما فءل علفه ﴿لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ كما فلمآ انه ضل الطرف وكان اللفل مظلما ﴿أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدى﴾<sup>(١)</sup> وكما فقال انه فى رجوعه من مءفن ضل الطرف فى لفة ظلماء وبرء قرصاء ، ورف عاصفة وغم له مءرفة وطلق الزوجة ، فراف ناراف فقال لأهله امكثوا ، كأفهم كانوا ناظرفن فرجة إلهفة وهف الآن على مشارفها! .

وقء نفءف من ﴿أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدى﴾ الى ففرسه من هءة النار هءف رسالفة بعء ضلاله فى سنفه العشر ، كما ﴿لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ قء فءفر بهذه الفروسفة . وطبفة الحال فى هءة الفرة الطائلة عشر سنفن فقتضى ان فءفر فى

(١) نور النقلفن ٣ : ٣٧٣ عن ففسفر القمف فى روافة أبف الجاروء عن أبف آعفر (علفه السلام) فى قوله : آفكم منها بقبس «فقول : آفكم بقبس من النار فصطلون من البرء او أآء على النار هءف . كان قء اءطأ الطرف . فقول : او أآء على النار طرفا .



رجعته هذه من النار نورا ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾. ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ وعلى هامشه القبس الجدوة لعلكم تصطلون ، ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ لعلكم تهتدون.

هنا موسى . وهو بمنصرفه من مدين الى مصر ومعه اهله . يأنس من جانب الطور نارا ، وذلك . بطبيعة الحال . استئناس شخصي لموسى دون اهله ، وإلا فلما ذا ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ دون اهله؟ ولو كانت اهله ترى ما يرى فلما ذا «قال ﴿لَأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ دون «ألا تستأنسوا نارا» وقد أكد شخصية الرؤية ب «إني» ثم ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ﴾ دون «تعالوا معي الى النار» مما يؤكد ان رؤية النار وأنسها كانت له دونهم ، فقد يطمئن انه تفرس من النار نورا ، فان كانت نارا ف ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾. ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ وان كانت نورا ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ دون «نجد» إذا فهي في الأصل هدى شخصية ، مهما كانت على هامشها هدى الطريق لأهله ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾.

وترى أكانت معه زوجته فقط لمكان «اهله»؟ اهله هنا هم جماعة ، منهم زوجته لمكان «امكثوا . تصطلون»! وقد تركهم بعد هذه القالة المرددة ثم لا خبر عنهم حتى نهاية الرسالة.

وان قصص موسى هي أكثر القصص المقصودة في الذكر الحكيم ، محلقة على الحياة الولادية والرسالية الموسوية في بنودها الأصلية ، التي تمت بصلة في الدعوة الرسالية وما تبناها او تبنته من موادها.

وهي تعرض بمختلف المسارح المناسبة في سور عدة كما تناسب جوّ السورة ، وهنا في «طه» يسبقها مطلع يشفّ عن رحمته تعالى ورعايته لمن يصطفاهم لحمل أعباء الرسالة ، وبلاغ الدعوة ، طمئنة وذكرى لخاطر الرسول الأقدس (ص) القريح الجريح من أذى المشركين ولظاهم وكما هي

الحال في ذكريات سائر الرسالات ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (١١ : ١٢٠).

وكما هي في سائر مجالاتها وحلقاتها ، إذا فلا تكرر في جلواتها ، إلا تكررًا لمجالاتها المناسبة لها ، كلّ على قدر.

وترى كيف «را نارا» وهي في الحق كان نورا تشبه النار؟ انها في رؤيته البدائية ومن بعد كانت نارا! ولأنه لم يتأكد كونها نارا قال ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ دون «رأيت نارا» ثم «لعلي» مرددة بين ﴿آتَيْكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ تؤكد انه لم يتأكد كونها نارا ، مهما احتملت «لعلي» عدم التأكد من احد الأمرين إذا كانت نارا ، وهي قائمة مقام إن شاء الله!.

والنيران خمس : نار لها نور بلا حرقه وهي نار موسى ، ونار محرقه بلا نور وهي نار جهنم ، ونار تجمعهما وهي المعروفة لدينا ، ونار لا حرقه فيها بالفعل ولا نور وهي نار الشجر الأخضر فمنه توقدون ، ونار كلّ مادة تظهر في التفجرات الذرية.

و ﴿حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا﴾ هو ما حدث له بالفعل لأول مرة في بزوغ الوحي الرسالي ، ولماذا ﴿أَجْدٌ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ دون ﴿مِنَ النَّارِ﴾ لأن قضية الحال في النار الموقدة في الصحراء أن عندها أهلا عليها فهم يهدوننا الطريق ، ام إن على النار نفسها هدى وكما اهتدى بما أوحى له منها.

ثم «قبس» كما هنا ، و «جذوة» كما في القصص هما بمعنى ، وهو قطعة منها تتجزى ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ وتستوقدون فتعملون بها لأنفسكم نارا بها تكتفون <sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٩٠ . اخرج احمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي .

## ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ

. حاتم عن وهب ابن منبه قال : لما رأى موسى النار انطلق يسيرا حتى وقف منها قريبا فإذا هو بنار عظيمة تغور من ورق شجرة خضراء شديدة الخضر يقال لها العليق لا تزداد النار فيما يرى الا عظما وتضرما ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق إلا خضرة وحسنا فوقف ينظر لا يدري ما يصنع الا انه قد ظن انها شجرة تحترق وأوقد إليها موقد فناولها فاحترقت وانه انما يمنع النار شدة خضرتها وكثرة مائها وكثافة ورقها وعظم جذعها فوضع أمرها على هذا فوقف وهو يطعم ان يسقط منها شيء فيقتبسه فلما طال عليه ذلك اهدى إليها بضغث في يده وهو يريد ان يقتبس من لبها فلما فعل ذلك موسى مالت نحوه كأنها تريد فاستأخر عنها وهاب ثم عاد فطاف بها ولم تزل تطعمه ويطعم بها ثم لم يكن شيء باوشك من خمودها فاشتد عند ذلك عجبه وفكر موسى في أمرها فقال هي نار ممتنعة لا يقتبس منها ولكنها تنضرم في جوف شجرة فلا تحرقها ثم خمودها على قدر عظمتها في أوشك من طرفه عين فلما رأى موسى ذلك قال ان لهذه شأنًا ثم وضع أمرها على انها مأمورة او مصنوعة لا يدري من أمرها ولا بما أمرت ولا من صنعها ولا لم صنعت فوقف متحيرا لا يدري أيرجع ام يقيم فبينما هو على ذلك إذ رمى بطرفه نحو فرعها فإذا هو أشد مما كان خضرة ساطعة في السماء ينظر إليها يغشى الظلام ثم لم تزل الخضرة تنورا تصفر وتبيض حتى صارت نورا ساطعا عمودا بين السماء والأرض عليه مثل شعاع الشمس تكلّ دونه الأبصار كلما نظر اليه يكاد يخطف بصره فعند ذلك اشتد خوفه وحزنه فرد يده على عينيه ولصق بالأرض وسمع الحنين والوجس الا انه سمع حينئذ شيئًا لم يسمع السامعون بمثله عظما فلما بلغ موسى الكرب واشتد عليه الهول نودي من الشجرة فقل يا موسى فأجاب سريعا وما يدري من دعاه وما كان سرعة اجابته الا استثناسا بالانس فقال لبيك مرارا اني لا سمع صوتك وأحس حسك ولا ارى مكانك فأين أنت! قال : أنا فوقك ومعك وخلفك واقرب إليك من نفسك فلما سمع هذا موسى علم انه لا ينبغي هذا الا لربه فأيقن به فقال : كذلك أنت يا الهي فكلامك أسمع ام رسولك ، قال : بل انا الذي أكلمك ، فادن مني فجمع موسى يديه في العصا ثم تحامل حتى استقل قائما فرددت فرائضه حتى اختلفت واضطربت رجلاه وانقطع لسانه وانكسر قلبه ولم يبق منه عظم يحمل آخر فهو بمنزلة الميت الا ان روح الحياة تجري فيه ثم زحف على ذلك وهو مرعوب حتى وقف قريبا من الشجرة التي نودي منها فقال له الرب تبارك وتعالى : ما تلك بيمينك ...

## المُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾.

وأخيرا أتاه ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ آمن النار ام من الشجرة الطالعة منه النار ، تقص لنا القصص انها من الشجرة المنورة المباركة : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٠) وطبعا من النور المتطلعة عليها ﴿إِذْ رَأَى نَاراً ..﴾.

أو كان هناك في الشجرة ام نارها النور تجل من الله ، حتى نودي موسى منها ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾؟ حتى يهرف هارف ويخرف خارف ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ قائلا :

روا باشد «انا الحق» از درختي چرا نبود روا از نيكبختي! :  
إذا جاز لشجرة ان تقول : اني انا الله ، فلما ذا لم يجز من سعيد مثلي : منصور  
الحلاج . ام با يزيد البسطامي . أن أقول : انا الله ، حيث تجلى في الله كما في الشجرة .  
نص الآية «نودي يا موسى . من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة . :  
اني انا الله» فالشجرة . إذا . هي . فقط . مذياع النداء من نورها ، وليس يلزمه ان يكون المذيع بذاته فيها ، وكما الملائكة يحملون ندا آت الله ولا يحملون ذات الله ، فالنداء . كما الشجرة والنار النور . هي من فعل الله ، ومهما كان لنداء الله سميت وصوت ، فليس لذات الله سبحانه سميت ولا صوت ، وانما خلق منه كسائر خلقه ، من دون لسان ولا شفاه ولا أي عضو ، فانما صوت مخلوق في الشجرة ، كما يخلق في الألسنة ، والفارق هو خرق المتعود من الصوت النداء ، وكما ان اصل الوحي خرق لعادة التعليم ، فذلك النداء خارقة في خارقة ، بارقة في بارقة نور النار في الشجرة المباركة الميمونة.

لقد كانت هذه النداء الربانية من نور من هذه الشجرة من جانب الطور الأيمن ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكَلِينَ﴾ (٢٣ : ٢٠) وهي الزيتون ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (١٩ : ٥٢) ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ (٢٨ : ٤٦) ﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ (٥٢ : ١) ﴿وَطُورٍ سِينِينَ﴾ (٩٥ : ٢).

آيات بينات تتجاوب مع بعض في مذياع النداء لموسى انه النور الساطع من الشجرة الزيتون في البقعة المباركة من شاطئ الواد الأيمن ، دون ان يكون المذيع ماكنها فيها ، ام متجليا لها ، اللهم إلا بأنوار وحيه في صوغ كلامه لسوق وحيه الى موساه ، ولذلك يقول هنا ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ وهي هنا ربوبية الوحي ، وهناك ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ حيث الوحي موجّه الى العالمين «ربك» وحيًا إليك و ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فانه بلاغ منك الى العالمين!

فلقد كان يرجو نارا فأوتى نورا ف «كن لما لا ترجو أرجي منك لما ترجو فان موسى (عليه السلام) ذهب يقتبس نارا فانصرف إليهم وهو رسول نبي فأصلح الله تبارك وتعالى أمر عبده ونبيه موسى في ليلة وكذلك الله تعالى يفعل بالقائم الثاني عشر من الأئمة يصلح الله امره في ليلة كما أصلح الله امر موسى ويخرجه من الحيرة والغيبية الى نور الفرج والظهور»<sup>(١)</sup>. وقد عبر عن مجيء وحيه بحيثته تعالى لأنه إتيان ربوبيته وحيًا الى رسله وكما في الأصل العبراني في التورات تبشيرا بمهابط الوحي الثلاثة :

(١) بحار الأنوار ١٣ : ٤٤ عن أبي عبد الله (عليه السلام).

«وزئت هبر أخاه أشر برخ موشه إيش ها إلهيم إيت بني إسرائيل لفني موتوا ويومر يهواه مسيني باو. زارج مسعير لاموا هو فيع مهر فاران وآتاه مربيت قدش مي مينوا إيش دات لاموا». (سفر التثنية ٣٣ : ١ - ٢).

«وهذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته ١ وقال : الله من سيناء جاء. تجلى من ساعير ، تلعلع من جبل فاران ، وورد مع آلاف المقدسين ، من يمينه ظهرت الشريعة النارية»<sup>(١)</sup>.

وقد جاء مثلها في دعاء السمات «ومجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران ، وبطلعتك في ساعير ، وظهورك في جبل فاران بربوات المقدسين وجنود الملائكة الصافين وخشوع الملائكة المسبحين».

وعلى أية حال فلا تجلّي هناك للذات ولن يكون ، وإنما جلوات من ربوبية الوحي على موسى كما على المسيح ومحمد (عليهما السلام) وسائر المرسلين مهما اختلفت الدرجات والكيفيات.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ وفي خلدّه أن يقتبس منها قبسا لعلهم يصطلون أو يجد على النار هدى ، فإذا فاجئته هذه الجيئة بنداء من الرب ، وطبعاً هو عرف أنّها نداءه دون ريب ، فإن ذلك هو طبيعة الحال في الوحي وإن لم تسبق له سابقة ، فالذي يوحى إلى عبده ، يوحى له معه أنه وحيه ، فانه لازم استقرار الوحي في مستقره ، دون أية ريبة فيه ، ولا شبهة تعتريه.

(١) راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) ص ٤٤ - ٥٣ تجد تفصيل البيان حول هذه البشارة الموسوية ومن حقوق النبي (عليه السلام).

لا فحسب رجالات الوحي يعرفون نداء الوحي ، بل الإلهامات الإلهية . كذلك .  
 معروفة لدى أهلها قضية تقوى الله ، والتوسم الحاصل منها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا  
 اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٨ : ٢٩) وكلما كانت التقوى أقوى فالفرقان على ضوئها أقوى ،  
 حتى إذا كانت عاصمة معصومة ، ففرقانها أيضا عاصم معصوم ، لا يخالجه شك ولا ريبة .  
 وقد يروى انه «لما نودي يا موسى قال (عليه السلام) من المتكلم؟ فقال : انا ربك .  
 فوسوس اليه إبليس اللعين لعلك تسمع كلام شيطان! فقال (عليه السلام) : انا عرفت انه  
 كلام الله تعالى باني أسمع من جميع الجهات بجميع الأعضاء!».  
 ومهما يكن من شيء فلا ريب انه عرف كونه كلام الرب وحيا ومن سائر الجهات ،  
 إذ كان الكلام دون جهة من النور خارق العادات ، سمعه بكل كيانه سمع الأذن والقلب ،  
 وسمع الفؤاد المتفقد بنور المعرفة القمة ، فأصبح هو ب كله سمعا وسماعا .  
 وقد تنادي «نودي» مجهولا ، دون «ناديته» أن لم تكن نور الشجرة مجلى لذات الرب  
 سبحانه ، وانما خلق فيها صوت النداء دون جهة خاصة .  
 وعلى أية حال كان ذلك وحيا دون وسيط ملك الوحي ، مهما كان بوسيط كلام من  
 لسان النور الساطع من الشجرة ، حجابان اثنان ، حيث الوحي درجات عدة كما يقول الله  
 تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ  
 بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (٤٢ : ٥١).

فقرن «وحيا» ب ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ قرينة انه يعني وحيا بلا أي  
 حجاب ، اللهم إلا حجاب الذات القدسية الألوهية ، وقد حصل

ذلك الوحي . فقط . للرسول الأقدس محمد (ص) ليلة المعراج ، ام ليلة القدر حيث انزل عليه القرآن المحكم ، دون اي وسيط ، لا ملك الوحي ، ولا كلام ولا نور ولا نار ولا شجرة أمّا هيه من وسائل وحجب ، وانما من الرب الى قلبه القدسي الرسالي القمة : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ وهو في مقام «او أدنى» وهو لما تدلّى ، خالعا نعل نفسه وحجاب ذاته بعد سائر الحجب ، فلم يكن حينئذ بينه وبين الله أحد حتى نفسه! (١).

وقد لا يكون سائر الوحي الى سائر رجالات الوحي وحيا أمام ذلك الوحي وكما في الشورى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ...﴾ (١٣).

كما وان صاحب ذلك الوحي القمة كأنه هو الرسول النبي لا سواه ، بما طواه وحواه ، وهو لامح من آيات عدة تخاطبه كأنه هو الرسول لا سواه.

واما متن النداء الأولى لموسى . وما أمتنها وأمكنها في قلبه بما طواه وحوى . فهو : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ اني المكلّم إياك «انا» لا سواي «ربك» بربوبية رحيمية خاصة ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾.

وفي مفاجأة هذه الجيئة ، بهذه المشاهدة المنيعه ، لقد كان القلب يحف والكيان يرتجف ، موسى الفريد في صمت محيّم ، بليل دامس ، ويرد قارص وهو كارث ، واهل بلا حارس ، فإذا بنداء لم تسبق لها نظير ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ..﴾!

(١) راجع الفرقان تفسير سورة النجم حول آيات المعراج.



فأين هذه الذرة الصغيرة الهزيلة التي تتلاعب بها الرياح ، وواجهة الجلال الذي لا تدركه الأبصار ، وتحار دون معرفته الأفكار ، وتتضاءل في ظله الظليل كل حقير وجليل ، اين هي كما هيه وتلقي ذلك النداء العال من الرب المتعال ، لولا اختياره؟!.

وانها لحظة ترتفع فيها البشرية ، فبحسبها ان يليق في جزء من أجزائها ان تتصل هكذا بالمال الأعلى ، وأفضل منه وأعلى ، أن يخاطبها الله بتلك النداء!.

﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ فأنت الآن يا موسى بقرب من الحضرة العلوية ، فتجرد عن نعليك ، ولا تطأ الوادي بمهما وهو مجلى الطلعة المقدسة الربانية!.

أترى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ ل ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾؟ وقد كان يعلم موسى أنه هو ربه ولم يكن خالغ نعليه ، وليس الذي حدث الآن معرفة له جديدة انه هو ربه حتى يخلع نعليه ل ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾!

ثم وليس على كل موحد لله ان يخلع نعليه على أية حال ، وانما ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ ل ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

والواد المقدس الذي طواه ، هو واد الوحي الرسالي ، وهو اقدس واد في الكون ، فليكن طأويه أقدس من في الكون ، وخلع النعلين هو من كمال القداسة المناسبة لواد الوحي.

عرفنا الواد المقدس وهو مهبط الوحي فما هي «طوى» التي طوى ذكرها آيتا طوى ثانيتهما النازعات ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

قد تكون «طوى» اسما للواد المقدس ، ام اسم وصف له لأن الوصول اليه بحاجة الى طي مسافات بعيدة من مسالك المعرفة والعبودية أمّا هيه ،

ولكنه يقتضي قلب التعبير كـ «انك بطوى الواد المقدس» فالواد بدل - إذا - عن طوى ام عطف بيان.

ام هي مصدر الطي ، منصرفة خلاف الأولى ، حالا عن الواد المقدس وعن موسى ، فهي بمعنى الفاعل والمفعول مبالغة في الطي ، فاعلا للواد المقدس حيث طوى موسى ، ومفعولا لموسى المطوي به عما سوى الله ، وعما سوى الوحي ، فليخلع نعليه اللذين طواه عن نور الوحي ، فليكن موسى طوى كما الواد المقدس طوى ، طيا عما طواه وحواه من حجب ، الى ما طواه من الوحي وحواه في الواد المقدس ، فلما طوى ما طوى عن اهله وتجلل عنهم وسواهم ، طواه الله بالوحي بعد انتشار حاله وتفرق باله .  
وقد تكون «طوى» مثلث المعنى ، اسما وصفيا للواد المقدس وحالا عنه وعن موسى ، ويا له من سمو المعنى.

ثم وما هما النعلان اللذان امر هنا لك بخلعهما ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾؟ أهما نعلًا رجله؟ إذ كانتا من جلد حمار ميت<sup>(١)</sup> ولبس الميتة غير مشكور ، وهو في الصلاة محذور ، وطوى الواد المقدس هي كالصلاة بل اولى ، لذلك فرعت ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ على ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ وكان الواجب عليه خلعهما دون امر ، مع ما في لبسهما في الصلاة والواد من غضاضة<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٣ ابن بابويه في الفقيه سئل الصادق (عليه السلام) عن الآية قال : كانتا من جلد حمار ميت وفي الدر المنثور ٤ : ٣٩٢ اخرج عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاكم عن علي (عليه السلام) مثله .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٧٣ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سعد بن عبد الله القمي عن الحجة القائم (ع) حديث طويل وفيه قلت فاخبرني يا بن رسول الله عن امر الله لنبيه موسى : ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ فان فقهاء الفريقين .

إلا أننا لا نعرف غضاظتها في الشرعة الموسوية وحتى في الصلاة! ولبس الميتة لا يلازم صحبتها في الصلاة ، بل ولا يصح لبس النعل الطاهرة فيها لقداسة الموقف ، وقدسية الواد كانت بحاجة الى بيان وقد تبين ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ .  
 قد يعني «نعليك» مصاديق لهما عدة ، أولاها في المظهر وأولاها في الظهور هما النعلان الملبوستان ، وهذه طبيعة الحال في كل واد مقدس

. يزعمون انها كانت من إهاب الميتة قال صلوات الله عليه من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوته لأنه ما خلا الأمر فيها من خطيئتين : اما ان تكون صلاة موسى فيها جائزة او غير جائزة فان كانت صلاته جائزة جاز لبسها في تلك البقعة إذا لم تكن مقدسة وان كانت مقدسة مطهرة فليست بأقدس واطهر من الصلاة وان كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب على موسى (عليه السلام) انه لم يعرف الحلال من الحرام وعلم ما جاز فيه الصلاة وما لم يجز وهذا كفر ، قلت فاخبرني يا مولاي عن التأويل فيها قال صلوات الله عليه ان موسى ناجى ربه بالواد المقدس فقال يا رب اني قد أخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عمن سواك وكان شديد الحب لأهله فقال الله تعالى : اخلع نعليك أي انزع حب أهلك من قلبك ان كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل الى من سواي مغسول» .

أقول هذا الحديث معارض بما تقدم ، ثم هو متهافت من جهات عدة ، منها «جاز لبسها في تلك البقعة إذا لم تكن مقدسة» وهي مقدسة حسب نص الآية! اثم «فليست بأقدس واطهر من الصلاة» وهي اقدس منها لأنها بقعة الوحي ومعراجها ارفع من معراج الصلاة! ثم «فقد أوجب الله على موسى انه لم يعرف الحلال من الحرام» ولماذا ، فحين لا يعرف انها بقعة مباركة ، على الله ان يعرفه كما عرفه ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ولما عرف خلع نعليه ، ثم «وعلم ما جاز فيه الصلاة وما لم يجز وهذا كفر» ، ماذا يعني؟ فهل هو علمه بالنسبة للصلاة وجهله حكمه بالواد المقدس ، وأين الكفر هنا او الفسق والوحي يعلمه هنا انه الواد المقدس فاخلع ، ثم لا نعلم ان ذلك الخلع كان واجبا في الصلاة كما هنا ام لا ، إذا فالحديث متضارب في نفسه بعد تعارضه الحديث الأول ، وعمل الحق ما قلناه في المتن . تأمل.

يطوي وارده طيا وينطوي فيه انطواء ، فكما ان ادب الحضور في الصلاة . وهي معراج المؤمن . يقتضي إصلاح الأدب الظاهر على ضوء الباطن ، لبسا لطاهر الثياب ومحلّ لها ونظيفها ، كذلك خلع النعلين مهما كانا نظيفين فإنهما للمشي في الطرقات دون الغرف المفروشة فضلا عن الواد المقدس طوى ، الذي هو اقدس من الصلاة وأطوى ، حيث العلوم الربانية فيها مطوية ، فالحفاء هناك اقرب الى التواضع والحفاوة ، ولأنه يلاصق قدمه الوادي فيتبرك به ، كما هو يتبرك ببركة الوحي الرباني ، فكيف يقدم الواد المقدس طوى وهو مطوي تعلقا بغير الله ، ام في رجله بنعليه ، امّا هي من تعلقات تنافي الحضور المطلق.

وفي هذه الآية لمحة أكيدة ان لبس النعلين حالة الصلاة غير مشكور ، بل هو محذور ، ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ولأنهما لم تقرنا بوصف الميتة ام سواها من محظورات ، نتملح ان اصل النعلين غير صالح بالواد المقدس ، وأي واد اقدس لنا من وادي الصلاة وهي معراج المؤمن ، وحالة التطامن والذل لا يناسبها الوقوف بمظهر الماشي في الطرقات ، وقاية عن القذارات ، اللهم لمن اضطر غير متجانف لاثم فلا اثم عليه ، كحالة الحرب والفرار عن المحذور ، والرواية القائلة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى في نعله قاحلة مفترية عليه جاهلة<sup>(١)</sup>.

ومن ثم الأهل زوجة وأولادا ، حيث يتمشى بهما الآهل في حياته ،

---

(١) في تفسير الفخر الرازي ٢٢ : ١٨ وقد صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في نعليه ثم خلعهما في الصلاة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال : ما لكم خلعتنم نعالكم؟ قالوا : خلعت فخلعنا قال : فان جبريل اخبرني ان فيها قدرا» أقول واقدر منه نسبة هذه الفعلة الهاتكة الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تاركا امر ربه ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

و ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ﴾ والنعل من اللباس <sup>(١)</sup> والسالك الى الله ، والى وادي المقدس طوى ، عليه ان ينسى اهليه وعبأهم في هذه السبيل ، قدر ما هم يصدون عن السبيل ، ام عن تكملتها ، أم يخرج حبهم عن قلبه ، مهما يهتم بأمرهم قدر الواجب في شرعة الله ، فخالص الحب في الله ، ولا سيما بالنسبة لمن يحمل رسالة الله ، لا يلائمه حب غير الله ، ف ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾ وليكن قلب الرسول مليئا كافة من حب الله والحب في الله.

وكذلك الأمر «خوفيك» خوفه من ضياع اهله وقد خلفهما بمخض ، وخوفه من فرعون» <sup>(٢)</sup> ف ﴿الَّذِينَ يُلَاقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٣ : ٣٩).

فحين يريد الله ان يبلغ موساه الى مدرجة الوحي ، بالواد المقدس طوى ، وهو مطوي قبله بالكثرات ، يتليه بالعسرات ، حيث يسلط عليه البرد وهو مع اهله في الصحراء ، وظلمة الليل ، وتفرق الماشية ، ومخاض المرأة ، وعدم انقذاح الزنده ، وضلال الطريق حتى اندهش بغاية الدهشة ، واستوحش بالغ الوحشة ، ثم يريه نوره بمظهر النار المؤنسة ، ويبلغه الى الواد المقدس طوى ، طالبا منه ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

ومن ثم رابعة : الخلع ، ان يخلع نعلي الدنيا والآخرة ، ألا يهوى فيهما ولا منهما إلا رضوان الله ، دون هوات النعيم في الأولى ، ولا لذاته في

(١) ورؤيا النعل والخذاء في المنام تعبر بالزوجة ، ومن يقظته ان ابراهيم لما ذهب إلى مكة ليزور إسماعيل فلم يجده في بيته ولم تستقبله زوجته ، قال لزوجته إذا جاء إسماعيل فقول له بدل حذائك ، فلما سمعها إسماعيل طلقها تعبيرا للخذاء بالأهل.

(٢) تفسير البرهان ٣ : ٣٣ - ابن بابويه بإسناد متصل الى الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) انه قال في قوله عز وجل لموسى : اخلع نعليك يعني ارفع خوفيك .....

الأخرى ، فان نعيم القرب والرضوان أنعم من نعيم الآخرة والأولى.

وخامسة هي انخلاعه عن نعلي الحجب : حجاب الإنية الذاتية ، والحجب الخارجية ، حتى يستعد للوحي في مقام قاب قوسين دنوا الى الله حيث ليس بينه وبين الله أحد ، وكما يسئل الامام الصادق (ع) ما تلك الغشية التي تعتري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال : ذلك هو الوحي ، ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد».

وسادسة هي انخلاعه عن نعلي الروح والجسم ، حيث الحيوية المتعودة تتبناها ، فليتركهما وحالهما ، متجردا بقلبه الى الله ، سفرا سافرا الى الله ، لا يحسب نفسه شيئا بجنب الله ، متغافلا عما لديه عند الله ، متحللا عما سوى الله ، متعلقا ككل بالله.

هذه اماهيمه من نعال فيها انشغال عن الله ، عليه ان يخلعهما ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾! فالنعل ما يمشى بها الى بغية ، مادية ام معنوية ، فإذا موسى واصل الى بغيته القصوى ، الى الواد المقدس طوى ، فليخلع نعليه ، واقفا حافيا بقدميه ، حيث يمشي منذ الآن ويمشي براحلة الوحي من الله ، فلا حراك له بعد ولا سكون الا بالوحي ، دون سائر التعلقات والوسائل الماشية سوى الوحي ، فانه منذ الآن مختار الله.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ ١٣ .

وترى موسى المختار لربه هو أدنى من الواد المقدس حتى يؤمر بخلع نعليه؟ اجل ! انه كموسى قبل ان يوحى اليه ادنى من الوحي وواديه ، وليست قدسية الوادي الا بقدسية الوحي ، فان شرف المكان بالمكين ، فلا قداسة ولا نخوسة لمكان او زمان ، الا بما حل في مكان او زمان ، وقد حلت بارقة الوحي البازغة لموسى في ذلك الواد ، فقدس بها كما قدس موسى ، وأمر أن يخلع نعليه ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

وذلك حكم عام لكل واد مقدس ، كالمساجد وحضور الرسول (صلى

الله عليه وآله وسلم) والأئمة<sup>(١)</sup> ام قبورهم ، حرمة الله ، وتبجيلا للمقربين إلى الله.

هنا موسى خيرة الله . وطبعا على علم . على العالمين ، وإلا فكيف يبعث رسولا الى العالمين ، كما هو الصيغة الشاملة لكافة المرسلين ، انهم خير العالمين باختيار رب العالمين.

و «اخترتك» هنا هي بصيغة اخرى هي ادل وأحرى في «طه» نفسها. ﴿... فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي. أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (٤٢) و ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٧ : ١٤٤) اجل ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي. وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٢٠ : ٢٩) : تصريحات اربع تبين محتدة الرفيع التربوي الرسولي والرسالي!.

اجل والرسول كلهم صنائع الرب لنفسه ، ليحملهم رسالاته آمنين مأمونين ، حتى لا تشوبهم شائبة ، ولا تنال منهم نائلة نائبة ، فتصبح مساعيهم خائبة.

فيا لموسى تكريما كريما ان يختاره الله ويصطنعه لنفسه ، وهكذا تكون رسالة الوحي ، لا تستحق على الله ، فانها خيرة الرب لا سواه ، وليست سائر الأسباب للمختار برسالة الله ، إلا تقديمة لظرفها الصالح لها ، دون ان تكون المساعي الشخصية ، او الشوراءات ، لها مدخل قاطع في تلقي الوحي ،

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٧٤ في الخرائج والجرائح قال علي بن أبي حمزة كنت مع موسى (عليه السلام) (اي موسى بن جعفر) بمنى ثم مضى الى دار بمكة فأتيته وقد صلى المغرب فدخلت عليه فقال : اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى فخلعت نعلي وجلست معه.

فإنما هي خيرة الله : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (٢٢ : ٧٥).

فهي إذا رعاية الرحيم الرحمان لهذا الإنسان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

والإختيار افتعال من الخير ، فقد يختار الإنسان نفسه بما يعتمل من صالحات فيكتمل ، ولكنه لقصوره في ذلك الاختيار لا يصل الى القمة وهي العصمة علمية وعملية وتطبيقية. ولكنه حين تمتد اليه يد الرحمة الإلهية الخاصة ، بعد ما سعى سعيه وقد اختار له ربه ظروف السعي العليا منذ أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ، والى الولادة والنضوجة العقلية ، آنذاك تشمله الخيرة الإلهية الثانية لإفاضة العصمة والتسديد الرباني ، فهو مختار الله في ابعاد ثلاثة ، والزاوية الوسطى بينها هي مساعي العبد باختياره على ضوء ما قدم الله له من قبل ، ونظرة ما يؤخره له من بعد ، والله الأمر من قبل ومن بعد.

وهاتان آيتان بدائيتان من الوحي القدامي أمام وحي الرسالة ، تهيئان لموسى ظرف الاستماع لذلك الوحي بسمع القلب وقلب السمع ، ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ وكان سامعا لما أوحى قبلها ولكن منذ الآن عليه الاستماع بعد سمع ، تحضيراً لمسامع قلبه ولبه وفؤاده ، بعد سمعه.

فحين يتم الإختيار الرباني لرجل رباني يحين حين استماع الوحي بعد سماعه ، وبعد تحمل مشاق في سبل التخيّر ، التي فيها أشلاء ودماء وحرمانات وكل ما هو آت في هذه السبيل المليئة بالأتعاب والأشغاب.

وفي تفریع الاستماع ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ على الاختيار ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ دليل ان الاختيار دليل الاستماع ، فلولا الاختيار لم يك استماع لما يوحى ، فهو اختيار لوعي الرسالة ، بعد ما اختير لعبودية كاملة هي ذريعة للرسالة.



وموسى هنا بطبيعة الحال يستعد للاستماع بكامله وقد يصح ما قيل فيه انه وقف على حجر واستند الى حجر ، ووضع يمينه على شماله ، والقى ذقنه على صدره وأصغى بشارشه ، فأصبح كله أذنا صاغية واعية ، ومن أدب الاستماع حضور المستمع بكل محاضره ومسامعه ، تأهبا لتعلمه وتفهمه ، ثم تطبيقه ونشره ، وذلك هو الاستماع الكامل الحافل لغايته ، وهو استماع الرسالة ورسالة الاستماع ، وإلا فلا سماع ولا استماع.

فموسى الرسول هنا يستمع كرسول ، دون ما استمعه من قبل بما يتبنى شخصه قبل رسالته نبوءة شخصية : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٨ : ١٤).

فقد كان اصطناعه مرحليا كسائر الرسل ، شخصا كما يجب ثم رساليا ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ :

وهنا يختصر الوحي في بدايته الرسالية في بنود ثلاثة مترابطة مع بعض ، التوحيد والعبودية والساعة ، وهي بصيغة اخرى : المبدء والمعاد وما بين المبدء والمعاد ، وهذه هي الأصول الموضوعية الرئيسية للشرعة الإلهية ككل وفي كافة الرسالات. ولماذا ﴿لِمَا يُوحَى﴾ بعد ﴿أَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ دون «ما أوحى»؟ علّه لأنه مما يوحى لكافة الرسل ككل ، لا فقط لموسى ، بل «لما يوحى» على طول خط الرسالات ، إيناسا له بعامه الوحي وهامته :

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤.

كلمات ثلاث هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، ومن ثم الى إحدى عشر آية ، عرض لواجب الرسالة تدريبا لآياتها ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ ..

**لِتُرِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى** ﴿﴾ ثم ذهبوا الى فرعون وهو رأس الزاوية في متاهة الضلالة ، ومن ثم اثنتي عشرة آية أخرى يتطلب فيها موسى من ربه شرح صدره ، وتيسير أمره ، وحل العقدة من لسانه ، وشد أزره بوزير من اهله تكملة لأمره.

فقد فصلت الأصول الثلاثة هنا لك بعد ما أجملت ، خلال ثلاث وعشرين آية ، عرضا موجزا عن كل الرسالة الموسوية وكافة الرسائل فانها سلسلة موصولة في خيوطها وخطوطها على مدار الزمن الرسالي إذ **﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾**.

«انني» لا سواي **﴿أَنَا اللَّهُ﴾** لا سواي **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾** لا سواي ، توحيدا في كافة جنبات الالهية والربوبية.

وهذه هي قضية الحضور في الوحي ، تعريف المسمى الحاضر باسمه في توحيده ، تعريفا للذات بوصف الاسم ، لا تعريف الاسم بوصف الذات ، فالنص **﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾** لا «ان الله انا».

فالله ذاته هو حاضر بذاته ، يعرف نفسه باسمه الذي يخطؤه الجاهلون الى سواه : «انني انا» المسمى ب «الله» لا سواي ، ف **﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾** (١٩ : ٦٥)؟

وهنا بعد اثبات انه هو الله دون سواه ، إذا ف **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾** لان الكل غير الله ، فكيف يشرك غير الله بالله ، والالوهية الاصيلية خاصة بالله كما يعترف بها المشركون ، ولكنهم يشركون به من لا يسمونهم باسم الله ، وانما آلهة دون الله ، متهمين الله انه اشركهم بنفسه ، ام هم يشركونهم به إذ لا يصلون اليه نفسه ، فليصلوا بآلهة اخرى هم من خاصة عبادة **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾** (٣٩ : ٣).

وهنا «فاعبدني» يفرع عبوديته الوحيدة على ألوهيته الوحيدة ، فاصل

عبوديته ل ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ وانحصارها فيه حيث ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ والعبودية وهي خالص الخضوع والخشوع للمعبود لا تحق إلا لخالق الوجود ومدير كل موجود ، وهو هو الله الخالق المدير ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧ : ٥٤).

فالألوهية الوحيدة هي قوام العقيدة وقضية العمل وفقها ، والعبادة تشملها توجهها الى الله الواحد في كل نشاطات الحياة وواجهاتها ، فليكن العبد بشراشره ظاهرة وباطنة عبد الله وتعبدا في الله ، وليست العبودية الا بعد المعرفة حيث تتبناها في البداية ثم زائد المعرفة تتبنى العبودية كما تتبنى سائر وسائلها.

ولان الصلاة هي قمة العبودية وعمود الدين العبادة ، لذلك تختص بالوصية بعد مطلق العبودية : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فيا لهذا الوحي الحبيب من طلاوة ، وفي تلاوته من حلاوة ، حيث يؤثر فيمن يحمل غضاضة بكل هزاة وهو الخليفة عمر حيث يأخذ سيفه ليقتل محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه صبا وأصبأ معه جماعة آخرين ، فلما يقرأ طه الى هنا يؤمن! <sup>(١)</sup> اجل ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾.

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٩٢ . اخرج ابن سعد وابو يعلى والحاكم والبيهقي في الدلائل عن انس قال : خرج عمر متقلدا بالسيف فلقه رجل من بني زهرة فقال له اين تغدو يا عمر قال : أريد ان اقتل محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : وكيف تأمن بني هاشم وبني زهرة فقال له عمر ما أراك الا قد صبوت وترك دينك قال أفلا ادلك على العجب ان أختك وختنك قد صبوا وتركوا دينك فمشى عمر حتى أتاهما وعندهما خباب فلما سمع خباب بحسن عمر تورأى في البيت فدخل عليهما فقال ما هذه الهيمنة التي سمعتها عندكم وكانوا يقرؤن طه فقالا ما عدا حديثا تحدثنا به قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه يا عمران كان الحق في غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفعها نفخة بيده فدمى وجهها فقال عمر اعطوني .

ولان ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ تحمل قمة البيان للصلاة والدافع لها وغايتها ، لأنها بداية الوحي على موسى ، وهي موجّهة كذلك وباحرى الى محمد آل طه ، فلتكن حاوية كل ما للصلاة من صلوات بالعبد وبالله وبنفسها شروطا واجزاء ومقارنات ومقدمات ، بهذه الصيغة الاجمالية الجميلة ، وهي كذلك حين نتأملها كيف نتعملها.

ف «أقم» تحمل كافة القيامات الظاهرية والباطنية ، فردية وجماعية للصلاة ، فانها قد تؤتى غير مقامه بما يتوجب فيها ، وهذا قيام إليها دون اقامة لها ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤ : ١٤٢) ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ (٩ : ٥٤) ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٤ : ٤٣) وهذه وأشباهها هي من اضاعة الصلاة ولم نؤمر في كل القرآن إلا بإقام الصلاة. والصلاة تعملها قالوا وحالا وافعالا ، فلتكن مقامة في مثلثها على أية حال.

---

. الكتاب الذي هو عندكم فأقرؤه فقالت أخته انك رجس نجس وانه لا يمسه الا المطهرون فقم فتوضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى الى ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فقال عمر : دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال : ابشر يا عمر فاني أرجو ان تكون دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... فخرج حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه اخرج ابو نعيم في الحلية عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جبريل (عليه السلام) قال قال الله عز وجل : اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني من جاءني منكم بشهادة ان لا اله الا الله بالإخلاص دخل في حصني ومن دخل في حصني أمن من عذابي.

ومن ثم «لذكرى» تحمل احتمالات عدة تلائم ادب اللفظ وحذب المعنى :  
فالذكر هنا بين دافع وغاية ، والاضافة في كلّ بين ما هي الى فاعل او مفعول ، واللام  
في «لذكرى» بين توقيت وتعليل ، والظرف بين تعلقه ب «فاعبدي» و «أقم» و  
«الصلاة».

ثم الذكر بين قال وحال وافعال ، تواسلا في ذلك المثلث البارع ، من ذكر اللسان  
وذكر الأفعال وذكر الأحوال ، فطرية وعقلية ، وفكرية وصدرية وقلبية ، ولبية ، وفؤادية ،  
حتى يصبح المصلي كله ذكرا لله كما كله عبد وعبادة لله.

فدافع الذكر للصلاة هو باضافة المصدر الى فاعله : لذكرى إياك ، فكما اني أذكركم  
في عطيات دائبة فأقيموا الصلاة ذكرا لي كما أذكركم ، ذكرا بذكر واين ذكر من ذكر.  
ودافع ثان ان ذكرى مفطور في فطركم وعقولكم فأقيموا الصلاة بدافع ذكرى الفطري  
، حيث فطرتكم بتوحيدي ، حتى وان لم آمركم بها ، حيث الأحكام الفطرية ليست بحاجة  
الى أوامر منفصلة ، اللهم الا ان تكون لها ذكرى ، وكذلك سائر ذكرى في الآفاق وفي  
أنفسكم ، من وحي العقل ووحى الرسالات ووحى الكائنات ان لا اله الا انا فاعبدي حيث  
الكائنات برمتها هي ذكر لله بما قرره الله!.

ثم وغاية الذكر بالصلاة هي باضافة المصدر الى مفعوله ، أقم الصلاة لذكرك اياي ،  
لتذكرني بها فانها خير ذكر قالوا وحالا وافعالا ، والى فاعله لغاية ذكرى إياك في أولائك وأخراك  
، وهذه كلها في وجه التعليل المستفاد من اللام ، دافعية ام غائية.

ومن ثم «لذكرى» توقيتا ، ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ حين تذكرني ، لا حين

الغفوة والغفلة كمن يأتون الصلاة كسالى ام سكارى ، ثم لوقت ذكرى الذي فرته لي ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (٤ : ١٠٣) ومن ثم توقيتا هامشيا لمن نسي صلاته في وقتها ف ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ حين تذكرها كما ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ (١٧ : ٧٨).

وانما كررت . فقط . هذه الاخيرة فيما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) ، لأنها أخفى مصاديقها بين المحتملات بما هي هامشية غير اصيلة.

فقد «سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن رجل غفل عن الصلاة حتى طلعت الشمس او غربت ما كفارتها؟ قال : يتقرب الى الله ويحسن وضوءه ويصلي فيحسن الصلاة ويستغفر الله فلا كفارة لها الا ذلك ان الله يقول : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾»<sup>(١)</sup>.  
ومن هنا يتبين ان الفائتة مقدمة على الحاضرة ، إلا إذا خيف على فوت الحاضرة كما استفاضت به الرواية عن الائمة الطاهرة<sup>(٢)</sup>.

وهناك ذكر القال في قيلات الصلاة ، بحال ومنها النية الصادقة

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٩٤ . اخرج الطبراني وابن مردويه عن عبادة بن الصامت قال : سئل ... أقول : وقد اخرج قضاء الصلاة هكذا سنادا الى الآية بعدة طرق عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).  
(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٧٥ بسند صحيح عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : إذا فاتتك صلاة فذكرتها في وقت اخرى فان كنت تعلم انك إذا صليت التي فاتتك كنت في الاخرى في وقت فابدأ بالتي فاتتك فان الله عز وجل يقول : أقم الصلاة لذكري . وان كنت تعلم انك إذا صليت التي فاتتك فاتتك التي بعدها فابدأ بالتي أنت في وقتها فصلها ثم أقم الاخرى.

الصادية ، وبافعال هي كل افعال الصلاة ، وهذه الاحتمالات بضرب بعضها في بعض تصبح (٢٤٠) احتمالا وان كان بعضها مكرورا وآخر بين منكور ومشكور ، والقرآن حمال ذو وجوه فاحملوه الى احسن الوجوه ، ولان الصلاة هي خير موضوع لذلك «لا تترك الصلاة بحال».

وهكذا نرى ان للصلاة صلات عريقة دافعية وغائية وزمنية ، كلها تحور على محور ذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وكيف لا؟ وانها أكمل صورة من صور العبادة وسيرها ، وأفضل وسيلة من وسائل الذكر حيث تتمحّص لهذه الغاية ، وتحصل بذلك الدافع ، وتتجرد من كل الملايسات الأخرى ، فتجّمع الإنسان للاتصال بالله ، حيث تعلّقه بالله بما دنى بها العبد أو تدلى ، فكان قاب قوسين أو ادنى ، ولذلك يروى عن صاحب المعراج قوله «الصلاة معراج المؤمن»!

ثم وفي تقسيم خاصر يحوي كل هذه التقاسيم «لذكرى» انه بين قلبي وقلبي ، وقلب الذكر هو ذكر القلب ، وليس القلب الا حاكيا عن القلب فمزيدا لذكر القلب ، والجمع فيهما هو جمع الذكر ، ان يصبح الإنسان كله ذكرا لله ، إيصالا للصلاة القلبية الى الصلاة القلبية ، ومن ثم الى كافة المراحل الروحية.

فحين تحلّق الصلاة الذكر والذكر الصلاة على الإنسان ككل ، يصبح كله صلات بالله بصلاة لله ، وأنداك ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٢٩ : ٤٥).

ومن افحش الفحشاء الرثاء ، فصلاة المرائي ليست «لذكرى» بل لذكر الناس في أسفل درك من الرثاء ، ولجمع الذكرين في سائر دركاتهما ، وان ذكر الفطرة وذكر العقل وذكر الوحي لله ، وكذلك ذكر الله وكل ذكر دافعا وغاية ، انها تنافي الرثا وتنافيهما الرثاء!.

## ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُخْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ ١٥.

وفي هذه الزاوية الثالثة من أركان الشريعة الإلهية تكتمل اصول الدعوة مبدء ومعادا وما بين المبدء والمعاد ، وهذا هو الوحي بأحكام العبودية وفي قمتها الصلاة ، فتمت بذلك اصول الدين بفروع في صيغة مختصرة محتصرة ، هي لكل شرعة إلهية ، مهما اختلفت الشرائع في طقوس عبادية حسب المظهر والصورة.

ولأنه ليس ليلتزم عبودية الله . فقط . لأنه الله لا اله الا هو . إلا من شغفه حبا وهي عبادة الأحرار ، وهم قلة قليلة بين عباد الله ، ثم الثلاثة الباقية هم بين عبيد وتجار ، لذلك يثنى دافع المبدء بالتوحيد المعرفة الخالصة ، بدافع المعاد ، فبين المبدء والمعاد يكثر العباد رغبة في الثواب وخوفا من العقاب.

وعرض المعاد في ذلك المثلث البار ، عرض عريض في المعنى الاجمالي عن المعاد واقعا وغاية قصوى ، وهنا لك تتم الشريعة الإلهية أصولا وفروعا في مطلع الوحي الموسوي كما هو في كافة المطالع الرسالية السامية ، وقد جمعت لسيد المرسلين وامام النبيين أئمتها وأعمها وأهمها كما يناسب الخلود.

نجد «الساعة» المعنية بها القيامة في احدى وأربعين آية بين (٤٨) مرة «الساعة» في سائر القرآن ، وهي ثانية الأسماء كثرة وشهرة بعد القيامة السبعين ، مما يدل على مدى اهميتها تعبيرا عن ذلك اليوم العظيم.

واصل الساعة من ساع الشيء إذا زال وضاع ، فهي إذا وقت ضياع الكائنات عن بكرتها في قيامة التدمير ، واطلاق الساعة على جزء من الزمان انما هو لتصرفه وضياعه دونما رجعة ، وكذلك امر الساعة إذ لا رجعة فيها الى الاولى ، وانما هي الاخرى ﴿لِيُخْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾.



وقد تعنى «الساعة» الساعات الثلاث كلها «ساعة الرجعة والموت والقيامة» **﴿لِتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾** حيث المجهولية في كل منها تدفع الى السعي خوفا منها ، مهما كانت الاخيرة هي الاصلية بينها ، والأوليان تتبنيانها.

ثم **﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾** في مواصفة الساعة ، قد تعني سلب الخفاء وإيجابها معا ، فلو عنت السلب فقط ، فقضية الفصاحة : أكاد أظهرها ، حيث السلب في مادة الإفعال بحاجة الى قرينة تسلبها عن إيجابها كما في **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾** اي مسلوبي الطاقة في الصيام ، ثم وعناية الإيجاب هي قضية ظاهر الإيجاب.

والجمع هنا بين سلب الخفاء وإيجابها جمع بين ما يعنى من الساعة ، ف **﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾** سلبا لخفائها لمدى الحتمية القاطعة لوقوعها ، لحد أكاد أظهرها قبل أوانها ، ام أعلن بوقتها قبل مرساها ، ولكن **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** (٧ : ١٨٧).

فذلك السلب مستحيل ، و «أكاد» فيه مبالغة لتحقيق وقوعها لحد أكاد أسلب الآن خفاءها ، ومن ثم سلب الخفاء عن واقعها وهو إقامتها في وقتها ، وذلك ممكن ، وأكاد فيه تقريب لوقوعها : **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾** (١٧ : ٥١).

وإيجابا : ان الساعة خفية حسب الحكمة العالية والمصلحة الملزمة ،

لحد ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ على نفسي<sup>(١)</sup> كما أخفيتُها على غيري ، ف «أكاد» هنا مبالغة لطيفة تعني غاية الخفاء لها ، لحد لو أمكن لكنت أخفيها على نفسي!.  
و «أكاد» هنا لا تكاد تعني قرب الزمن لإخفائها سلبا أو إيجابا ، وانما هي تأكيد لأمعة لتأكد واقعها في وقتها ، واستحالة إظهارها قبل وقتها حيث «ثقلت في السماوات والأرض لا يجليها لوقتها الا هو»!

وما أَلطفها وأعمقها تعبيراً عن مدى خفاء الساعة ، ولماذا؟

﴿لَتَجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ .. لَتَجْزِي ..﴾ و ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا لَتَجْزِي﴾ فأصل الجزء هو غاية الساعة في إتيانها ، وخفاءها غاية «بما تسعى» ، ام ﴿لَتَجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ غاية لهما.

فان الساعة هي الموعد المرتقب للجزاء العدل والفضل ، فتنجس إليها النفوس المؤمنة فتحسب حسابها ، سائرة في الطريق مراقبة تخشى الانزلاق بحيثتها المفاجئة الفجيعة.  
فإذا كانت المجازاة هي المقصودة من إتيان الساعة ، فلتكن قاطعة الإتيان لحد ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ إزالة لخفائها ، ولتكن خفية في وقتها ليكون الخلق في كل حين على حذر من مجيئها ووجل من بغتتها ، فيستعدوا لها قبل

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٧٥ في مجمع البيان وروى عن ابن عباس «أكاد أخفيها من نفسي» وهي كذلك في قراءة أبي وروي ذلك عن الصادق (عليه السلام) أقول هذه القراءة مطروحة او مؤولة الى انها كتفسير لأخفيها وفي الدر المنثور اخرج تفسير «من نفسي» عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي صالح وعن ابن مسعود : أكاد أخفيها من نفسي يقول : اكتمها من الخلائق حتى لو استطعت ان اكتمها من نفسي لفعلت ، وعن أبي : أكاد أخفيها من نفسي فكيف اطلعكم عليها.

حلولها ، ويمهدوا أنفسهم قبل نزولها ﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾.

والمجهول زمنا ، القاطع اتيانا ، هو عنصر اساسي في حياة الإنسان ام اي مكلف كان ، لتكوينهم النفسي ، متطلعين اليه ، متبنين حياتهم عليه ، فلو كانت الساعة لهم مكشوفة لوقفت نشاطاتهم ، وامنت حياتهم ، ولكنهم وراء المجهول المأمول يجرون ، فيعملون لما يأملون ، ويجربون ويتعلمون ، ويكشفون المخبوء من طاقاتهم وسائر الطاقات ، فيرون آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد.

تلك الساعة المجهولة الأمد تبشرهم بثوابها إن عملوا الصالحات ، وتحذّره عن عقابها ان عملوا الطالحات ، فهم بذلك مندفعون الى كل خير ، دافعون عن أنفسهم كل شر ، حتى إذا أتتهم ساعة الجزاء فتبغتهم راجحين ، ساعة الموت او الرجعة ام القيامة الكبرى ﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾. ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ (٥٣ : ٤٠).

وهنا نعرف ان السعي . فقط . هو عامل الجزاء ليس إلا ، فلا فوضى هنا لك في الجزاء ، ولا ترز وازرة وزر اخرى ، ثم ولا جزاء بنية دون عمل فانها ليست مما «تسعى» اللهم الانية الصالحات لمن لم يسطع ان يعملها ، فلصاحبها الجزاء الحسن فضلا من العلي الأعلى ، وذلك بدلالات اخرى غير ﴿بِمَا تَسْعَى﴾ وكما ان آيات حصر الجزاء بالأعمال ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تخص العقوبات . فيما تخص . بالأعمال الطالحة دون النيات فقط.

ثم ﴿بِمَا تَسْعَى﴾ دون «بما تعمل» قد تلمح بكدح في العمل ، فالصالحات المتفلة دون سعي ، والطالحات مثلها كما اللمم ، قد لا يجزى

بما أم يقل ، ففي الأولى القلة حاصلة ، وفي الطالحات العفو على شروطه المسرودة في الذكر الحكيم.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ ١٦ .

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ تأكيد صارم صدا عن الصد عنها ، تفريعا على ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ صدا عقيدا عن إتيانها ، أو خفاءها ، أم جزاء كل نفس فيها بما تسعى ، أم صدا عمليا رغم التصديق بها ، والصاد عنها هو ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في نكرانها والدعاية ضدها ، فلو صدت عنها «فتردى» في جحيم الضلالة والمتاهة ، بما تتردى في همجية الأعمال بسفاسف الأخلاق.

وهناك رد في نكران المبدء والمعاد هي أردى ، وهنا أخرى بنكران المعاد عقيدا ، وثالثة عمليا ، ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ تشمل ذلك الثالوث كله ، حيث الصد عن المعاد بعد الصد عن المبدء أردى فتشملة «فتردى» بأولى وأحرى.

وقد تعني «عنها» و «بها» . فيما عنتا . كلمة التوحيد المستفادة من ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ والعبادة المعنية من «فاعبدني» والصلاة المذكورة بنفسها وفي خالهما الرسالة الميَّنة لهما كما تعني الساعة أخيرا ، وقد تقتضيها طبيعة الحال في بنود الرسالة المسرودة هنا ، فان إثباتها يقتضي تأكيد السلب عن الصّد عنها ، وهنا لك تردّيات عدة في الانصداد عن كلّ منها ، فهنا في المرجع لضميري «عنها وبها» احتمالات يحتملها اللفظ والمعنى <sup>(١)</sup>.

«فتردى» في هَوَات الإِشْرَاقِ بالله عند الصد عن كلمة التوحيد ،

(١) رجوعا للأول تارة الى المجموعة المستفادة مما سبق ، وأخرى الى كل واحدة منها ، توحيدا ونبوة وعبادة وصلاة وساعة ، وهكذا الأمر في الثاني ، والمحتملات ٢٨ .

فتهلك في هذه الردى.

«فتردى» في الشهوات واللهوات في صدك عن عبادته وعن الصلاة لذكره تعالى.

«فتردى» عن التزامات العبودية والصلاة ولزاماتها عند الصد عن الساعة ، فهناك .

إذا . ثلوث من التردّيات والتهلكات في الانصداد عن مثلث المعتقدات.

وقد تعني كلّ من «عنها وبها» فيما عنتا ، كلا من هذه الثلاثة ، حيث اللاإيمان في كلّ منها يصد عن الأخرى كما يصد عن نفسها ، فنكران التوحيد صدّ عن العبودية والساعة ، ونكران العبودية والصلاة صد عن المبدء والمعاد ، ونكران الساعة كذلك صد عنهما.

ومن هنا نعرف ان الواجب في اصول الدين وفروعه ليس هو الاعتقاد بها والعمل لها فحسب ، بل والتصلب والصمود فيها لحد لا تنفصم عراها.

وهنا في واجب العلم بالأصول وفروعها مراحل : القناعة الشخصية دون تزعزع ولا تلكؤ ، ثم الحفاظ عليها في المخالطات الضرورية مع الناس ، ومن ثم في السّبح الطويل في خضم المجتمع ، ثم الدعوة إليها والدعاية الصالحة لها.

فالمرحلتان الأوليان مفروضتان ، إذ لا بد للإنسان من مخالطة حيوية مع المجتمع ، كضرورة للحياة ، والثالثة لا تصح إلا لمن صحح يقينه لحد لا ينفصم بمن يصد عنه ، وإلا فذلك تورط وترد في ورطات وهوات.

والرابعة هي للدعات الى الله على شروطاتها ، أخذاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والى القيادة الربانية الشاملة غير المعصومة ، والى قيادة العصمة في أئمة الهدى ، الى قيادة الرسالة ، وكلّ درجات

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

والبلاء العام في ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ هو ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ إذ لا برهان على الصد عنها فطريا ولا عقليا ولا أيا كان ، اللهم إلا اتباع الهوى ، ولا يتبع هوى أصحاب الهوى إلا من هو من أصحابها ، تغافلا عن فطرته وتجاهلا عن عقليته ، وتعاميا عن آيات الرسالات الإلهية.

ف «انما أخاف عليكم اثنين اتباع الهوى وطول الأمل اما اتباع الهوى فيصعد عن الحق واما طول الأمل فينسي الآخرة» <sup>(١)</sup> و «انما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا فلو ان الحق خلص لم يكن للباطل حجة ولو أن الباطل خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف فيمزجان فيحيثان معا فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى» <sup>(٢)</sup>.

وترى موسى المختار من ربه لوجيه ما كان موحدا يعبد ربه ويصلي لذكره ويعلم آتية الساعة ، حتى يخاطب في بازغ وحيه جملة عن تفصيل ما اوتي في الألواح ، بهذه الأصول المعرفية والعملية.

اجل ولذلك اختاره الله ، ولكنه كرسول يحمل . بما يوحي . رسالة الله الى العالمين ، اضافة الى تكملته نفسه بأكمل مما كان كما هو قضية الحال في كل رسول على آية حال ، وقد امر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) «

(١) نور الثقلين ٣ : ٣ عن اصول الكافي بسند عن يحيى بن عقيل قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) : ...

(٢) اصول الكافي بسند متصل عن امير المؤمنين (عليه السلام) ومثله في النهج باختلاف يسير في بعض ألفاظه.

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ وما الى ذلك من أوامر ، تصطنع شخصه أكثر مما كان ، ورسالته الى العالمين.

هنا لك تمت المرحلة الأولى لنداء موسى ، حاوية جملة الرسالة ، وبينما هو في شغف الاستماع وشغفه بكل كيانه حيث أصبح كأنه كله سمع واستماع ، إذا بمرحلة ثانية في مسألة حبيبة :

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ١٧.

«و» هنا عطفا على نبوءة الوحي قد تلمح ان في سؤاله بجوابه وحي آخر نبوءة أخرى كما مضت ، أم رسالة أما هي من خارقة إلهية.

ثم «ما» سؤال عن الماهية دون فاعليتها ، و «تلك» اشارة الى عصاه تأشيراً انه تعالى يعرفها كما هي ولكنه يعني بسؤاله موسى ان يعرفها كما هي ، يعرفها لبيان البون بينهما ، الذي لا يعرفه موسى.

و «بيمينك» دون «يدك» علّه لبيان الموضع ، فعلّ بيساره شيئاً آخر كالخاتم وسواه. فلم يكن السؤال استفهاماً ، بل هو اختبار لمدى معرفة موسى بعصاه حتى يزيد أخرى لا يعرفها ، وما اختيار موسى لما يوحى بالذي يدل على انه يعرف الأمور كلها ، بل هو كما كان هو الآن بحاجة في معرفة عصاه الى تعريف من ربه ، فضلاً عما سواها من معرفيات. ونرى موسى بدلاً عن ان يجيب عن ماهية عصاه ، يكتفي بذكر اسمها ثم مآربها عنده ، وقد كان يكفي ﴿هِيَ عَصَاي﴾ عسى ان يزيده ربه تعريفاً بعصاه ، ولكنه لشغفه البالغ لتلك المحاور الحبيبة مع ربه ، حين ما يسأله عن أبسط شيء متعظفاً عليه ، لذلك يطوّل في الجواب بأقصى ما يعرفه عن عصاه ، عساه ان يزيده ربه علماً بعصاه.

وقد عني من هذا السؤال ان يستحضر موسى معرفته بعصاه ، وانها كعصاه منسوبة اليه ليست إلا كما عرفها ، فلما تصبح حية تسعى او ثعبانا مينا بما ألقى ، يعرف ان ذلك من ربه وليس منه ، فقد كانت معه ردحا كثيرا من الزمن فلم تكسب من معيته ما كسبت من مفارقتها بإلقاء موسى ، ثم ليؤكد انها خشبة كسائر الأخشاب حتى إذا قلبت حية تسعى فلا يخشاها ، بل يعرف انها قلبة الهية عصا رسالية لموسى بعد ما كانت عصى بشرية ، واين عصى من عصا؟.

وترى ان موسى بذلك الخطاب دون حجاب يفضل على نبينا؟ كلا حيث خوطب نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) دون اي حجاب ، ولموسى حجاب النور والشجرة ، ثم موسى لم يصل في وحيه الى مقام ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلها ، وقد أعلن الوحي الخاص الى موسى في اذاعة توراتية وقرآنية ، ووحى محمد الخاص به لم يعلن بعد : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾!

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأُشْكُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ ١٨ .

«قال» موسى «هي» التي يميني «عصاي» وفي الخبر انها «قضيبي من آس من غرس الجنة» (١).

«كانت لآدم (عليه السلام) فصارت الى شعيب ثم صارت الى

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٤ عن الكافي بسند عن عبد الله بن سنان قال : سمعت أبا عبد الله يقول : كان عصا موسى قضيبي آس من غرس الجنة أتاه بها جبرائيل لما توجه لتلقاء مدين وهي وتابوت آدم في بحيرة طبرية ولن يبليا ولن يتغيرا حتى يخرجهما القائم (عليه السلام) إذا قام.



موسى وانها عندنا» <sup>(١)</sup> اي اهل البيت (عليهم السلام) ، ولا تصدقها ﴿هِيَ عَصَايَ ..﴾ او تكذبها ، ولئن كانت فيها من قبل خوارق عادات لذكرها في عداد العاديات من فوائدها ، اللهم إلا ان تكون معنية فيما يعنى عن ﴿مَارِبُ أُخْرَى﴾ .

ولو ان ﴿مَارِبُ أُخْرَى﴾ تعني ما قد يروى من خوارق العادات ، فكان موسى . إذا . تعودها منها ، فلما ذا يخافها إذا هي حية تسعى؟! ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾!

ومن المحتمل ان الخوارق من هذه العصا بدأت منذ ألقى ، والى ضربها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، والبحر فحصل بها فيه اثني عشر طريقا ييسا ، ثم الى القائم منا (عليه السلام) وعساه يعمل بعصاه هذه اكثر من موسى وكما قد يروى . وموسى هنا بعد تسمية العصا ذكر لها مأربين من مآربه ، قاصدا تطويل الجواب أنسا طائلا في نداء ربه ، إذا بالكلام متفلتا عنه استحياء منه ام لعدم مساعدة الحال واضطراب البال فأجمل سائر مآربه الى قوله

---

(١) المصدر عن الكافي بسند عن محمد بن الفيض عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : كانت عصا موسى لآدم فصارت إلى شعيب ثم صارت إلى موسى بن عمران وانها لعندنا وان عهدي بها أنفا وهي خضراء كهيئته حين انتزعت من شجرتها وانها لتتطق حين استنطقت ، أعدت لقائنا يصنع بها ما كان يصنع بها موسى (عليه السلام) وانها لتروع وتلقف ما يأفكون ، وتصنع ما تؤمر به انها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون يفتح لها شعبتان إحداها في الأرض والاخرى في السقف وبينهما أربعون ذراعا تلقف ما يأفكون بلسانها .

وفيه عنه (عليه السلام) قال : خرج امير المؤمنين (عليه السلام) ذات ليلة بعد عتمة وهو يقول همهمة وليلة مظلمة خرج عليكم الامام عليه قميص آدم وفي يده خاتم سليمان وعصى موسى .

﴿وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾ او يعني بها ما يجله الآن وقد تلمّحه من ملامح البيان عساه يذكره ربه لعصاه ، وبينهما مآرب التوكؤ والهش ، فلنفسه : ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ اعتمادا في مثلث القيام والمشي والوقوف ، ولغنمه : ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ خبطا لأوراق الأشجار الهشّ وهو الرخو اللين سريع الحث والكسر لحد يكفيه هش العصا. ثم ومن ﴿مَآرِبٌ أُخْرَى﴾ التي أجملها ، الاستظلال بها ركزا لها وجاه الشمس وإلقاء لكسائه عليها ، ودفعاً لذئب وسواه من الضاريات حين تعرضه وغنمه اما هيه من مآرب اخرى معنيّة.

والمآرب جمع المأربة وهي الحاجة ، وقد ذكر منها اثنتين بعد تعريفه بما يمينه ، ثلاثة غير مسئول عنها حيث السؤال ب «ما» ليس إلا عن الماهية ، دون «كيف» واضرابها التي هي للكيفية ، ولكنه ما كان ليعرف من ماهيتها الا ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ ثم الله ابرز لها ماهية اخرى فإذا هي حية تسعى.

﴿قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى ١٩ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ٢٠.

ترى ولماذا إلقاءها هنا لتكون حية تسعى؟ ان ذلك تدريب له بما تعدّ له من آيات ربه الكبرى ، وليكون على معرفة وأهبة بما سوف يفعله الله عند فرعون آية لموسى!. وقد يعني على هامش ذلك المعني إبرازا لسيرة ما يتوكؤ عليه من غير الله انه حية تسعى ، تخلصا. لموسى ان يتوكأ نفسيا على اي متكأ سوى الله ، كما خلع عنه نعليه إذ هو بالواد المقدس طوى ، حيث التجرد من كل التعلقات لزام الحضرة الربانية لتلقى الوحي ، وهنا لك ينعكس خلع النعلين . لتخليه عما سوى الله . وحيا يوحى ، ثم إلقاءه عصاه آية لوحيه أمام عدوه حية تسعى.

وكيف تنقلب العصا حية تسعى كما هنا ، ام جانا مهتزا كما في النمل (٣١) والقصص (١١) : ﴿رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ ام ثعبانا مبينا كما في الشعراء (٣٢) والأعراف (١٠٧) والأوليان حالة واحدة ، والأخيرة حين ذهب الى فرعون؟.

إنها خارقة الهية كآية تدل على وحي الرسالة ورسالة الوحي ، وركب العلم السائر مهما كان حائرا فيها وحق له ان يختار ، ولكنه ببلوغه ذروة من رقبته يختار ما فيه يختار ، انه في امكانية الانقلاب يوافق الأصول العلمية الثابتة ، ولكنه لا يسطع عليه الا الله دون سواه ، حيث العناصر تتركب من جزئيات ، وهي من ذرات ، وهي من أجزائها من الكتلونات وبيوتونات ..

إذا فالأصول الفيزيائية والكيميائية لكافة العناصر هي الذرات المنتهية الى أجزائها معروفة وسواها ، وما اختلاف العناصر والجزئيات والذرات إلا باختلاف التركيبات مادة ومدة وعدة وعدة.

وقد اتيح للعلم لحد الآن تبديل عناصر الى اخرى! أفلا يتاح للقدرة الربانية الخلاقة لها تبديلات أخرى لا يقدر العلم عليها ، اختصاصا بساحة الربوبية كما هو في اصل الخلق وفروعه.

فالأجزاء التي تتشكل منها الحية هي التي شكلت منها العصا ، ثم هنا لك. خارقتان اثنتان ، أولاهما القفزة الزمنية لذلك الانقلاب سراحا ، وقد يحتاج الى الآفات من السنين وتوافقات لا يعلمها ويقدر عليها إلا الله ، وثانيتها خلق روح الحية كما في سائر الأرواح على الإطلاق.

إذا فليست الخارقة الإلهية خرقا لضوابط العلية ، وحرقا للعلل ، بل هي تسريع في ترتيب العلل بقفزة زمنية أما هي من جانب علة العلل ، فهو الخالق للأسباب والمسببات ، وله الأمر في شروطها وكافة لزاماتها

وتدبيراتها وتقديراتها ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثم وما خلق حية تسعى من عصا بأصعب منها المخلوقة بولادتها ، ام في أصلها الاول حيث خلقت من تراب ، والأفعال الإلهية كلها من اختصاصات ساحة الربوبية ليس لأحد فيها نصيب حتى المرسلين ، فإنهم ليسوا إلا أداة ومظاهر لفعل الرب ، وحيا ام آية تثبته.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ ٢١.

﴿وَأَنَّ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (٢٨ : ٣١) ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٧ : ١١).

لقد خاف موسى من حية تسعى وهي من عصاه؟ عساها تلدغه علّه ظلم وعصى ، فنهاه ربه «لا تخف» بعد ما ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ كمن معك ، و ﴿لَا يَخَافُ .. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ كما ظلم فرعون وخاف ثعبانه العظيم ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾

﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ وهي حية تسعى «سنعيدها» بعد أخذك إياها ﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ وهي العصا.

وترى كيف يجوز لموسى ان يخاف فعل الله الآية ، وهو لدى الله ، رسالة من عند الله ، يخاف آية الرسالة الإلهية؟.

موسى هنا وفي بداية الحال ، المنقطعة النظر حتى الحال ، لم يكن يعرف انه آية الهية لرسالته ، فعله حسبها امتحانا من الله ببليّة جليلة عما قدم فأخره عن رسالته وكما قال حين قضى على القبطي ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾

**فَاغْفِرْ لِي** ﴿٢٨ : ١٦﴾ ام خافها خوفا ان تكون هي الحية التي أضل آدم وأغوى.

ثم وخوفه منها دليل ان قلب العصا إليها لم يكن من فعله فما هو إذا بسحر حيث السحر من فعل الساحر فلا يخافه ، وهكذا تكون آيات الرسالة كلها انما من افعال الله تظهر على ايدي رسل الله لتدل بذلك على اختصاصهم بالله فيصدقون في وحي الله. وهنا «سنعيدها» دليل امره بأخذها وهي حية تسعى ، ولكنه تعالى طمأنه انه سيعيدها بعد أخذها سيرتها الاولى ، وهي آية اخرى ، فكما ان قلب العصا آية كذلك قلب الحية عصى آية ، وفيها كرامة لموسى ان اظهرهما بيده ، ولكي يعرف بذلك اختصاصه بكرامة ربه رسالة بآية بينة. فانما عليه الإلقاء وعلى الله قلبها بذلك حية تسعى ، ثم عليه أخذها وعلى الله ان يعيدها سيرتها الاولى ، وقوعا للمعجزة في صورتها الاخرى كما كانت العصا في حالتها الاولى.

ولماذا **﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾** دون صورتها ، حيث الصورة الأولى لا تلازم السيرة الاولى ، فقد يجوز ان تتصور الحية بصورة العصا ، ولكن السيرة الاولى وهي الخشبية تلازم صورتها الاولى.

وترى ما هو عامل النصب ل «سیرتها» انصبا بنزع الخافض؟ : الى سيرتها الاولى ، ام بفعل مقدر من نفس السيرة : تسير سيرتها الاولى ، والحذف دون مرجح ولا قرينة خلاف الفصاحة!.

«نعيدها» ادبيا تتطلب مفعولا ثانيا هو بطبيعة الحال **﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾** وهو المتعين معنويا حيث الإعادة متعلقة بحية تسعى ، والمعاد هنا ليست الصورة الاولى بل مثلها ضمن السيرة الاولى الخشبية ، والمادة نفس المادة ، زيدت لها صورة حية تسعى بسيرتها ، ثم أعيدت المادة نفسها الى ما كانت

سيرة وصورة ، وذلك إعادة مثل الصورة الاولى الى المادة وليست هي الالهيه .  
 وإعادة صورتها الاولى نفسها مستحيلة في بعدين ، إعادة المعلوم فانها ممتنعة ،  
 وتبديل المادة صورة بلا مادة ، واما إعادة سيرتها فليست إعادة شيء بل هي تعني قلب  
 الصورة الثانية وسيرتها الى الصورة الاولى وسيرتها والمادة هي المادة .  
 فهنا في قلب العصا حية تسعى ، قلب لصورة العصا وسيرتها ، إعدامها لهما الى اخرى  
 ، ثم في إعادة سيرتها الاولى سلب اول هو سلب روحها ، وسلب ثان هو سلب صورة  
 الحية ، وبينهما خلق لمثل الصورة الاولى ، ومجموع هذه الثلاث عبر عنها بإعادتها .  
 هناك قال موسى عن عصاه ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ .. عصى لمآربه كموسى ،  
 وهنا انقلبت الى عصى الرسالة حيث يتوكؤ عليها فيها ، ويهش بها على غنمه . وهي أمته .  
 هشا ، ولانفجار اثنتي عشرة عينا من الحجر ، ولنفس العدد طريقا ييسا في البحر ، ثم له  
 فيها مآرب اخرى قدّرها الله لهذه العصا ، علّ منها مآرب القائم المهدي (صلوات الله عليه)  
 من هذه العصا أفضل مما كان لموسى .

هذه آيتا العصا ، ومن ثم آية اليد البيضاء ، وهي ألصق به من الآية الاولى :

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ ٢٢ .

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ  
فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٢٨ : ٣٢).

الجناح هو الكتف والإبط تشبيهاً بجناح الطائر حيث يعنى منه هنا ان يجنح طائر  
الرسالة الموسوية الى محطة الدعوة القاسية الفرعونية ، فأصبحت اليد والعصا برهانين من ربه  
الى فرعون وملئه.

و ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ تعني ان بيضاءها سليمة دون برص أو مرض <sup>(١)</sup> ، فلذلك ، ترجع  
الى ما كانت كما أعيدت العصا الى سيرتها الاولى.

وقد خرجت يد موسى . وعلّها هي اليمنى . بيضاء مشرقة وقد كانت سمراء <sup>(٢)</sup> وقد  
تكون اشارة الى اشراقه اليد الرسالية الموسوية في بلاغها ، وكما خرجت مشرقة في بلوغها ،  
فهنا موسى يسلك يده ويدخلها تحت إبطه ، وقد صور له صورة الجناح لما فيها من رفعة  
وطلاقة في ذلك الموقف المجد الطليق من رتبة الأرض وثقله الجسم لتخرج بيضاء من غير  
سوء آية اخرى.

﴿لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ٢٣.

«لربك» قد تتعلق ب «ألقها» و «اضمم» كبدائية وتقديم : قلنا لك

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٧٥ في كتاب طب الائمة باسناده الى جابر الجعفي عن الباقر (عليه السلام) في الآية قال  
: يعني من غير مرض وفي البرهان ٣ : ٣٥ عن ابن بابويه بسند عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : من  
غير مرض.

(٢) البرهان ٣ : ٣٥ . عن تفسير القمي بسند عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : كان موسى شديد السمرة  
فاخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا.

ألقها واضمم لنريك ... وأخرى ب «أذهب» كغاية : اذهب لنريك من آياتنا الكبرى ، كما قدمنا لك من آياتنا الصغرى مثالا ونموذجا للكبرى ، وحقا إن الآيات التي أوتيها موسى هي من الآيات البصرية الكبرى ، لها دلالاتها البالغة القصوى ، آيات لفرعون وملئه ، وأخرى لهم ولقوم موسى .

وترى إذا كانت العصا واليد البيضاء ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ فكيف تكون آية القرآن هي الكبرى وهي في القمة العليا ، لا نظير لها ولا تسامى ؟.

«من» هنا تعني أنها البعض من الكبرى ، مهما كانت الكبرى درجات ، كما أولوا العزم من الرسل خمسة وهم درجات ، ام تعني . فقط . الآيات البصرية وهي في الحق من الكبرى ، وقد تسامي آيات بصرية لرسول الهدى ، وأما الآية البصرية فهي منحصرة في القرآن ، منحصرة عما سواه من كتابات الوحي ، فلا تعنيها هنا «الكبرى» لأنها الوحيدة لا تناظر او تسامى ، فلا تدخل في نطاق الجمع من ﴿آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ وهي الكبرى الوحيدة غير الوهيدة بأية نظيرة في آيات الرسالات ، لأنها منقطعة النظير بين كل بشير ونذير!

﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ٢٤ .

يذكر فرعون في اربعة وخمسين موضعا من الذكر الحكيم ، مما يدل على مدى فرعنته العينة ، ثم «الشيطان» في (٦٨) مهما ذكر إبليس (١١) مرة ، والمجموع تزيد خمسة وعشرين على فرعون ، فهو . إذا أخ له كبير بين الملائين الملائين من اخوته الشياطين! ولما تبلغ الفرعنة الى ذلك الطغيان على الله ادعاء للربوبية : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ



**الْأَعْلَى** ﴿٢٠﴾ ، وعلى عباد الله استخفافا فتعبدا له : ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ﴾ عند ذلك التمرّد والتمرد التفرعن يؤمر موسى بالذهاب اليه ، دون نظرة لذهاب فرعون اليه ، إذ صده طغيانه عن الله فضلا عن رسول الله!

فالى هنا كان الوحي بآياته لموسى نبوءة دون رسالة ، وهنا بزغت الرسالة الضخمة الصعبة الملتوية ، فلقد عاش جوا من طغيان الفرعنة ردحا من عمره ، فلا يرى من نفسه بنفسه نجاحا تاما في هذه الرسالة الا بإمدادات ربانية ، فليسأل ربه في هذه الحضرة المباركة ما يطمئنه في هذه المواجهة الخطيرة ، ويكفل له قوامه في هذه الرسالة ، فلذلك :

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦ وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ٢٨.

هنا يتطلب نصره ذاتية متصلة بساحة هذه الرسالة في بنود ثلاثة ، ومن ثم نصره منفصلة في ثلاثة أخرى هي أزر للأولى وأولى له ثم أولى ان يستعد بزد أزيد وراحلة ارحل في هذه السفرة الشاقة الطويلة ، لا لأمر إلا ل ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾!

نرى سؤال موسى هنا في احدى عشر آية ، لم يكن ليسألها قبل امر الرسالة ، مما يدل على انها كلها سؤال الرسالة بمسؤولياتها الخطيرة.

والبند الاول من سؤاله الاول ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وذلك شرح لتلك الرسالة بعد شرحه للوحي النبوءة فليس . إذا . سؤالاً لسؤال حاصل ، فانه سؤال جاهل ، وسؤال قاحل ، فقد اختاره الله حين اوحى اليه ، وكيف يختار ضائق الصدر عن تلقي الوحي؟ وكما شرح الله صدر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وان كان دون سؤال : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ

**صَدْرَكَ** ﴿لَكَ﴾ كرسول الى قوم لدوامه خالدة ، وكذلك لموسى الى فرعون اللدود وامة للودة.

فانشراح الصدر لنبوءة الوحي أمر ، وانشراحه للرسالة بعدها والنبوءة أمر آخر ، حيث يلتقي فيها جماهير الامة ، ومكذبو الرسالة ، فلكل مجال حال ولكل حال مجال ، ولكل هدى شرح للصدر كما لكل ضلال ضيق : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ﴾ (٦ : ١٢٥).

فانشراح الصدر في سبيل الرسالة يحول مشقة المسؤولية الكبرى الى متعة ، وعناءها الى لذة ، مهما كانت السبيل شاقة شائكة وملتوية طويلة ، وهنالك ينجح الرسول وتنجح الرسالة في هدفها الأسمى بمكانتها العليا.

اجل انه وجد لنفسه ضيقا في هذه الرسالة دون ما قبلها : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمٌ فَرَعُونَ إِلَّا يَتَّقُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ. وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾ (٢٦ : ١٤) فشرح الله صدره عن ضيقه في نفسه وبوزيره هرون.

وفي تقديم نداء الرب في الدعاء «رب» تعليم لكيفية الدعاء أنها تبدأ باسم الربوبية ، فان من قضيتها الاستجابة بعد الدعاء بشروطها ، والتربية الرسالية تتطلب في سؤلها شرح الصدر عطاء من الله ، كما تتطلب العصمة الإلهية.

و «لي» هنا دون «لنا» دليل الاختصاص لذلك الشرح ، فللمؤمنين به ، الصابرين معه ، المشابرين على إيمانهم ، إن لهم شرحا كأمة ، ولموسى الرسول شرح كرسول واين شرح من شرح؟.

اجل «اشرح لي» فانا الذي امرتني بالذهاب الى فرعون ، اشرح لي حتى لا يضيق إذا ازدحمت عليّ عقبات الدعوة وخلفيات الدعاية.

والبند الثاني : ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ وطبعاً هو امر الرسالة المعسور ، يتطلب الى ربه ان يجعله الميسور ، وليس ذلك سؤالاً لتخفيف في رسالته ، ام لتطفيف عن وحيه ودعوته ، كأنه يباين سؤال الرسالة ، فانه مزيد منها في كل حلقاتها ، وحيها وآية وسعة في دعوة ودعاية.

انما هو يسرها لموسى على عسرهما ، بمثلث من التأييد الرباني ، مزيداً في تصوّره ، ووزيراً من اهله ، وتأيداً في نجاحه من عنده تيسراً للعسير ، لا تقليلاً للكثير ، فانه حط من ساحته ، ومسّ من كرامته ، وكيف يدعو عاقل ربه هكذا فضلاً عن نبي كموسى!.

ففي ذلك التيسير ضمان لنجاح الرسالة ، مهما أؤذي الرسول في سبيلها ، حيث المهدف الأسمى منها نجاحها ، لا أرباحية الرسول في حياته الدنيوية دونما أية صعوبة ، فان طبيعة كل رسالة هي الدوائر المتربصة بها ، المحتفة عليها ، كلما كانت الرسالة أوسع ، والمرسل إليهم اشرس ، فدوائر السوء عليها اكرس واكثر.

والبند الثالث : ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

ففقّه القول الرسالي ضرورة في متن الرسالة ، فلتحلل كافة العقد عن لسان الرسول حتى يفقهوا ما يقول.

أترى «عقدة» هنا كانت حبسة في لسانه لحلل عضوية<sup>(١)</sup>؟ وتلك حبسة في أوصل وسائل الرسالة ، ونقص في الرسول ، فان السنة القولية هي

(١) في نور الثقلين ٣ : ٣٧٧ عن تفسير القمي حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن .

من مثلث السنة المعصومة الرسالية ، بل هي أولها دلالة مهما كانت العملية أولها تأثيرا ،  
فقصور اللسان ام تقصيره في بلاغ الرسالة خلاف كونه حجة بالغة الهية ، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ  
الْبَالِغَةُ﴾!

ثم ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ  
يُكَذِّبُون﴾ (٢٨ : ٣٤) انها تكذب نقص العضو ، وتحبس عن لسانه حبسته العضلانية ،  
فان معقود اللسان ليس فصيحاً حتى يكون هارون افصح منه.

ثم الفصاحة ليست سبب التصديق ، ولا خلافها سبب التكذيب ، قرب فصيح  
يكذب ، ورب غير فصيح ام اخرس يصدق!.

فتلك إذا عقدة عن الإفصاح تقية أمّا هيه ، فحل عقدة هنا هو إزالة التقية عن لسانه  
وكفاية سطوة فرعون وغواته ، حتى يؤدي عن الله آمنا ، ويقول متمكنا لا خائفا ولا وجلا ،  
فلا يكون معقود اللسان بالتقية ، ومعكوم الفم بالخوف والمراقبة.

فتراه يقول ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلْ إِلَى هَارُون﴾.

. العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلما  
يلدون ويرى موسى ويكرمه ولا يعلم ان هلاكه على يده فلما درج موسى كان يوما عند فرعون فعطس موسى  
فقال : الحمد لله رب العالمين . فأنكر فرعون ذلك عليه وقال : ما هذا الذي تقول؟ فوثب موسى على لحيته وكان  
طويل اللحية فهلبها اي قلعه فآلمه ألما شديدا فهم فرعون بقتله فقالت له امرأته : هذا غلام حدث لا يدري ما  
يقول وقد لطمته بلطمتك إياه فقال فرعون : بل يدري فقالت له : ضع بين يديه تمرا وجمرا فان ميز بينهما فهو  
الذي تقول فوضع بين يديه تمرا وجمرا وقال له : كل فمد يده الى التمر فجاء جبرئيل فصرفها الى الجمر فأخذ  
الجمر في فيه فاحترق لسانه وصاح وبكى فقالت آسية لفرعون : ألم اقل لك انه لم يعقل فعفى عنه.

وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٦﴾ (١٤ : ٢٦) فكما ان ضيق صدره كان بالنسبة لهذه الرسالة ، كذلك عدم انطلاق لسانه لأنه ربي عند فرعون وليدا ، وقتل من غواته نفسا ، وطبيعة الحال هنا تقتضي بثقال اللسان مهما كان فصيحاً ، وتكذيبه وهو اصدق الصادقين: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ. فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٢٦ : ٢٢).

فقد يعقد لسان المتكلم الفصيح لعقد نفسانية ام خارجية ، فلا يسطع افصاحا لمرامه ، او مضيا في مرامه ، او يطلق لسان غير الفصيح ، وحتى المعقود اللسان او الأخرس ، لطلاقة نفسية وتجاوب خارجي ، وموسى على سابقته ، بمجاهة فرعون أن قتل منه نفسا ، رغم تربيته الولادية عنده ، ما كاد ليفصح عما يروم ، صدا نفسيا عن إفصاحه ، وآخر خارجيا وجاه فرعون وغواته ، فلا بد له إذا من وزير تخفيفا عن وزره ، وشدا لأزره ، وردءا لكلامه.

هذا وان كنا قد نصدق حسب الرواية هذه الحبسة العضوية الى حين الرسالة ، حفاظا على حياة موسى ، ولكنها حلّت منذ الرسالة بدعائه المستجاب : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ وقد تلمح «عقدة» منكورة دون «العقدة» انما تعني العقدتين وقد حللتهما بازالة الرثة العضوية والضيقة النفسانية ، ثم بأخيه هارون رداً يصدق.

ومن هنا يبدأ بتطلب سؤله الثاني في بنود ثلاث ليكمل الأول في إنجاح رسالته.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ٢٩ هَارُونَ أَخِي ٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ٣١

وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ .

وهنا البند الأول ﴿وَزَيْرًا مِنْ أَهْلِي﴾ وهو حامل وزر الرسالة الموسوية وحيا ودعوة ودعاية ، فكما الله وضع عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وزره بوزيره علي (عليه السلام) أخيه ، كذلك يضع عن موسى وزره بهارون أخيه ، وكما تواتر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي» فعلي يحمل وزر الرسالة المحمدية دون وحي ورسالة ، وهارون يحمل وزر الرسالة الموسوية بوحي ورسالة ، والوزارة هنا كالوزارة هناك إلا النبوة.

والوزير من الوزر : الثقل . حيث الوزير يحمل ثقل الملك مع الملك ، ام من الوزر : الجبل الذي يلتجئ اليه ، حيث الملك يلتجئ اليه في مهامه ، والاول اسلم لساحة النبوة حيث يكون فيه الوزير الحامل الثاني لحمل الملك وعبأه ، وهو الشخصية الثانية لمسؤولية القيادة العليا ، زمنيا او روحيا ام كليهما ، كما هما حق للقادة الروحانيين أنبياء وأئمة وعلماء ربانيين.

ثم البند الثاني والثالث هما كتفسير وإيضاح لحدود الوزارة ، فشد الأزر هو تحكيم القوة الرسالية والعون فيها ، والشركة في الأمر هي في أمر بلاغ الرسالة بالوحي ، وليس الوحي فقط إذ لم يكن عبئا عليه شخصا ، وإنما هي في حمل الرسالة بكل مسؤولياتها ، واما الدعاية لها والدعوة إليها بعد بلاغها الرسالي ، فهو على عواتق المؤمنين بها ككل ، دون اختصاص بوزير من اهله ، فإنهم كلهم وزراءه في ذلك الأمر قضية الإيمان به ، فالوزارة . إذا . منصب خاص يتلو منصب القيادة العليا بانتصاب إلهي ليس إلا.

فلتكن الشركة المعنية هي في شؤون الرسالة وقيادتها الشاملة روحيا وزمنيا ، فهو النائب الاول ، والوزير الوحيد في كل ما قل وجل من

الشؤون الاصلية الرسالية كما هي على عاتق موسى ، إزرا وردءا وتصديقا لتلك الرسالة السامية ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾ (٢٨ : ٣٤).

وقضية الحال هنا ان لو دام هارون بعد موسى لكان خليفته في رسالته ، فان الوزير في حياة الأمير هو الشخصية الاولى بين الشعب في كافة شروط القيادة ، فهو الأمير بعد وفاته دون سواه.

هنا ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ تقتضي الشركة في كافة شؤون الرسالة ، وحيا وبلاغا وحجة أما هيه ، ولذلك نرى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يجعل عليا منه كما هارون من موسى ثم يستثنى النبوة.

ولا فحسب ان عليا (عليه السلام) وزير الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في متواتر السنة تنظيرا بآية الوزارة ، بل وهو اخوة وولده بل ونفسه المقدسة لآية المباهلة ومتواتر السنة ، فقد كملت الشروط وافية فيه لعرش الخلافة الاسلامية ، ولادة واخوة ووزارة ونفسية نفيسة هي انفس القواعد الأربع لعرش الخلافة.

ولنرجع هنا الى مادة الدعاء لموسى في هذه الوزارة السامية ، لكي نتعرف الى الوزارة العلوية العالية ، وعلى ضوء متواتر الرواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على غرار الآية وقرارها.

﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا...﴾ دليل ان جعل الوزارة الرسالية مخصوص بالله ، وليس للرسول أن ينتصب لنفسه وزيرا في أمره فضلا ، عن أمته فكما الرسالة هي من الله ، كذلك وزارتها من الله ، والا فلما ذا يسأل الله ان يجعل له وزيرا.

و «من اهلي» وطبعا هي الأهلية الرسالية دون التسمية فحسب ، ولا سواها من أهليات لا تؤهل لوزارة الرسالة.

﴿هَارُونَ أَخِي﴾ ويا للأهلية من جمع جميل ان تعم جانبي الرسالة والرسول ، فهارون اهل لذلك الرسول رساليا ، واهل له نسبيا ، فهو اخوه في كلتا المرحلتين.

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ والأزر من إزار الرجل وهو الموضع الذي يشده إذا استعد لصعاب الأمور ، وهارون يشد أزر موسى في بلاغ الرسالة رساليا ، لا فقط إيمانيا ، فانه يعم كافة المؤمنين بهذه الرسالة ، ولذلك يلحق اشراكه في الأمر بشد الأزر.

﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ شركة رسالية في كافة بنودها دونما إبقاء لواحدة منها ، إلا ان موسى هو القائد الرسالي وهارون وزيره.

فالأزر هنا هو ظهر الرسالة الموسوية ، لا يشد إلا بمظاهر رسالي من نفس النمط وهو عضد الرسالة كما قال ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾ (٢٨ : ٣٥).

وقد تنطبق هذه المواصفات بصورة اجلى وسيرة اسمى وأعلى في وزارة علي (عليه السلام) للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) فسورة الإنشراح تشرح آية الوزارة ، ومتواتر الرواية عن طريق الفريقين يؤكد ذلك الشرح.

هنا تعالى معي الى سرد لألفاظ ما أخرجه الحفاظ والرواة عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) لتعرف ابعاد هذه الوزارة العلوية العلوية.

لقد روى حديث المنزلة أول ما روى الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) عن الله تعالى إذ «هبط جبرئيل على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم)



وسلم) فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول لك : علي منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك»<sup>(١)</sup>.

ومن ثم يكرره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في عدة مواطن وقد رواه عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) جماعة من الصحابة منهم الإمام علي (عليه السلام) نفسه ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد ان يغزو غزاة فدعى جعفرًا فأمره ان يتخلف على المدينة فقال لا أتخلف بعدك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فدعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعزم علي ان أتخلف قبل ان أتكلم قال فبكيت فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يبكيك يا علي؟ قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يبكي خصال غير واحدة ، تقول قريش غدا ما أسرع ما تخلف عن ابن عمه وخذله ، وتبكي خصلة أخرى كنت أريد ان أتعرض للجهاد في سبيل الله لأن الله تعالى يقول : ﴿وَلَا يَطُوتُ مَوْطِنًا يَعْغِطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فكانت أريد ان أتعرض لفضل الله ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اما قولك يقول قريش ما اسرع ما تخلف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخذله فان لك بي أسوة ، قالوا لي ساحر وكاهن وكذاب ، واما قولك : أتعرض الأجر من الله اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه جماعة عن اسماء بنت عميس عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم محب الدين الطبري في الرياض النضرة (٢ : ١٤٤) وفي ذخائر العقبى ص ٦٤ والقندوزي في ينابيع المودة ص ٢٠٤ .  
(٢) رواه جماعة من القوم منهم النيسابوري في المستدرک ٢ : ٣٣٧ والحموي في فرائد السمطين والذهبي في تلخيص المستدرک والهيثمى في مجمع الزوائد ٩ : ١١٠ والمتقي الهندي في منتخب كنز العمال ٥ : ٥٥ والبدرخشي في مفتاح النجا ص ٤٥ والحلي في انسان العيون (٣ : ١٣٢) والبغدادى في تاريخه ٧ : ١٩٤ .

ومنهم عمر بن الخطاب انه رأى رجلا يسب عليا فقال اني أظنك منافقا سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : انما علي مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا انه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>.

ومنهم معاوية بن أبي سفيان حيث سأله رجل عن مسألة فقال : سل عنها علي بن أبي طالب (عليه السلام) فانه اعلم ، قال : يا امير المؤمنين قولك فيها أحب الي من قول علي فقال : بئس ما قلت ولؤم ما جئت به لقد كرهت رجلا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يغره العلم غرا ولقد قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي ولقد كان عمر بن الخطاب يسأله فيأخذ عنه ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه شيء قال : ها هنا علي ، قم لا اقام الله رجلك ومحى اسمه من الديوان»<sup>(٢)</sup>.

ولقد روى حديث المنزلة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بألفاظ عدة في مواطن متعددة ثلثة من الأصحاب<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أخرجه عنه جماعة منهم البغدادي في تاريخ بغداد ٧ : ٤٥٢ ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ٢ : ١٦٢ وقلندر الهندي الحنفي في الروض الأزهر ص ٩٨.

(٢) أخرجه عنه جماعة منهم ابن المغازلي في كتاب مناقب امير المؤمنين (عليه السلام) والطبري في ذخائر العقبى ص ٧٩ عن الامام احمد في المناقب وفي الرياض النضرة ٢ : ١٩٥ والحموي في فرائد السمطين والواسطي في المناقب ص ١١٨.

(٣) مثل سعد بن أبي وقاص ٣ . وجابر بن عبد الله الأنصاري روي عن عشرة كتب ٤ . وأبي سعيد عن ١٥ ، ٥ . وحبشي ابن جنادة السلولي عن ٤ ، ٦ . وسعد بن مالك عن ٥ ، ٧ . واسماء بنت عميس عن ٨ ، ٨ . وابن عمران عن ١٠ ، ٩ . وابن أبي ليلى عن .

وهؤلاء الأعاضم كلهم سمعوا حديث المنزلة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخرجه عن كل منهم جماعة من الأساطين وهم حسب ترتيب العدد يذكر بعضهم في الهامش.

. كتب عدة ، ١٠ . ومالك بن الحريث عن كتب عدة ، ١١ . وسفيان الثوري عن ٣ ، ١٢ . وابن عباس عن ستة ، ١٣ . وام سلمة عن عدة كتب ، ١٤ . وعبد الله بن مسعود ، ١٥ . وانس بن مالك ، ١٦ . وزيد بن أرقم ، ١٧ . وأبي أيوب ، ١٨ . وأبي بردة ، ١٩ . وجابر بن سمرة ، ٢٠ . وغيرهم من الصحابة والتابعين من الحفاظ والمحدثين كلهم عن كتب معدودة هنا وغير معدودة وإليكم أسماء قسم من الكتب :

٣ . فسعد بن أبي وقاص يرويه عنه إبراهيم بن سعد رويناه عن أربعة وعشرين من كتب أعاضم محدثي العامة ، وعائشة بنت سعد عن تسعة كتب وعامر بن سعد عن خمسة عشر ومصعب بن سعد عن احد وثلاثين وسعيد بن المسيب عن تسعة عشر ، وحديث آخر عنه عن أربعة ، وعبد الدين سعد عن ثلاثة وعبد الله ابن بديل عن عدة كتب.

٤ . وجابر بن عبد الله أخرجه عنه احمد بن حنبل في المسند ٣ : ٣٣٨ والترمذي في صحيحه ١٣ : ١٧٥ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣ : ٤٨٨ وابن الأثير في جامع الأصول ١ : ٤٦٩ والحموي في فرائد السمطين والقشيري في البداية والنهاية ٧ : ٣٤١ والعسقلاني في لسان الميزان ٥ : ٣٧٨ والسيوطي في ذيل اللغالي ص ٥٩ والمبيدي في شرح الديوان ١٧٣ والواسطي في المناقب ١١٨ .

٥ . وابو سعيد أخرجه عنه وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣ : ٢٤ والقشيري في تاريخ الرقة ١٣٣ وابن المغازلي في المناقب واليتمى في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٩ والهروي القاري في شرح العين ٣٥٦ والقندوزي في ينابيع المودة ٥٠ والنبهاني في الفتح الكبير ٣ : ٣٤٣ واليتمى في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٩ والنعساني في تعليقه على تاريخ الرقة ١٣٣ .

٦ . وحبشي بن خباء أخرجه عنه ابو نعيم في اخبار اصبهان ١ : ٢٨١ والنعساني ١٣٣ والطبراني في المعجم الصغير ١٩٠ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٩ .

٧ . وسعد بن مالك أخرجه عنه ابن سعد في الطبقات ٣ : ٢٤ واحمد بن حنبل في .

- ١٧٣ : ١ و ٥٧ : ٣ و ٦٦ و ٧٤ وفي المناقب ٣ : ١٢٤ والنسائي في المخصص نص ١٧ .
- ٨ . واسماء بنت عميس أخرجه عنها الامام احمد في المستدرک ٦ : ٤٣٨ والفصائل ٣ : ١٠٧ والنسائي في الخصائص ١٧ والبغدادی في تاريخه ١٠ : ٤٣ و ١٢ : ٣٢٣ وابن عبد البر في الاستيعاب ٣ : ٤٥٩ والحموي في الفرائد والذهبي في تاريخ الإسلام ٤ : ٩٤١ والهيثمي في مجمع الزوائد .
- ٩ . وابن عمران أخرجه عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١١٠ .
- ١٠ . وابن أبي ليلى أخرجه عنه المتقي الهندي في منتخب كنز العمال ٥ : ٣٠ .
- ١١ . ومالك بن الحريث أخرجه عنه البخاري في التاريخ الكبير ٤ : ٣٠١ .
- ١٢ . وسفيان الثوري أخرجه عنه الخطيب في ٤ : ٧١ من تاريخه وفي موضع أوهام الجمع والتفريق والطبري في الرياض النضرة ٣ : ١٦٣ .
- ١٣ . وابن عباس أخرجه عنه ابو نعيم في تاريخ اصفهان ٣ : ٣٢٨ وابن المغازلي في المناقب وابن عساكر في التاريخ الكبير ١ : ١٠٧ والهيثمي في المجمع ٩ : ١٠٩ والبدخشي في مفتاح النجاة ٤٤ والقندوزي في ينابيع المودة ٢٣٤ .
- ١٤ . وام سلمة أخرجه عنها الدمشقي في البداية والنهاية ٧ : ٢٤١ والهيثمي في المجمع .
- ١٥ . وابن مسعود أخرجه عنه ابن المغازلي في مناقبه .
- ١٦ . وانس بن مالك أخرجه عنه ابن المغازلي والمتقي الهندي في منتخب كنز العمال ٥ : ٢١ .
- ١٧ . وزيد بن أرقم أخرجه عنه الشفشأوي في سعد الشموس والأقمار ٣٠٩ والهيثمي في مجمع الزوائد .
- ١٨ . وابو أيوب أخرجه عنه الهيثمي في المجمع ٩ : ١١١ .
- ١٩ . وابو بردة أخرجه عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ٢٣ .
- ٢٠ . وجابر بن سمرة أخرجه عنه القندوزي في الينابيع ٥٠ والهيثمي في المجمع .

وكل هذه الاخراجات متفقة في «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» ام بزيادة «اما ترضى» ثم «الا انه لا نبي بعدي» <sup>(١)</sup> «لا نبوة بعدي» <sup>(٢)</sup> «لا نبوة بعد نبوتي» <sup>(٣)</sup> «الا النبوة» <sup>(٤)</sup> «لا نبي معي» <sup>(٥)</sup>. «غير انه لا نبي» <sup>(٦)</sup> «ولو كان لكانته» <sup>(٧)</sup> «إلا انك لست بنبي» <sup>(٨)</sup> «الا

- 
- (١) هذا هو الأكثر المطلق ويعني «من بعدي» من بعد نبوتي لا بعد وفاي ، كما يفسره سائر النصوص.
- (٢) أخرجه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ١٤٨ عن عدة طرق عن سعد بن عامر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) واحمد بن حنبل في المسند ١ : ١٨٥ وجماعة آخرون من الحفاظ.
- (٣) أخرجه الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء ٧ : ١٩٥ والنسائي في الخصائص ١٥ .
- (٤) أخرجه الشيباني المروزي في المسند ١ : ١٧٠ وفي الفضائل ، والنسائي في الخصائص ١٤ و ١٦ والحموي في الفرائد والدمشقي في البداية والنهاية ٧ : ٣٤٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ٦ : ١٥٣ وعبد الرحمن الرازي في علل الحديث ٢ : ٣٩٠ والخطيب في تاريخه ٨ : ٥٢ وابن المغازلي في المناقب كلهم عن عائشة بنت سعد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والبخاري في التاريخ الكبير ١ : ١١٥ عن سعد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (٥) أخرجه ابن المغازلي الواسطي في المناقب والقندوزي في ينابيع المودة ٨٦ .
- (٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٦ : ١٠٧ دخل سعد على معاوية فقال له بعد مكالمته بينهما : انك لتأمرني ان أقاتل رجلا سمعت فيه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي فقال له معاوية من سمع هذا معك قال : فلان وفلان وام سلمة.
- (٧) الخطيب البغدادي في تاريخه ٣ : ٢٨٨ بسند متصل عن جابر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعد ولو كان لكانته.
- (٨) أخرجه ابن المغازلي في مناقبه والبدخشى في مفتاح النجا ٤٤ مخطوط وابن سعد في طبقات الكبرى ٣ : ٢٤ عن البراء بن عازب وزيد ابن أرقم.

النبوة وأنت خليفتي»<sup>(١)</sup> «انه لا ينبغي ان اذهب الا وأنت خليفتي»<sup>(٢)</sup> صارخة صارخة ان لا استثناء عن تلك المنزلة الا منزلة النبوة ، حيث ختمت بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه التصريحات العشر.

وقد يروى عن رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله «يا علي أنت مني بمنزلة هبة الله من آدم ، ومنزلة سام من نوح ، ومنزلة إسحاق من ابراهيم ومنزلة هارون من موسى ، ومنزلة شمعون من عيسى الا انه لا نبي بعدي»<sup>(٣)</sup>.

وحديث المنزلة على ضوء آيتها ليس يثبت لعلني (عليه السلام) فقط الخلافة بعد الرسول ، بل الوزارة زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والوزير في حياة الرسول ، أخرى ان يكون الأمير بعد وفاته.

وهذه قلة من ثلة من أحاديث المنزلة والتفصيل الى المفصلات.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ ٣٦.

والسؤال هو الحاجة وهي هنا حاجة عضد الرسالة وأزرها ، وقد أوتيت لموسى ، وكذلك سأل الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأخيه

١. واحمد بن حنبل في مسنده ١ : ٢٣٠ والفضائل ٢ : ٢٤٠ والنسائي في الخصائص ٨ والنيسابوري في المستدرک ٣ : ١٣٢.

(١) أخرجه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ٢٣ عن أبي بردة قال خرج علي ...

(٢) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ٧ : ٣٣٨.

(٣) البحار الطبعة الحديثة ٣٧ : ٢٠٤ بالإسناد عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والإخراجات السابقة نقلناها عن تعليقات احقاق الحق للعلم الحجة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ج ٥ ص ١٣٢ - ٣٣٤.

علي (ع) ما سأله موسى لأخيه هارون فأوتي سؤله <sup>(١)</sup> واين سؤال من سؤال وسؤال من سؤال ، فقد سجل سؤال موسى بسؤله في الذكر الحكيم في آيات بضع ، وسجل سؤال الرسول دون سؤال في سورة الانشراح!

هذه هي المنة الثالثة على موسى ، وقبلها اصل الوحي والرسالة ، وقبلهما : ولقد مننا

...

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨)﴾

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٩٥ . اخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن اسماء بنت عميس قالت رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بإزاء ثبير وهو يقول أشرق ثبير أشرق ثبير اللهم اني اسألك بما سألك اخي موسى ان تشرح لي صدري وان تيسر لي امري وان تحل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به أزري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وفيه اخرج السلفي في الطيوريات بسند عن أبي جعفر محمد بن علي قال : لما نزلت ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على جبل ثم دعا ربه وقال : اللهم اشدد أزري باخي علي فأجابه الى ذلك وروى ابو نعيم الحافظ باسناده عن رجاله عن ابن عباس قال أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويدي ونحن بمكة وصلى اربع ركعات ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم ان نبيك موسى بن عمران سألك فقال : رب اشرح لي صدري ويسر لي امري .. وانا محمد نبيك اسألك رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اخي اشدد به أزري واشركه في امري قال ابن عباس فسمعت مناديا ينادي : قد أوتيت سؤلك.

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَفَتَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠) وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي (٤١) اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّبْنَاءَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى (٤٦) فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ



إِنَّا أَنْ الْعَذَابِ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ ٣٧

وهي المنة الاولى وان كانت هي الاخرى بالنسبة لما هنا :

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ ٣٨

مهما بان البون بين وحيين ، فثانيهما ﴿مَا يُوحَى﴾ الى رسول الهدى وحي رسالي ،  
والاول وحي الهامي الى ام موسى وقد شمل ذلك الوحي نبأ عن وحي التكوين الى اليم وان  
يأخذه عدو لله وعدو لموسى .

وذلك المن الاول دون سؤال يؤكد تحقيق منه بسؤال ، ولا سيما بعد الرسالة ، وعلّ  
﴿قَدْ أُوتِيَ سؤْلَكَ﴾ تشمل كل سؤله منذ ولادته الى تربيته والى رسالته ومتطلباتها ، فان  
ذلك قضية الماضي المؤكد ب «قد» في ﴿قَدْ أُوتِيَ﴾ فمنه تعالى مرة اخرى وهي الاولى  
داخل في سؤله فانه ليس سؤالا حتى يختص بالحال ، بل هو حاجة تقتضيه الحال على اية  
حال ، سألها بلسان القول او الحال ام لم يسألها في مقتضى الحال .

ولماذا ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾ والمذكور في ما يوحى ممن ثمان؟ علّه لأنه نظرا الى حياته الرسالية  
وقبلها ، فالمن عليه في كل منهما مرة مهما كانت شتى ، فقبل رسالته منة هي ثمان ام تزيد ،  
وقبلها اخرى هي ستة ام تزيد فهما منتان كمجموعتين ، وهما ممن . لأقل تقدير . هي اربعة  
عشر كعديدها .

فالمن الاول من الأخرى : ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ فان مادة الوحي كانت

لصالح الحفاظ على حياة موسى :

﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ٣٩ .

أترى هذه المادة الهامة الخطيرة من وحي الإلهام كانت رؤيا في المنام ، كان تأويلها قذفه في التابوت ثم في اليم؟ وليست هنا لك قاطعية في تأويلات الروئيّ إلا ان يكون المؤول من الأنبياء ، والنص هنا لا يشير الى رؤيا ولا تأويله ولا نبي في البين!.

انها . بطبيعة الحال . وفي هذه الهامة الخطيرة ، إلهام الى قلبها في حدّ من الظهور والبهور لا يقبل اي تردد ، وكأنها تحس الواقع المستقبل من نجاة موسى ، لحدّ ألقتة في التابوت إلى اليم.

كيف لا و ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٤١) : (٣١).

أو ليست ام موسى من هؤلاء . وهي تحمل امانة الرسالة الإلهية . حتى تستحق نزول الملائكة عليها بذلك الوحي ، حفاظا على رسالة الوحي؟! وكما تمثل لأم عيسى روح الأمين ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ لكي يلقي إليها غلاما سويا.

فهنا أم موسى يوحى إليها ما فيه الحفاظ على وليدها ، وهناك ام عيسى يوحى إليها ليلقي إليها بشرا سويا ، وهما من أفضل الوحي فيما سوى النبوءة والرسالة ، ومن أدناه الوحي الى النحل ثم للأرض.

فما كل ما يسمى وحيًا ، يحمل رسالة إلهية ، وهو في الأصل اشارة في رمز تكويننا او تشريعا ، خيرا او شرا ، كما ﴿إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (٦ : ١٢١)! . وكما ان وحي الشيطان دركات ، كذلك وحي الرحمن درجات ، أدناها للأرض ، وأعلىها الى المرسلين وبينهما متوسطات.

فلقد قذف في قلب ام موسى لأول ما يوحي ﴿إِنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ ...  
 أم حنون تلد ولدا كموسى ، فبدل ان تحتضنه تقذفه في التابوت ، وهي ما يلقى في  
 الماء!

صحيح انها تاكدته وحيا من الله ، ولكنها كيف تجرء على الإقدام بما تؤمر ، والعاطفة  
 المرهفة والهيمان البالغ تمنعانها عن ذلك ، مهما الوحي يأمرها بذلك؟! .  
 هنا قذف في التابوت ، ثم قذف في اليم ، قد يلمحان بسرعة في العمل دون أية  
 رعاية ، تعجيلا دون اي تأجيل ، مما يوحش ولا سيما الأم الحنونة ، لولد تعرفه من هو؟! .  
 ولكننا النص التالي يطمئننا ان ليس في إلقاءه إلقاء : ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أمرا  
 تكوينيا لليم ان تلقيه من خضمها الى الساحل ، ثم امر آخر كما الاول لاقسى قلب واعصى  
 عبد : ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ وهو فرعون الطاغية ، عدو لله إذ ينكر ربوبيته بل يدعي  
 هو الربوبية بديله ، وعدو لموسى إذ يعلم ان بيده قضاء فرعنته وملكه ، ولذلك أخذ يقتل  
 الذكر ان من بني إسرائيل <sup>(١)</sup> ولكنه مأمور تكوينيا باختيار ان يأخذ عدوه موسى ويحتضنه

---

(١) بحار الأنوار ١٣ : ٢٥ عن تفسير القمي حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : لما حملت به امه لم يظهر حملها الا عند وضعها له وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط تحفظهن وذلك لما كان بلغه عن بني إسرائيل انهم يقولون انه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده فقال فرعون عند ذلك لأقمتن ذكور أولادهن حتى لا يكون ما يريدون وفرق بين الرجال والنساء وحبس الرجال في المحابس فلما وضعت ام موسى بموسى نظرت اليه وحزنت عليه واغتمت .

## ليحتزن به على جهله :

. وبكت وقالت : تذبح الساعة ، فعطف الله الموكلة بها عليه فقالت لام موسى مالك قد اصفر لونك فقالت : أخاف ان يذبح ولدي فقالت لا تخافي وكان موسى لا يراه احد الا أحبه وهو قول الله : وألقيت عليك محبة مني» فأحبته القبطية الموكلة به وانزل الله على ام موسى التابوت ونوديت : ضعه في التابوت فاقد فيه في اليم وهو البحر ولا تخافي ولا تخزي انا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فوضعت في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل وكان لفرعون قصر على شط النيل متنزه فنظر من قصره ومعه آسية امرأته الى سواد في النيل ترفعه الأمواج وتضربه الرياح حتى جاءت به على باب قصر فرعون فامر فرعون بأخذه فأخذ التابوت ورفع اليه فلما فتحه وجد فيه صبيا فقال : هذا إسرائيلي فالقى الله في قلب فرعون لموسى محبة شديدة وكذلك في قلب آسية وأراد ان يقتله فقالت آسية : لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذة ولدا وهم لا يشعرون انه موسى ولم يكن لفرعون ولد فقال التمسوا له ظفرا تربيه فجاءوا بعدة نساء قد قتل أولادهن فلم يشرب لبن احد من النساء وهو قول الله : وحرمنا عليه المراضع من قبل ....

وفي بحار الأنوار ١٣ : ٤٦ فض ضه روى مجاهد عن ابن عمرو وأبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خبر طويل قال : ان موسى بن عمران (عليه السلام) كان فرعون في طلبه بيقرب بطون النساء الحوامل ويذبح الأطفال ليقتل موسى (عليه السلام) فلما ولدته امه أمرها ان تأخذه من تحتها وتقذفه في التابوت وتلقي التابوت في اليم فقالت وهي ذعرة من كلامه يا بني اني أخاف عليك الغرق فقال لها : لا تخزي ان الله يردي إليك فبقيت حيرانة حتى كلمها موسى وقال لها : يا ام اقذيفيني في التابوت والقي التابوت في اليم قال : ففعلت ما أمرت به فبقي في اليم الى ان قذفه الله في الساحل ورده الى امه برمته لا يطعم طعاما ولا يشرب شرابا معصوما مدة.

وفيه عن الكافي عن سدير الصيرفي عن الصادق (عليه السلام) قال : ان فرعون لما وقف على ان زوال ملكه على يد موسى امر بإحضار الكهنة فدلوه على نسبه وانه من بني إسرائيل فلم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفا وعشرين الف مولود وتعذر عليه الوصول الى قتل موسى لحفظ الله تبارك وتعالى إياه.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...﴾ (٢٨: ٨).

هنا وهناك يطلعه ربه عرضا عليه من منته قبل رسالته ، ليزيد علما وطمأنينة انه لم يذهب ولن .. غفلا عن عين الله ورعايته حين ضعفه على اية حال ، فكيف يذهب غفلا في تلك الحال وقد بلغ أشده وأرسل بالوحي وآيات الرسالة القاهرة الباهرة؟.

أترى لماذا الإلقاء في التابوت وهي لحمل الجناز مما يخيف بدل ان يطمئن؟. «التابوت» معرفا دليل انه صندوق خاص ، وعل أصله «تابوه» من «تباه» العبرية (؟؟؟) وهي بين : الصندوق . فلك نوح وتابوت العهد ، والهاء في آخر (تباه) إذا أضيفت الى كلمة اخرى تقلب تاء فيقال : تبت مكتايبت صندوق الرسائل.

إذا فالتابوت لغويا صندوق خاص فيه صيانة تامة لما فيه ، وشاهدا له قرآنيا ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢ : ٢٤٨).

فكما في هذا التابوت سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ، كذلك التابوت الذي قذف فيه موسى وقذف في اليم تحمله رعاية الله في خضم اليم ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾!

وعله هو التابوت الاول نفسه وقد وضع موسى فيه المن وعصا هارون

ولوحي العهد ، كما في الرسالة الى العبرانيين الاصحاح التاسع : وامر اللاويين ان يضعوا فيه كتاب التوراة بجانب عهد الرب في التابوت كما في تثنية التوراة ٣١ : ٢٥ .

وعلى اية حال هو فاعول يدل على مبالغة في معناه ، يوضع فيه الثمين الثمين حفاظا عليه . بالغاً . عن الضياع ، وقد يسمى تابوت الميت باسمه ، لأنه يصونه عن الضياع حيث كان يوضع في صندوق ويدفن معه بماله من حاجيات ضرورية حيوية عله يحتاجها في قبر! .

ولماذا ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ دون «الى الساحل»؟ علّ الساحل هنا مأمور كما اليم ، فاليم يلقيه بواسطة الساحل الذي يلتقيه ، فقد يلقي اليم ولا يتلقى الساحل ما ألقاه ، أم يتلقى الساحل ولكن اليم لا يلقي ، فهنا هما مأموران تكوينيا دون اختيار إلقاء وتلقيا ، وكما فرعون مأمور قذفا في قلبه تكوين الإختيار!

إذا فهنا أوامر اربعة ، أولاها لام موسى «وثانيها لليم : ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ﴾ وثالثها للساحل : «بالساحل» ورابعها فرعون : ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ .

وترى «اليم» هنا هو البحر؟ او النيل النهر؟ فلما ذا لم يأت كلّ باسمه الخاص! . انه البحر وعظيم النهر ، فلان النيل كان في عظمه كالبحر الملتطم ، لذلك جاء بصيغة اليم .

والضمائر الاربعة كلها راجعة الى موسى «اقذفه . فاخذفيه .. فليلقه .. يأخذه» فانه الأفصح الأصح من اختلاف المراجع ، في ادب اللفظ وادب المعنى ، حيث المحور الأصيل هنا هو موسى ، وما التابوت إلا

حاملًا له كسفينة مأمورة في امر اليم والساحل.

وكيف ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾؟ حيث ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ فان فرعون كان يعادي كل إسرائيلي عليه موسى ، فكان يعاديه كأحد منهم بهذه الحائطة ، واصل عداؤه لان بيده انهيته ، فلم ينج بهذه الطريقة الخارقة للعادة ان يأمر بأخذه من الساحل الا بما بقي عليه محبة منه ولحدّ تقول اهله : ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٨ : ٩) ! أحبته فأحبه فرعون خلافا لما يحكمه الجو الفرعوني !.

ف «ألقى» إلقاء خاص بالغاء كل بواعث العدا وكوارثه ، و «عليك» تجعل المحبة الملقاة سترا له يشمله كله ، فظاهره يجلب وباطنه يجذب ، اللهم إلا فيمن يعرفه من هو وهو يعاديه لأنه هو ، كفرعون الطاغية ، ولكنه عرفه بعد وعانده ما عانده.

وترى «مني» متعلقة ب «ألقى» : إلقاء مني؟ ام بمحذوف ك «حاصلة»؟ او المعنيان معنيان ، فكما المحبة ملقاة من الله كعناية خاصة ، كذلك هي حاصلة من قبل الله لمن يحب الله فيحبه الله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (١٩ : ٩٦).

فموسى وان لم يكن منذ ولادته كما وصف الله حتى يجعل له ودا . وهو كما وصف وفوقه . ولكنه يوده لأنه سيجعله رسوله ، فهو يصنعه على عينه ، وذلك فوق الايمان شريطة لاستحقاق الود من الرحمن.

ثم «محبة» منكورة تلمح الى ضخامتها وفخامتها القليلة النظير ، و «مني» تجعلها خاصة من لدنه ، فقد استقرت عليه محبة ربانية ، فلا يراه احد إلا أحبه دون ان يعرفه ، الا ان يعرفه عدو له.

فيا للقدرة العجيبة التي تجعل من المحبة اللينة الهينة درعا تتكسر عليها الضربات ،  
وتتحطم عليه الأمواج ، وتعجز كل قوّات الشر والطغيان عن ان تمس حاملها بسوء وان كان  
طفلا رضيعا ، كيف وقد بلغ أشده ، ثم حين عرفه عدوه يتربص به كل دوائر السوء فلا  
يقدر عليه او يغدر به حتى إذا أدركه الغرق ونجى موسى ومن معه!.

فالقوى الطاغية المتربصة بالطفل لا تقوى عليه على طغواها ، حيث ﴿مَحَبَّةً مِنِّي﴾  
تحرسه عنها ، دون نزال له ولا صيال ، وهي بكل صيال ونزال!.

ولماذا ﴿أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾؟ لأمر عدة تستحقها رحمة مني ولتضع على عيني»  
وهكذا يصنع الله على عينه من يشاء ان يلقي عليه محبة منه.

ام «ولتضع على عيني». ﴿أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ حيث الرسل صنائع الله يصنعهم  
على عينه كما يشاء ويصلح لحمل اعباء الرسالة الإلهية.

ف «عيني» هنا ، وهي ككل الرقابة ، تعني عين العلم والقدرة والتربية الربانية ،  
فمثلت العين التربوية الإلهية تصنعه كما يريد ، وليس يعني ان في الكون شيئا يغيب عن رؤية  
الله ، ولكنه يفيد الاختصاص بشدة الرعاية وفرط الحفظ والكلاءة ان تتربى بحيث أراك  
وارعاك ، فلان الحافظ لشيء في الأغلب يديم رعايته بعينه ، جاء هنا باسم العين بدلا من  
الحفظ ، تلطيفا في الكلام ، ومشاهدة لما بين الأنام ، فانه تعالى يكلمنا بالسنتنا.

وهذه الصناعة تحلق على كل كيانه وكونه ، منذ أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ، الى  
الولادة ، الى التربية ، الى النبوة والرسالة والنبوة ، الى ان قضى نجبه.



وقد تعني «ولتصنع» فيما عنته ، أمه ، فان صناعتها هي من صناعته في طيب الحمل والولادة ، وحسن الصنعة بائتمارها امر ربها في قذفها في اليم ، وما أجمله جمعا بين الصناعتين فإنهما صناعته ، ولأنه صيغة التذكير ، ليست لتختص بها فانها «لتصنعي» خطابا ، اللهم إلا في غياب الصيغة وهو بعيد عن السياق ، والجمع اجمع وأجمل.

أنت تصنع على عيني تحت عين فرعون عدوا لي وعدوا لك ، كما تحت عيني أمك ، فكما أنت على عين أمك بكل حنانها ، كذلك تحت عين فرعون وفي متناوله بلا أي حارس وعلى أشرف كل كارث ، ولكن عينه لا تمتد إليك إلا على عيني ، لأنني ﴿أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾!

وترى ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ مَيَّزَهُ لِمُوسَى وَحَتَّى عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِذْ لَمْ يَشْمَلْهُ النَّصْ ، وَلَمْ يَخْتَصْ بِنَصِّ آخَرٍ؟ ان الرسول محمد يفوق موسى ومن فوقه بفائقات عدة ، منها ان «لا تتم الشهادة إلا ان يقال : اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، ينادي به على المنابر فلا يرفع صوت بذكر الله عز وجل الا رفع بذكر محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) معه <sup>(١)</sup> وذلك قوله عز وجل ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾! وانه رسول الى النبيين كما الى جميع العالمين : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٧٩ في كتاب الاحتجاج روى موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي (عليهم السلام) قال : ان يهوديا من يهود الشام وأحبارهم قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) فلقد القى الله على موسى (عليه السلام) محبة منه؟ قال علي (عليه السلام) لقد كان كذلك ولقد اعطى الله محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هو أفضل منه لقد القى الله عز وجل عليه محبة منه فمن هذا الذي يشركه في هذا الاسم إذ تم من الله عز وجل به الشهادة فلا تتم الشهادة ...

وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ : أَأَفَرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَزْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٣ : ٨١﴾.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَفَتَلَتْ نَفْسًا فَنجَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ ٤٠.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨ : ١٣).

هنا . وبعد قذفه في اليم والتقاط آل فرعون له . تقصه أخته بأمر أمه فتبصر به عن جنب وهم لا يشعرون ، ولأنه لم يكن يرتضع من اي ثدي حيث حرمت عليه المراضع من قبل إلا امه ، عرضت لهم من يكفله رضعا ونصحا ، كفالة لحاجته روحية اضافة الى بدنية ، وهم بطبيعة الحال يفتشون عن هكذا مرضعة .

﴿إِذْ تَمْشِي﴾ عله ظرف ل ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ أخذا لصناعته منذ رضاعته وهو صنيع ربه قبلها وبعدها حتى ارتحاله الى رحمة ربه ، ولكنما الرضاعة لأهميتها هنا كأنها بداية صناعة الرب ، وهو صنيعه منذ أصلاب الآباء وأرحام الأمهات حتى النهاية في تطواف الرسالة وقضاء أمرها .

فلقد كان من صناعته له على عينه ان جعله لا يقبل ثدي المرضعات ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ فآل فرعون يبحثون له عن مرضعة مرضية ، وتتسامع المرضعات هذه الطلبة الفرعونية فتتسابق الى القصر تكسبا لهذه المفخرة ان تصبح إحداهن مرضعة فرعونية ، فيدبر الله امره ان تمشي أخته ضمن المشاة فتقدمهما لما يتطلبون ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ

**عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ** ﴿٢٠﴾ ولكي يتم وعد الله له حيث حرمت عليه المراضع من قبل ، وذلك من قرير عينها ألا يرتضع الا منها جمعا بين حق الربوبية وصالح الرسالة وبغية الامومة!.

وهكذا يتم التدبير الرباني للطفل وأمه ، حيث تأتمر وحيه ، وتقذف فلذة كبدها في اليم ، ليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو الله وعدو له ﴿وَلْيُصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ فيكون الأمن بإلقائه في خضم اليم الملتطم ، وتكون النجاة من فرعون بإلقائه بين يديه بلا حارس ولا معين وبكل كارث!.

وهنا يتناسى السياق مساع موسى منذ ارتضاعه الى بلوغ أشده ، الى عرض منة اخرى:

**﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾**

**﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوُّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ. فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ. فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ. وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ...﴾ (٢٨ : ٢٢).**

فلقد اغتم موسى بهذه القتلة الخاطئة غير القاصدة كما تلمح له ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ . ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ . ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ فقد وكزه وكزة فأصبحت قتلة خاطئة <sup>(١)</sup> وحتى لو كانت عامدة ما كانت منه خطيئة ، فان القبطي كان وثنيا محاربا وحكمه واضح ، ولكن هذه القتلة غير العامدة خلّفت تأخيرا للرسالة الموسوية ، وهي من هذه الناحية كانت خطأ وغما فنجاه الله من غمه .

﴿وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا﴾ عدة ، منذ رضاعتك وصباك وبلوغ أشدك في البلاط الفرعوني ، إلى قتل النفس ، وإلى قضاياك في مدين ، وفتن الرسالة هي طبيعة الحال لمن يعدّها لها عدّة ، ولكي يتمرن على المصائب المصاعب ، ويتدرب على درب الرسالة الشاقة الملتوية ، ويتجرب بما يحضره لكل نائبة .

وتراه كيف قتل نفسا خطأ وهو صنيع ربه ، معصوما عن كل وصمة عامدة او خاطئة؟ علّه من فتن الله ، المعني من «فتونا» ولكي يعرف انه لو وكله الى نفسه طرفة عين لتطرف وانحرف ، وذلك قبل الرسالة الرسمية حيث حصلت بعد سنيّ مدين الفاتنة له ، المربية إياه .

بمتحنه ربه بالخوف والهرب من القصاص ، وبالغربة ومفارقة الأهل والوطن ، وبالخدمة ورعي الغنم ، لنحلة لأهله ونفقة ، وقد تربي منذ ولادته حتى حينه في قصر أعظم ملوك الأرض!

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٩٦ . اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والخطيب عن ابن عمر سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول : انما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ يقول الله : وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفي المجمع روي عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) انه قال : رحم الله اخي موسى قتل رجلا خطأ وكان ابن اثني عشرة سنة .

## ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾.

وهذه السنون هي من ضمن فتنة الفتون ، حيث يصنعه ربه على عينه في شغل رعاية الغنم ورعيها ، نحلة عن زواجه ، واستعدادا لرعاية الرسالة العالمية ورعي الامة الاسرائيلية. و «سنين» هذه بين ثماني حجج وعشر ، وعَلَّه قدم العشر تقديمًا لافضل الأمرين الأمرين وأتمهما <sup>(١)</sup> كما هي شيمة الرسل بجنب الله. وطالما النص يلوي عن عرض أشغاله في سَيِّ مدين ، حيث الأهم هو عرض هامة الرسالة بينودها ، ولكن ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ تقدّر مقادير تحضره في سنيّه الفاتنة الفائتة.

وذلك القدر هو قدر ولاية عزم الرسالة كما قدّر الله ، الوقت المقدر لما نضج واستعد وخرج عن كل هرج ومرج ، حيث ابتلي وصبر وامتنحن فجاز الامتحان ، كما وتهيأت الظروف في مصر لتقبّل الدعوة الموسوية ، إذا فهو قدر التقدير وقتا ، وقدر المقدار حالة نفسية كما ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٥٤ : ٤٩) واين قدر عام من ذلك القدر ، ومن قدره عمره الأربعون.

فموسى قبل جيئته هذه كان «إلى قدر» ولكنه بعد ربح من الزمن ، وذوق الفتن كما الذهب غير الخالصة تفتن لخلاصها فخلوصها ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ واصلا اليه ، محيطا عليه ، لائقا لابقا لحمل أعباء الرسالة الى فرعون وملاّيه ، وفي هذه الجيئة الثانية :  
﴿وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾ ٤١.

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨٠ في تفسير القمي قيل للصادق (عليه السلام) اي الأجلين قضى؟ قال : أتمها عشر حجج.

وهي افتعال من صنعتك ، إذ ليست الصناعة الرسالية الموسوية كسائر الصنعة لسائر الناس ، فان فيها مزيدا عليهم ، يحضره رسولا إليهم و «لنفسى» بيان لغاية ذلك الاصطناع ، حتى يكون رسولا معصوما أميناً من الله.

فليس موسى لنفسه ولا لسواه إلا الله ، يعيش حياته الرسالية في الله والله ، دون اتباع لهواه آمن سواه ، فانه بعين الله ومختار الله وصنيع الله ، فكيف يكون لغير الله!.

ثم المنتفع من غاية اصطناعه ليس إلا هو ومن ثم المرسل إليهم ، فان الله ليس لينتفع من عباده ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ وما لم يكن العبد لله لم يكن لنفسه ولا لعباد الله. ولانني ﴿اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ وجعلت لك وزيرا من أهلك هارون أخاك ف :  
﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ ٤٢.

«اذهب» بحمل الرسالة العالمية لبلاغها «أنت» كأصل فيها ورأس الزاوية لها «وأخوك» أزرا ووزيرا ، «بآياتي» الدالة على رسالتكما الإلهية ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ من الوني : الفترة والضعف والكلال والإعياء والإهمال والتقصير.

ثم «ذكرى» هي من اضافة المصدر الى الفاعل والى المفعول : ذكرى إياكم وذكركم اياي ، قالا وحالا وأفعالا ، في أنفسكم وفي المرسل إليهم ، حيث العقبات أمام ذكر الله كثيرة خطيرة ، فلتكافح الرسالة كافة العراقل ، لتجتازها الى تحقيق رسالة الله في عباد الله. ولقد كان الأمر قبل استجابته في سؤله يخصه : ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾

**﴿إِنَّهُ طَغَى﴾** وهنا يشفع به اخوه تحقيقاً لسؤاله ، وترى هارون الغائب الآن عن هذا المحضر كيف يؤمر بما يؤمر به موسى؟ انه يؤمر ضمن ما يؤمر موسى ، وبلاغه اليه على عاتق موسى ، وكما اوحى الى هارون نفسه في نفس الوقت مهما كان بعيدا عن ذلك المحضر ، حيث الكون كله محضر لله ، يخاطب من يريد خطابه مهما اختلف الزمان والمكان.

ام انه خوطب بعد ما اجتمع الى هارون ، ودليلا عليه **﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا لَنَخَافُ أَنَّ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾** ٤٥ والسياق القرآني يطوي الزمان والمكان ويترك فجوات بين مشاهد القصص ، هي معلومة من نفس السياق ، ليصل مباشرة إلى المواقف الحية الموحية ذات الأثر الأعظم في سير القصص وفي وجدان الناس.

وفي جمعية الآيات «بآياتي» ولم يؤت من ذي قبل إلا آيتي العصا واليد البيضاء ، تبشير لهما الى آيات اخرى.

**﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾** ٤٣.

وهنا تخص دعوة الداعية بعد عمومها فرعون الطاغية لأنه رأس الزاوية في عرقلات الدعوة ، وكل دعوة إلهية تبدأ بالسلب وتنتهي الى الإيجاب ، فما دامت الفرعات قائمة ، لا تجد الدعوة الالهية مجالا لتحقيقها ، إذا ف «اذهبا» في بداية الدعوة «الى فرعون» ولماذا؟ ل **﴿إِنَّهُ طَغَى﴾** استعبادا لبني إسرائيل ، واستعبادا بالحكم عليهم ، فلتبدأ بحسمه وقصمه لكي تجد الدعوة سبيلا الى تطبيقها.

ترى وكيف يصلح ذهاب الداعية الى الطاغية ، إصلاحا له ، ام سدا عن بأسه وصدا عن سلطانه؟

**﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾** ٤٤.

ونص القول اللين نجده في النازعات ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى. وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (١٩) وكما نجده هنا «فقلوا...».

ونرى الداعية موسى طول حوار مع فرعون الطاغية لا يقول له إلا قولاً لنا لعلّه يتذكر أو يخشى» ولكنه زاد طغوى على طغوى ، وهذه طبيعة حال الدعوة الصالحة ان تكون لينة بالتي هي احسن ، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن ، استنباط لدفين الحق المستور تحت ستار الهوى ، وفي آخر المطاف ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم القصد من هذا الذهاب الى فرعون بقول لين ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ فتحصل له تقوى بعد طغوى ، ام إذا لم يتذكر هكذا «او يخشى» لأقل تقدير ، فتلك عبادة التجار وهذه عباد العبيد وقبلهما للأحرار ان يعبدوا الله لأنه الله.

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٠١ . اخرج احمد في الزهد عن ابن عباس قال لما بعث الله موسى الى فرعون قال لا يغرنكما لباسه الذي ألبسته فان ناصبته بيدي فلا ينطق ولا يطرف الا باذني ولا يغرنكما ما متع به من زهرة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما من زينة الدنيا بشيء يعرف فرعون ان قدرته تعجز عن ذلك لفعلت وليس ذلك لهوانكما علي ولكني البستكما نصيبكما من الكرامة عن ان لا تنقصكما الدنيا شيئاً واني لأذود اوليائي عن الدنيا كما يذود الراعي ابله عن مبارك الغيرة واني لأجنبهم كما يجنب الراعي ابله عن مراتع الهلكة أريد ان أنور بذلك صدورهم واطهر بذلك قلوبهم في سيماهم الذين يعرفون بهم وأمرهم الذي يفتخرون به واعلم انه من أخاف لي ولما فقد بارزني وانا النائر لا وليائي يوم القيامة.

أقول : مثل ابن عباس لا ينقل حديثاً قدسيا عن الله دون ان يسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا فهو عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).



ولان موسى قد تربى عند فرعون ، ثم قتل منه نفسا ، ثم يأتيه رسولا ، وهو الطاغية الباغية ، فهذه الأربع تدفع الداعية الى قول لين معه أكثر من الواجب في طبيعة الحال الرسالية حيث القصد . لأقل تقدير . سدّ أذاه وإخماد لظاه ، وخشن القول مما يزيد لظى في أذى.

وكيف «لعلّه» ولا تردّد في علمه سبحانه انه لا يتذكر ولا يخشى؟ انه ترجّ للداعية نتيجة الدعوة بصورة عامة ، وحتى إذا تأكد انه لا يتذكر ولا يخشى ، فانها ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ فالنذر بين تذكر وخشية ، والعذر لبلاغ الحجة ، ولكيلا تكون للناس على الله حجة ، حيث الناس في انقسامات ثلاث ، ناس وأشباه ناس ونسنانس ، فالناس بين دعاة يدعون ، ومدعويين يتقبلون الدعوة ، والنسنانس هم المصرون على الباطل ، وأشباه الناس عوان بينهما متوقفين بين الأمرين.

وعلى الدعاة ان يكونوا في دعوتهم ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ فالعذر أمام النسنانس لبلاغ الحجة ، والنذر للذين يتقبلون الدعوة دون امهال فهم المتذكرون ، وللعوان المترددين المتقبلين بامهال فهم الخاشون ، و ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ يخص الأخيرين ويجمعهما «نذرا» ثم «عذرا» على الأولين.

والباعث القوى للدعوة ان يتذكر المدعو او يخشى ، وأما ان يطغى كفرعون فباعث الدعوة فيه ضعيف ، ورجاء التأثير في الدعوة هو الباعث لها بقوة.

ف ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ هما رسم لخطوط الدعوة وخطوطها بصورة عامة ، واما الدعوة الخاصة كما الى فرعون ، فلا تصلح ان يؤكد فيها انه «عذرا» قطعاً بعدم التأثير ، فانه وني للدعوة شاء الداعية ام ابى ، «فانما قال :

﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ليكون احرص لموسى على الذهاب» <sup>(١)</sup> ام وباحرى انه تذكر وخشي ولكن متى؟ عند رؤية البأس ، حين لا تنفعه الخشية والذكرى <sup>(٢)</sup>.

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨٠ في علل الشرايع بسند متصل عن محمد بن أبي عمير قال قلت لموسى بن جعفر (عليهما السلام) اخبرني عن قول الله عز وجل لموسى ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ فقال : اما قوله فقولا له قولنا اي كنياه وقولا له يا أبا مصعب وكان كنيته فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب ، اما قوله ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ فانما قال ليكون احرص لموسى على الذهاب وقد علم الله عز وجل ان فرعون لا يتذكر ولا يخشى الا عند رؤية البأس الا تسمع الله عز وجل يقول : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فلم يقبل الله إيمانه وقال : ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وفيه عن تفسير القمي عن عدي بن حاتم وكان مع امير المؤمنين (عليه السلام) في بعض حروبه ان عليا (عليه السلام) قال ليلة الهرير بصفين حين التقى مع معاوية رافعا صوته يسمع أصحابه : لأقتلن معاوية وأصحابه ثم قال في آخر قوله : ان شاء الله . يخفض به صوته وكنت منه قريبا فقلت يا امير المؤمنين انك حلفت على ما قلت ثم استثنيت فما أردت بذلك؟ فقال : ان الحرب خدعة وانا عند اصحابي صدوق فأردت ان أطمع اصحابي في قولي كيلا يفشلوا ولا يفروا فافهم فانك تنفع بهذا بعد اليوم ان شاء الله تعالى ، وعن الكافي مثله وفيه بعد ان شاء الله تعالى : واعلم ان الله جل ثناءه قال لموسى (عليه السلام) حين أرسله الى فرعون ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ وقد علم أنه يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك احرص لموسى (عليه السلام) على الذهاب.

(٢) البحار ١٣ : ١٣٥ عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث له طويل حول القصة قال له سفيان قلت يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هل يجوز ان يطمع الله عز وجل عباده في ما لا يكون؟ قال : لا فقلت : فكيف قال الله عز وجل لموسى وهارون ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ وقد علم ان فرعون لا يتذكر ولا يخشى؟ فقال : ان فرعون قد تذكر وخشي ولكن عند رؤية البأس حيث لم ينفعه الايمان.

وعلى اية حال فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيج الكبرياء الزائف التي يعيشها الطغاة ، بل ومن شأنه إيقاظ القلب غير المقلوب ، والحجة القاطعة على القلوب.

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (٤٥).

هنا خوف الداعية في سبيل الدعوة ، يعرضه على الله ، لا اعراضا عن امر الله ، وانما سؤالا لمزيد التأييد كما سأل من ذي قبل فاعطي سؤله.

فلم يكن خوفا للداعية على نفسه ﴿وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٢٦) : (١٤) إذ طمأنه ربه لما أعطاه سؤله : ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلَ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ (٢٨ : ٣٥).

ف ﴿أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ كرسولين ، فرطاً على الدعوة تعجيلاً بالعقوبة قبل الآية المعجزة ، و ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ هي طغوى عليهما وعلى بني إسرائيل ، بعد ما طغى ، فهي مزيد الطغوى ، إظهاراً لدفينها.

فذلك - إذا - خوف على الدعوة ان يسبقها فرط من فرعون بقتل الداعية ، ام يزيد طغوى على طغوى ، فلا تفيد - إذا - هذه الدعوة الا بنصرة الهية هي المطلوبة في ذلك العرض.

فهما هما ذان الرسولان المأموران الخائفان على بلاغ الرسالة يتوجهان الى ربهما بمخاوفهما ، ويطمئنهما ربهما فيطمئنان على طول الخط الى نهاية المطاف.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ٤٦ .

«لا تخافا» على أية حال ل ﴿إِنِّي مَعَكُمَا﴾ معية العلم والقدرة والنصرة «اسمع» المقال «واری» الحال ، ولست أهمل الرسول والرسالة ، او أهمل الفارط والطاغي على الدعوة ، فان ذلك نقص في الرسالة ، ونقض للهدف من الدعوة!.

وهذه المعية الربانية تعم المرسلين كافة والذين معهم على درجاتهم : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا  
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ولا تعني النصرة الضمان على حياة الرسول  
والمؤمنين ، وعدم أذاهم ، وانما هي الضامنة لحياة الرسالة والايمان وتقدمهما وثباتهما مهما  
صعبت الظروف والتوت.

فلا تعني ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ عدم مسهما بأي أذى وقدمتهما أذى كثيرة ،  
حتى ولا عدم قتلها مهما لم يقتلا ، وهذه هي سنة الربوبية في الرسالات كلها ﴿إِنِّي مَعَكُمْ  
أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

وترى كيف خافا على اي امر كان وهما رسولان و ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا  
مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٧ : ١١)؟

المهم هنا موقف «لدي» وقد حصلت لهما لما طمأنهما ربهما ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ  
وَأَرَى﴾ فزال عنهما كافة المخاوف في سبيل الدعوة الى فرعون الطاغية ومن معه!.

ومن ﴿قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ هنا بعد ما في النزاعات ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى. وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ  
فَتَخْشَى﴾ (١٩) : بصيغة اخرى تفصيلا للآخرى :

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَايَةً مِنْ  
رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ٤٧ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾  
. ٤٨

وتراهما كيف أتياه ومن عادة الطغاة عدم السماح لمن يستأذن منهم ، إلا إذا كان  
لصالحهم وهم يعرفون بصدق لهم وإخلاص؟.

يروى انه «أتى بابه فاستأذن عليه ولم يؤذن له فضرب بعصاه الباب

فاصطلت الأبواب مفتحة ثم دخل على فرعون فأخبره انه رسول من رب العالمين .. (١)  
ولكنه خلاف الدين في اللقاء مهما كان مع البواب ، وقد تعاملت الآية عن كيف دخل  
فنسكت عما سكت الله عنه.

ونرى هنا ألين الدين في بزوغ الدعوة ، فلم يقولوا «انا رسولا رب العالمين» كيلا ينبري  
لإدخاله في العالمين ، وهو داخلهم! ولا «إنا رسولا ربنا» فصلا له عن ربهما وهو فصل عن  
قبول اصل الدعوة ، وهو الطاغية الداعية : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ وانما ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ﴾  
الذي رباك ، فلست أنت ربا لنفسك ، ولا لغيرك ممن هو مثلك من العالمين ، ولا أنت رب

---

(١) البحار ١٣ : ١٢٠ عن القمي أبي عن ابن فضال عن ابان بن عثمان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال :  
لما بعث الله موسى الى فرعون أتى بابه .. وفيه ١٣ : ١٠٩ الصدوق بإسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال  
: ان فرعون بني سبع مدائن فتحصن فيهما من موسى فلما امره الله ان يأتي فرعون جاءه ودخل المدينة فلما رآته  
الأسود بصبصت بأذناها ولم يأن مدينة الا انفتح له حتى انتهى الى التي هو فيها فقعده على الباب وعليه مدرعة  
من صوف ومد عصاه فلما خرج الأذن قال له موسى (عليه السلام) اني رسول رب العالمين إليك فلم يلتفت  
فضرب بعصاه الباب فلم يبق بينه وبين فرعون باب الا انفتح فدخل عليه وقال انا رسول رب العالمين فقال ائتني  
بآية فالقى عصاه وكان لها شعبتان فوقعت احدى الشعبتين في الأرض والشعبة الاخرى في أعلى القبة فنظر فرعون  
الى جوفها وهي تلتهب نارا وأهوت اليه فأحدث فرعون وصاح يا موسى خذها ولم يبق احد من جلساء فرعون الا  
هرب فلما أخذ موسى العصا ورجعت الى فرعون نفسه هم بتصديقه فقام اليه هاما وقال : بينا أنت اله تعبد إذ  
أنت تابع لعبد واجتمع المألأ وقالوا : هذا لساحر عليهم ، فجمع السحرة لميقات يوم معلوم فلما القوا لهم وعصيتهم  
لقى موسى عصاه فالتقمتها كلها وكان في السحرة اثنان وسبعون شيخا خروا سجدا ثم قالوا لفرعون ما هذا سحر  
لو كان سحرا لبقيت حبالنا وعصينا ثم خرج موسى (عليه السلام) ببني إسرائيل يريد ان يقطع بهم البحر .. أقول  
«ثم هنا تفصل بين بداية امره ونهايته كما هو مستفاد من آيات القصة.

العالمين ، وانما لك رب رباك كما ربانا وربى سائر العالمين ، تهديما لصرح الخرافات الوثنية ان لكل قوم إلها او آلهة كما كانت سائدة بينهم.

ف «ربك» هنا اختصاصا له بربوبيته تعالى يوافق طبيعة حاله ، ويستحثه على سؤاله العجائب ، من هو ذلك الرب ، وطبعاً هو ربكما كما هو ربى ، ولذلك أرسلكما الى على زعمكما.

وقد جمع في ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ حجة بارعة قارعة على لينها ، دون ان تؤثر اللينة في قاطعية الحجة فتتقص عنها ، ولا ان تؤثر الحجة في تحول اللينة الى القساوة ، وهذه هي الجدال بالتي هي احسن ، ان تزداد عنها مساويها ، وتزداد فيها محاسنها ، فتصبح قاطعة على لينونته ، ولينة على قاطعيته!.

ثم في هذه البداية لا يفرعان على ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ تطلب الايمان به من فورهما ، وانما ادنى ما يتطلب من مريب لربه ان يتخلى عن سلطته الظالمة على مستضعفي عبادة : ﴿فَأَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ كان ذلك هو فقط مادة الرسالة اليه لا سواها ، ولكي لا تأخذه العزة بالإثم والغيرة ، فيأتي بمعة فوق معة.

﴿فَأَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كإيجاب واحد في هذه الرسالة ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ كسلب واحد فيها ، و «لا تعذبهم» بدل «لا تظلمهم» ليونة في التعبير ، حيث الظلم يخص القبيح ، والعذاب منه قبيح ومنه صحيح ، ولأنهما يرأسان بني إسرائيل ، فلو انهم يستحقون العذاب فحوّل عذابهم إلينا وأرسلهم معنا ، فلا لكم ولا عليكم اي شأن منهم شائنا ام سواه.

ولئن تطلب برهاننا على هذه الرسالة ف ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ آية

ذات دلالتين ، أولاهما انه ربك ، وثانيتهما انا رسولا ربك.

ولماذا «آية» وقد اوتي موسى تسع آيات حيث أرسل ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ (٢٧ : ١٢)؟.

لان الموقف هنا في مقام اثبات رسالتهم بآية الهية ، دون كمّها وكيفها ، وان الآيات التسع هي كواحدة في اصل التدليل على صحة الربوبية والرسالة ، فأيات الرسالات كلها تنحو منحى هدف واحد هو اثبات الرسالة الإلهية ، على اختلاف صورها وسيرها. وهنا بعد ثبوت الرسالة والألوهية . وهما الهدى الإلهية . بخطط مصير كل من اهل الهدى والردى بمسيرهما :

﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ دون من عارضها ، ام لا لها ولا عليها ، فهلا تريد يا فرعون ان تكون من اهل السلام باتباع الهدى وترك الهوى.

ثم العذاب وأنت تعذب بني إسرائيل ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ كذب الهدى بعد إتيانها ، وتولى عنه الى غيرها ، فهل انهم كذبوا الهدى وتولوا عنها حتى يستحقوا عذابك؟ وهم موحدون مهتدون!.

ام أنت المكذب للهدى ، المتولي عنها ولذلك تطغى ، فاترك الطغوى الى التقوى حتى يسلم السلام على من اتبع الهدى ، وذلك تنديد بكل مكذب بحق متول عنه أيا كان<sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٨١ في اصول الكافي بإسناده الى عبد الله بن ابراهيم الجعفري قال : كتب ابو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) الى يحيى بن عبد الله بن الحسن : اما بعد فاني أحذرك ونفسي وأعدك اليم عذابه وشديد عقابه وتكامل نعماته .

نرى هنا في ذلك العرض الحكيم لتلك الرسالة السامية كل برهنة ساطعة قوية بكل ليونة ، فلا ينسبان الى الطاغية تكذيبا للهدى وتوليا عنها واستحقاقا للعذاب بصيغة صريحة ، وانما يوضحان اسباب الهدى والردى بمسيرهما ومصيرهما ، وليعرف فرعون من هو من هذا البين ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾!

فهنا ترغيب واستمالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ فلعله منهم ، يتلقى السلام باتباع الهدى ، ثم تحديد وتحذير غير مباشرين كيلا يستثيرا كبرياءه او يحطاه من علواءه : ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ فلعله ليس ممن كذب وتولى.

ولماذا هنا ﴿رَسُولًا رَبِّكَ﴾ وفي سائر القرآن «رسول . او . رسولا رب العالمين»<sup>(١)</sup>.

لأن الذي هو رب فرعون المدعي للألوهية أخرى ان يكون ربا للعالمين أجمعين ، إذا ف ﴿رَسُولًا رَبِّكَ﴾ صيغة أخرى عن «رسولا . او . رسول رب العالمين» ام انه قالهما بصيغة عامة لكافة المرسل إليهم وأخرى خاصة بفرعون رعاية لليونة التعبير.

هنا يمتنّ فرعون على موسى انّ رياه وليدا كأنه نعمة تمنعه عن هذه

---

. وأوصيك ونفسي بتقوى الله فانها زين الكلام وتثببت النعم . الى قوله . : أحذرك معصية الخليفة وأحثك على بره وطاعته وان تطلب لنفسك أمانا قبل ان تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان فتروح الى النفس من كل مكان ولا تجده حتى يمن الله عليك بمه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحى إلينا ان العذاب على من كذب وتولى.

(١) ففي الأعراف والزخرف «وَلِكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ» (١٠٤) وفي الشعراء «إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (١٦) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣).



الرسالة جزاء بها : ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي  
فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ. فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ  
لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ  
فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٦ : ٢٣).

فهنا نرى الطاغية يلوي شذقه متجاهلا ان الله ربه ، سائلا موسى وهارون عن ربهما  
دون ربه ولما يعترف به.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى  
(٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى  
(٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ  
أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (٥٤) مِنْهَا  
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ

آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧)  
 فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨)  
 قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى  
 (٦٠) قَالَ هُمْ مُوسَى وَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى  
 (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ  
 يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣) فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا  
 وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى  
 (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي  
 نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى (٦٧)

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ  
وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى  
(٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ  
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا  
لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى  
(٧٣) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ  
عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ٤٩ .

هنا يخاطب موسى في ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ إذ عرف انه الأصل في هذه الرسالة ، وذلك السؤال تحكم في الحوار ، وتراه دهريا ناكرا لالوهية الله لقوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ وقوله هنا ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ ناكرا لربهما الذي لا يصدق ربا لنفسه ، وفي القصص ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٨٦) <sup>(١)</sup> وهذا ظاهر الحال من قاله .

ام انه ناكرا لربوبيته وعبوديته دون ألوهيته ، ولا دليل عليه إلا تأويل عليل!

انه ناكرا للربوبية العالمية ككل فضلا عن ربوبية رب العالمين لنفسه فيقول هنا «ومن ربكما يا موسى» ثم في الشعراء ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ استنكارا للربوبية العالمية التي يقولها موسى وهارون لربهما .

وعلى اية حال فهذه النخوة الجاهلية هي من شيم الفراعنة ، وكما واجهه آذنه أول مرة بكلمته الهازئة اللاذعة «اما وجد رب العالمين من يرسله غيرك» <sup>(٢)</sup> .

(١) وكذلك في المؤمن ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا...﴾ .

(٢) البحار ١٣ : ١٣٧ يسوق القصة مرفوعة .. حتى انتهى الى قصر فرعون الذي هو فيه فقعد على بابه وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه فلما خرج الأذن قال له .

اجل وهم كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع): ان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هارون على فرعون عليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزّه فقال : ألا تعجبون من هذين يشترطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل ، فهلّا الذي عليهما اساورة من ذهب؟ إعظاما للذهب وجمعه ، واحتقارا للصوف ولبسه ، ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وان يحشر معهم طير السماء ووحوش الأرض لفعل ، ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحل الأنباء ولما وجب للقابلين أجور المبتلين ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين»<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ٥٠.

تعريف جامع خاصر حاصر برب العالمين ، فان كان فرعون شيئا شملته ربوبية رب العالمين وهدايته ، وان لم يكن شيئا ، فما للآشياء ان يعارض في الربوبية رب كل شيء؟. ذلك إجمال من تفصيل الشعراء : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ ... رَبُّكُمْ

. موسى استأذن لي على فرعون فلم يلتفت اليه فمكث بذلك ما شاء الله يسأله ان يستأذن له فلما أكثر عليه قال له : اما وجد ... فغضب موسى فضرب الباب بعصاه فلم يبق بينه وبين فرعون باب الا انفتح حتى نظر اليه فرعون وهو في مجلسه فقال : أدخلوه فدخل عليه ...

(١) البحار ١٣ : ١٤١ عن نهج البلاغة عن الامام علي أمير المؤمنين (ع).

وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ .. رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٦ : ٢٨﴾ .  
و ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ هي الربوبية الشاملة لكل خلق ولكل هدى ،  
فليس الخالق غير الهادي . لو كان . ربا ، وليس الهادي غير الخالق . لو كان . ربًا ، والرب هو  
الذي يجمع بينهما بصورة شاملة كاملة دون إبقاء .

ف «ربنا» هنا جواب عن ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ ثم «الذي ..» يتخطى فيه ربوبيته الى كل  
شيء ومنه فرعون وملاه ، وهذه بلاغة بارعة في الحوار ان يتبنى ما يتبنى عليه الخصم دون  
زيادة ولا نقيصة ، فلما قالوا ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ قدماه في صلتته بالرب ، ثم لما قلب الأمر  
فحول إليهما : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ تحولاً قائلين «ربنا» ولكنه في مواصفة تعرف به انه رب كل  
شيء ومنه فرعون وملاه .

وترى «خلقه» مصدر؟ وهو فعل الرب ، لا يعطيه لاي شيء حتى أفضل الكائنات!  
ام هو المخلوق؟ وكيف يعطى مخلوق لمخلوق! .

انه اسم المصدر ، وإعطاء الخلق لكل شيء هو إيجاد عطية منه ربانية ، وحاصل  
الإيجاد هو الوجود ، وحاصل الخلق هو المخلوق ، فالوجود المخلوق هو المعني من «خلقه» .  
وترى ما هو الشيء الذي يعطى خلقه ، فان كانت العطية قبل وجوده فليس شيئاً  
حتى يعطى خلقه ، وان كان بعد وجوده فهو تحصيل للحاصل ، إذا فلا حاصل ل ﴿أَعْطَى  
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾؟

الشيء هنا هو الكائن مستقلاً ، وإطلاق كلمة الشيء عليه باعتبار الأول دون الفعلية  
، فمثله كمثل قوله ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ

**كُنْ فَيَكُونُ ﴿١﴾**

ثم الشيء ان كان هو المادة الأولية للكون بإعطاء خلقه هو إيجاداه لا من شيء ، وان كانت المواد الاخرى المتحولة عنها ، ثم كل عن الاخرى ، بإعطاء خلقه هو تحويره وتغييره ، فهو خلقه من شيء خلقه قبله ، فهناك شيء أول شيئاً سائر الأشياء منه على اختلاف ذراتها وجزئياتها وعناصرها.

ومن ثم «ثم هدى» تعني تراخي الهدى رتبيا عن الخلق وزمنيا على طول الخط ما دام الكون كائنا ، والهدى لزام الخلق عطاء وإلا فضلال يخالف حكمة الخلق ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٣٦ : ٣٨) ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (٧٨ : ٣).

فالهدى لزام الخلق بعده ، ومهما كان معه زمنا فانه بعده رتبيا ، و «ثم» هنا تدل على التأخر رتبيا او زمنيا ام فيهما ، فمن الهدى ما لا يصل إليها الخلق إلا بعد شروط تتطلب زمنا بعيدا ، ومنها ما هي له منذ خلق ، هدى اولى هي التي تخطو بالخلق إلى مراتب اخرى ، فكل خلق يعيش هدى تناسب حاله والهدف من خلقه ، وليس الضلال في كون او شرعة ام تطبيقها إلا تخلفا من النسناس الذين يعارضون شريعة الناس ويعرقلون السير على السالكين سبيل الهدى ، ثم الهدى هنا بعد الخلق تعم التسوية والتقدير كما في آيتي الأعلى ، وهي ككل تعم الهدى التكوينية في كل شيء ، وهي القوانين المحكّمة على كل شيء ، هندسيا وكيمائيا وفيزيائيا اما هي ، والغريزية في أصحابها ، ثم الفطرية والعقلية في العقلاء ، ومن ثم الهدى التشريعية لهم ، وعلى ضوءها تكوينية اخرى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (٤٧ : ٢٧).

ثم و «ثم هدى» كما تعني هدى كل الى الكمال اللائق به الهادف له ، كذلك هدى كل الى الآخر تكميلا له او تكاملا به ف ﴿مَا تَرَى فِي

خَلَقَ الرَّحْمَنُ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴿٦٧ : ٣﴾.

فقد هدى الخلق ككل منذ البداية حتى النهاية بما تراح به العلل ، ويتكامل معه الخلق ، من سلامة الأعضاء واعتدال الاجزاء وترتيب المشاعر والحواس ومواقع الأسماع والأبصار ، لكل على حسبه وبمستواه ، وذلك هو الخلق الحكيم سبحانه الخالق العظيم.

ومثالا على تلك الهدى الشاملة هدى الأرض لتسجيل الصور والأصوات : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ ثم هدى النحل الى هندسة بيوتها واستجلاب عسلها : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ومن ثم كل وحي الى كل حي وميت من الكائنات تهتدي به الى ما خلقت لأجله تكوينيا وتشريعيا من مختلف طرق التكامل ماديا <sup>(١)</sup> ومعنويا. وقد تعني «هدى» مثلث الهدى ، ثانيته هدى كل شيء الى ربه ف ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١٧ : ٤٤) والثالثة هدى العقلاء . بإحكام الخلق في كل شيء . الى الخالق الحكيم ، إذا ف «هدى» تعني كل شيء الى شيء ، وبعض الشيء الى مخلوقية سائر الأشياء بدلالة عقلية ، فما من هدى تكوينية او تشريعية او شرعية فعلية ام مستقبلية إلا وهي من الله ، كما خلق كل شيء من الله ، ثم لغير الله الاختلاق والضلال ، كما له الخلق والهدى ف «الخير كله بيديه والشر ليس اليه».

فقد كان ذلك الجواب الحاسم القاصم للطاغية تعريفا عريفا برب العالمين

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨١ في الكافي عن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ قال : ليس شيء من خلق الله الا وهو يعرف من شكله الذكر من الاثني ، قلت : ما يعني ثم هدى قال : هداه للنكاح والسفاح من شكله . أقول : هذه هدى لبقاء النسل كمصداق من المصاديق المادية للهدى.



حيث جمع كل جوانب الربوبية لربهما كرب العالمين ، سلبا لسائر الربوبيات المدّعاة ، فان الكل فقيرة في ذاتها فضلا عن إعطاء خلق ام هدى لسواها! فالخلق بهداه الواسعة الشاسعة ، والشاملة كل كائن من الذرة وما دونها وما فوقها ، من الخلية الواحدة الى ارقى اشكال الحياة ، مشمول ل ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ .

هذا الكون الكبير المؤلّف مما لا يحصى من الذرات والخلايا ، كل ذرة فيه تنبض وكل خلية تحيا ، وكل كائن يتفاعل او يتعامل مع الكائنات الاخرى .. تعمل منفردة ومجمعة داخل إطار النواميس المودعة في كينونتها او غريزتها او فطرتها وعقليتها ، بلا تعارض كوني ولا خلل ولا فتور.

### ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ٥١.

لما أفحم الطاغية بهذه الحجة البالغة الحلقة على الأصول الثلاثة ، انتقل في حوارهِ الى واجهة اخرى ، استبعادا لها : ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ والبال هو الفكر والحال ، الحال التي يكثر بها كما يقال : ما باليت بكذا بالة ، اي ما اكثرت به ، والحال التي ينطوي عليها الإنسان فيقال : خطر ببالي.

فهنا استبعاد أول في بال الفكر للقرن الاوّل ، إذ كانت الاكثية المطلقة منهم مشركين ، فإذا كان التوحيد حقا فما بال القرون الاوّل إذ كانوا مشركين؟ سنادا في ابطال الحق الى الاكثية الساحقة من القرون الاوّل كأنها حجة تدمغ بالغة الحجة.

ثم استبعاد ثان ، ان لو كان التوحيد حقا وان العذاب على من كذب وتولى ، فما حال القرون الاوّل التي مضت وضلت في الأرض ، فهو كقيلة لهم اخرى : ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ... قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

(٣٢ : ١١).

ما شأن القرون التي مضت ، اين ذهبت ، وكيف ومتى عذبت؟

﴿قَالَ عَلَّمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ٥٢.

لماذا لم يؤمنوا؟ ﴿عَلَّمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾! وكيف يتواجدون حتى يعذبوا؟ ﴿عَلَّمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ ما كتبه عليهم من اعمالهم فهي ثابتة في أنفسهم وفي أماكنهم وسائر الشهود ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ... لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ عما خلق وهدى ، وعما أمات وأحيى ، فهو عالم بخلقه على أية حال ، ثم ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ بعد ما علم ، علم دائب لا حول عنه ولا خلل فيه ولا نقص يعتريه.

فالخالق كل شيء ، الهادي كلا الى شيء بما أعد له من طاقات وامكانيات ، كيف يضل عن فعله او ينسى؟.

ولماذا «ربي» دون «ربك» او «ربنا» او ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟ لعله تاشير الى أن الربوبية الخاصة التي تجعل لمثلي علما هكذا ، فأفحمك بجملة قاطعة ، إنها باحري ان تحلق علما على القرون الاولى وسواها.

إذا فليس ﴿عَلَّمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ تحويلا للجواب الى ربه ، علما بانه تعالى ليس ليحييه ، بل هو جواب حاسم ان ربي لا يضل عما خلق وهدى ولا ينسى ، لأنه ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

ومن هداه الفطرية ، وهي بال القرون الاولى مهما تخلفوا عنها ، ومن هداه تسجيل أقوالهم واعمالهم والحفاظ على أرواحهم بأجسادهم بعد موتهم كما قبله ، فلا يضلون عن علمه ولا ينسون ، فهو هو يجازيهم يوم القيامة بما كسبوا وما الله بغافل عما يعملون. ومن ثم يذكر لربه مواصفات تؤكد علمه المحيط وجزاءه الأوفى لكل من سعى :

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ٥٣.

«كم» فيها لا تختص بحاضر الإنسان زمن الخطاب كقضية واقعية ، بل الخطاب فيها وأمثالها قضية حقيقية تشمل مثلث الزمان حاضرا ومستقبلا وغابرا ، منذ سكن إنسان الأرض والى يوم الدين.

فلقد كانت الأرض قبلكم ولم تكن مهذا ، ثم الله جعلها لكم مهذا : متحركة بحراك دائم ، فكما مهد الطفل يحركه لإراحته ، وهو مربوط بربطتين تربطانه والطفل عن السقوط والتبعثر ، كذلك مهد الأرض فانها مربوطة برطاطات منها القوة الجاذبية العامة ، تربطها وأطفالها عن السقوط في هَوَاتِ الأجواء البعيدة ، وهي متحركة بحركات عدة متداخلة لطيفة حنونة ، لحد لا ندرك منها الا كل رياحة.

ومن ثم هي مهد المهاد ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٧٨ : ٦) حيث مهدت حياة الإنسان بسائر الأحياء المستخدمة لصالح الإنسان ، فمهدت للإنسان كل حاجيات حياته ، مهذا حانيا على طفولة الإنسان يضمه ويرعاه ، وتمهده . ان سلك فيها سبيل ربه . للحياة الاخرى ، وهي أخرى من الاولى وارقي.

ف ﴿سَلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ لا تختص بالسبل الحيوانية لحياته ، بل وانسانية الحياة هي الأهم الأخرى ، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٦ : ١٥٣).

وكذلك الأمر في ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ : نباتات نباتية وحيوانية وإنسانية اما هي : ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (٧١ : ١٧).

. و «أزواجا» هنا تعم الذكورة والأنوثة كظاهرة مطردة في كافة الأحياء الثلاثة الأرضية

، والنبات يحمل في الغالب خلايا التذكير

والتأنيث معا في نبتة واحدة ، وأحيانا يكون اللقاح في نبتة ذكر منفردة كما هو الحال في الفصائل الحيوانية ، وبذلك يتم التناسق في نواميس الحياة ويطرد في كل الفصائل والأنواع. وقد جمعت الآية عطية الخلق والهدى ، الناحية منحى هدى الإنسان الى غايته القصوى ، اعطى الأرض خلقها ثم هداها بتمهيدها لطفولتها التي تحتضنها بمهداها ، وسلك سبلها ثم هداها ان سبلها لإنسانها في مختلف سؤله روحية ومادية ، وانزل من السماء ماء ثم هداها وهدى الأرض ان اخرج منها أزواجا من نبات شتى.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ٥٤.

«كلوا» من نباته الشتى ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ منها ، ان في ذلك الإنعام لكم وللأنعام «لآيات» تدل على توحيد الله والحياة الأخرى وما بينهما ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾. و «النهى» جمع التَّهْيَةِ وهي العقل الناهي عن القبائح كلها ، حيث التاء هنا للمبالغة كما في العلامة ، فلم يقل «اولي العقول» حيث العقل منه مدخول لا ينهى بل وينهى بناهية النفس ومن ناحيتها ، ام لا ينهى ولا ينهى ، بتلة بطللة كأن لا كون لها ولا كيان ، فلا تستعمل لصالح الحياة ولا طالحها ، كالعقول المجنونة ، او المحجوبة عن فاعلياتها. وهذه الآيات انما هي ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ تلك العقول الناضجة الناتجة عن تعقلات وتنهيات عن الهوى ، فالعقل ما عبد به الرحمن واكتسب الجنان ، فالذي في معاوية وكل طاغية هو النكراء والشيطنة ، حيث تستخدمه الهوى وتربطه بنفسها فيصبح صاحبه كله هوى دون أية نهى ، ورسل الله وأئمة الهدى هم أفضل اولي النهى <sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨٢ في تفسير القمي حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن علي .

فما من عقل مستقيم يتأمل ذلك النظام البارع العظيم متطلعا ، ثم لا يطلع فيه على آيات تدله على الخالق الهادي الحكيم ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ سبحانه الخلاق العظيم!

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ٥٥.

«كم» في هذه الثلاث تعم كافة الأنسال الإنسانية الحالية الباقية الى يوم الدين ، والسابقة المنقرضة.

وهذه الآية تحمل رباطات ثلاث بين الإنسان ومهده المسبّل له في مختلف مراحلها ، قبل الدنيا وفيها وبعدها ، وما أجمله تعبيرا عبيرا عن مثلث الكيان للإنسان ، عبرة للمعتبر ، وتبصرة للمتبصّر!.

وهنا «خلقنا» دليل انه ليس من تنمة المقال لموسى ، وعل ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ ..﴾ ايضا هكذا ، فلحدّ «لا ينسى» هي من حوار موسى ، ثم

---

. بن رثاب عن مروان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ قال : نحن والله اولوا النهي ، قلت : ما معنى اولي النهي؟ قال : ما اخبر الله به رسوله مما يكون بعده من ادعاء أبي فلان الخلافة والقيام بها والآخر من بعده وثالث من بعدهما وبني امية فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان كما اخبر الله به نبيه وكما اخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا وكما انتهى إلينا من علي فيما يكون من بعده من الملك في بني امية وغيرهم فهذه الآية التي ذكرها الله في الكتاب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ الذي انتهى إلينا علم ذلك كله فصيرنا لأمر الله عز وجل فنحن قوام الله على خلقه وخزانه على دينه نخزنه ونستره ونكتم به من عدونا كما كتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اذن الله له في الهجرة وجاهد المشركين فنحن على منهاج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يأذن لنا في اظهار دينه بالسيف وندعو الناس اليه فنصيرهم عليه عودا كما صيرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بدوا» ..

الآيات الثلاث الاخرى تلحيقات تكملها في هذه الشريعة الأخرى.

وقد تكون هذه الثلاث في آيتنا تعنيها السجدةان فيما عنت وعننا فالسجدة الاولى :  
 اللهم انك منها خلقتنا ، ورفع رأسك : ومنها أخرجتنا ، فقد تعنيهما ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾  
 والسجدة الثانية : وإليها تعيدنا ، ورفع رأسك من الثانية : ومنها تخرجنا مرة أخرى»<sup>(١)</sup>.  
 ثم ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ تعني تناسل الذرية الى جنب الإنسان الاول ، مهما بان البون  
 بين الخلقين من تراب ، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ اعادة ما خلق منها فيها ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً  
 أُخْرَى﴾ إخراج لما خلق منها وأعيد فيها ، و «كم» في هذه الثلاث تعني جزئي الكيان  
 الانساني جسدا وروحا وهي أخرى ان تعنيها «كم» فقد خلقنا بأرواحنا وأجسادنا من  
 الأرض منذ البداية في تناسل الذرية ، فالإنسان الأول خلق جسمه من تراب ثم روحه المنفوخ  
 فيه سلاله من الجسم نفسه ، ثم الإنسان عبر التناسل مادة ارضية حتى الجنين ومن ثم ﴿ثُمَّ  
 أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ روحه المنفوخ فيه هو إنشاءه خلقا آخر ، سلاله من جسمه ، وعلى  
 حد المروي عن أئمتنا هو «جسم رقيق قد البس قالبا كثيفا».

فجسم الإنسان الظاهر وجسمه المثالي ، بروحه النباتي والحيواني والانساني ، انه في  
 هذه الخماسية مخرج من الأرض ثم يعاد فيها ثم يخرج منها مرة أخرى كما الاولى ، بالأجزاء  
 الأصلية التي عاشها طول الحياة وكما يناسب الحياة الأخرى.

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨٢ في العلل باسناده الى احمد بن علي الراهب ، قال قال رجل لأمير المؤمنين (عليه  
 السلام) يا ابن عم خير خلق الله ما يعني السجدة الأولى فقال : تأويله اللهم.

فهنا لك امر محفوظ من كل نفس في هذه المراحل الثلاث ، وعَلَّه النطفة التي خلق منها كل نفس بالروح المنفوخ فيها بعد اكتمالها جنينا ، فالخارج من الأرض يوم الحشر هو المخلوق منها في البداية ، وسائر الاجزاء البدنية بين الخلق والحشر زيادات لا تعني حشرا ولا يعينها الحشر ، حيث القصد إيصال الجزء الى الروح بيدتها الذي عاشته طول الحياة ، دون الاجزاء الاخرى التي هي اصول لنفوس آخرين ام فروع لكل نفس هي ضيف تأتي وتروح ، والادلة العقلية والنقلية الثابتة كتابا وسنة لا تثبت اكثر من حشر الروح بيدن ما هو باحرى الجزء الأصيل الذي عاشه طول الحياة بما فيها حياة التكليف.

وهذه عظة وعبرة لاولى النهي وكما قرأها رسول الهدى (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) على بنته حين دفنها ثم قال : بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ ٥٦.

وترى ما هي ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ ولم تبرز في هذا المجال إلا آيتان ، ثعبان العصا واليد

البيضاء :

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (٢٦) :

(٢٣) وهنا لك آيات بجنب آية طه تذكر ما أريه فرعون

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٠٢ . اخرج احمد والحاكم عن أبي امامة قال لما وضعت ام كلثوم بنت رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) في القبر قال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) : منها خلقناكم ... بسم الله ...».

بجميع الآيات <sup>(١)</sup> ومنها آية مضت من طه نفسها <sup>(٢)</sup>.

«آياتنا» هنا وفي سواها تعني التسع التي أرسل بها موسى الى فرعون وملأه على طول الخط ، لا فحسب في بداية الرسالة : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّاهُ بِسِحْرِهِ إِسْرَافِيلَ. إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا. قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (١٧ : ١٠٢) ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٢٧ : ١٣).

واما «كلها» فقد تعني كل التسع المقررة للطاغية ، ام انها نماذج من كافة الآيات البصرية التي أعطيها رسل الله ، مهما اختلفت عنها اشكالها ام توافقت ، ام انها مثلثة الآيات ، على التوحيد والنبوة والمعاد ، عقلية بصيرية وحسية بصرية ، ف «كلها» هي الكل الجمعي ، دون استغراق الأفراد منها ، موزعة على كافة الرسل.

«فكذب» بها «واي» عنها ، ناسبها لها الى سحر دوغما آية برهنة :

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ٥٨.

هنا «بسحرك» دليل انه أراه من آيات الله ، فيهدده : ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ

(١) «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ..» (٧ : ١٠٣) (١٠ : ١٠) و (١١ : ١٢).

(٢) وهي «اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي دِكْرِي» فانه ذهاب رسالي الى فرعون وملأه ككل ، دون بدايتها حتى تخص بالآيتين النموذجيتين.



بِسِحْرِ مِثْلِهِ ﴿﴾ وكما في الأعراف : ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .  
فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ . قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ  
فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ  
وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تَوَكَّلْ سَاحِرٌ عَلِيمٌ .﴾ (١١١) .

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾ استفهام انكار بكل استكبار ﴿لِنُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا  
مُوسَى﴾ ؟ .

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ  
لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠ : ٧٨) . ﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرِينَ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (٢٣ :  
٤٧) .

و ﴿لِنُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ نموذجة تعني هذه كلها ، ان تستلبونا سلطاننا فلنخرج من  
أرضنا إذ لسنا نعيش تحت سلطتكم ولا ان نبذل ديننا ، وذلك إحماء لنا عن كيانتنا ،  
واجتثاث لجذور حيواتنا .

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ﴾ مماثلة في اصل السحر ولكننا نحن الغالبون : ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ  
السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ (٢٦ : ٤٠) في سحرهم سحره فتطلب موسى في البداية ان  
يرسل معه بني إسرائيل ، والطاغية يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم خوفا من تكاثرتهم فتغلبهم  
، ثم ظهور آية خارقة بيده ، لذلك خاف على ملكه ، وهذه الثلاث قاهرة باهرة على فرعون  
وملائته .

فهنا الطاغية يتهم موسى سياسيا لإثارة الساسة والرعية ومن يحبون ارض الوطن ، وفي  
نفس الوقت يتهمه دينيا ﴿لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ . وفي الغافر . يجمع بينهما : ﴿إِنِّي  
أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٤٠ : ٢٦) .

(٤٠ : ٢٦).

وهما من أهم ما يهم كل امة ، تمسكا بمبدئي العقيدة والقومية ، وحين تجتمعان فهنا لك الطامة الكبرى على من يعارضهما ، وهكذا يكيد فرعون أمام موسى بمسمع ومرأى حاشيته وشعبه ، تفلتا عن برهانه ، وتلفتا الى ما يصرفهم عنه علّهم يثبتون ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾.

ثم وليعارضه . على زعمه . يتطلب اليه ان يجعل موعدا لمغالبته في سحره ! : ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لمعارضة السحر ومغالبته ﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ موعدا لا يعذر أحد منا عن حضوره ، ﴿مَكَانًا سَوِيًّا﴾ وسطا بين الطرفين ، سويا دون ارتفاع ولا انخفاض ، فان السوى هي المستوي طرفاه ، وهو يعم استواءه في نفسه وبالنسبة للطرفين في المباراة.

ونرى الطاغية في ذلك الكيد الأكيد يستحكم مواعده زمانا ومكانا سوى ، ولكي يخيّل الى شعبه انه على شيء ، والا فلما ذا أصل الموعد ، ثم لماذا التأكد من زمانه ومكانه العام لتكون المظاهرة في مشهد ومسرح عام؟.

انه يستحكمه اعتمادا على شايع قدرته وبالغها عند شعبه ، فلأن موسى وليد بينهم فلا بد انه تلميذهم.

وقد كان ذلك باشارة من حاشيته : ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (٧ : ١١١).

وهذه طبيعة الحال ممن يعارض البرهان ، فليس على موسى ان يتطلب ذلك الذي طلبوه لأنه على حجته الباهرة القاهرة ، ثم على استعداد تام ليكرر لهم حجته يوم حشرهم لتتمّ عليهم كلهم ، فلذلك يجاوبهم من فوره :

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضَحَى﴾ ٥٩.

وقد اختار موسى لتلك المباراة أفضل وقت في اجمع يوم : ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ العيد الشعبي العام حيث الناس فيه يحشرون ، اضافة الى ندائه العام ان يجمعوا فيه لهذه المباراة من سحرة ومن الناس ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ. لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ (٢٦ : ٤٠).

ثم ﴿وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضَحَى﴾ ليكون الوقت ضاحيا في أوضح فترة من فترات النهار وأشدها تجمعا يوم الزينة ، لا في الصباح الباكر والجميع لما يغادروا البيوت ، ولا في الظهيرة إذ قد يعوقهم الحرّ ام حاجة الغذاء ، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع ام من وضوح الرؤية ، وانما وسطا بين الظهيرة والمساء. وذلك مربع<sup>(١)</sup> من الحائطة الفائقة لتجمع أكثر عدد ممكن لمسرح المباراة ، وليعلم فرعون وقومه ان موسى احرص منه وأحرى بتلك المباراة ، وان ما عنده أقوى مما عند فرعون من قوة في ذلك الصراع.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ ٦٠.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ عن موسى وعن الحق الذي جاء به وعن مجلس المواعدة ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ المنتشر بين السحرة والحاشية الملكية وفي نفسه اللثيمة ، فما أبقى كيدا الا جمع بعضه الى بعض علّه يتغلب على موسى الذي زعمه ساحرا كسائر السحرة.

(١) وهو ان الموعد يوم الزينة . وقد دعي السحرة . ودعي معهم الناس . وان يحشر الناس ضحى ، وهذه الزوايا الأربع هي التي تجعل ذلك المجتمع اضخم ما يكون وأهمه.

فقد أجمل «كيد» كل قاله وحاله وفعاله في كيدته مما أشار به ملائته وأشاروا له ، وما دار بينه وبين السحرة والحاشية من تحميس وتحريض وتحريض ، ووعد بكل ثمين ورخيص ، «ثم» بعد ذلك الجمع الجامع الجامع في ظنه «أتى» يوم الموعد بكل خيله ورجله ورجاله<sup>(١)</sup> فما هو . اذن . دور موسى في ذلك الجو الكادح الكالح! وليكون الباطل هو الفالج والحق هو الفالج.

انه يبدأ قبل كل شيء في هذه المباراة بالعظة الحسنة ، المذكورة المحذرة :

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَن

افْتَرَى﴾ ٦١.

«قال لهم» وهم فرعون وملائته وسحرته فإنهم من كيدته<sup>(٢)</sup> وضمير الجمع راجع اليه بكيدته الشامل لهم كأصول ، ثم سائر الجمع كهوامش الضلالة ، وكلهم من المفتين على الله كذبا ، فرية في اشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وتسميتهم وحي الله أساطير ، وآية الله سحرا ، ورسول

(١) البحار ١٣ : ١٢١ القمي عن الامام الصادق (عليه السلام) في حديث له طويل عرض فيه القصة على طولها وقد مضى شطر منها «فلما ارتفع النهار من ذلك اليوم وجمع فرعون الخلق والسحرة وكانت له قبة طولها في السماء ثمانون ذراعا وقد كانت لبست الحديد الفولاذ وكانت إذا وقعت الشمس عليها لم يقدر احد ان ينظر إليها من لمع الحديد ووهج الشمس ...

(٢) البحار ١٣ : ١٢١ في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) .. وجاء فرعون وهامان وقعدا عليها (القبة) ينظران واقبل موسى ينظر الى السماء فقالت السحرة لفرعون : انا نرى رجلا ينظر الى السماء ولم يبلغ سحرنا السماء وضمنت السحرة من في الأرض فقالوا لموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ...

الله ساحرا ، وقد اشترك ذلك الجمع كلهم في هذه الافتراءات أصولا فيها ام فروعا وهوامش ، فالنصح - إذا - يشملهم كلهم ، و «ويلكم» كلمة مركبة من «وي . و . لكم» اي تبا لكم وواها وعذابا وآها.

﴿لَا تَفْتَرُوا .. فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ ان افترىتم على الله كذبا دون توبة ولا أوبة ، والإسحات من السحت وهو استئصال الشعر بخلق ، فهو الاستئصال والإهلاك الساحق الماحق ، و «بعذاب» يعم مثله ، هنا وفي البرزخ والآخرى ، وقد شمل فرعون بجنوده في كل زواياه لأنهم كانوا هم الأصلاء في فرية الكذب على الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ وخسر على أية حال «من افترى» على الله ام وعلى خلق الله ، فالفرية دركات كما التصديق درجات.

والخيبة وهي عدم الوصول الى الهدف من الفرية ، هي عذاب فوق العذاب ، فللمفترى إسحات عذاب وخيبة أمل ، ظلمات بعضها فوق بعض.

لقد قال موسى كلمته القاطعة القاصعة ، فلمست منهم بعض القلوب غير المقلوبة من السحرة فتلجلج في امر موسى ، وأخذ المصريون على المباراة يجادلونهم متنازعين :

﴿فَتَنَّا زَعْوَاهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ٦٢.

وهكذا تنزل الكلمة الصادقة كالقذيفة في معسكر المبطلين فتزعزع نفسياتهم على قدراتهم فتوقع الربكة والجلجلة في صفوف السحرة المقربين المدربين ، فتحوجهم الى إسرار النجوى خوفا من فرعون وموسى !.

والتنازع من النزاع وهو جذب شيء من مستقره لينقلع ، والنجوى هي المسارة في امر بكلام وسواه ، وإسرارها هنا تعميق في إخفائها كيلا يسمعها موسى .

ولقد كان «أمرهم» الذي تنازعه بينهم امر التصديق والتكذيب لموسى ، فطائفة تحنّ الى تصديقه ، واخرى الى تكذيبه ، وثالثة عوان بين ذلك ، متجاذبين أمرهم بينهم في سر مستسر ، فالاولى لا تجرء على اظهار أمرها خوفا من فرعون وملائه ولما يظهر امر موسى ويهر ، وحتى يتبلج امره بعد ما تلجلج ، فضلا عن ان يجذب المعاندين الى الحق ، والثانية تحاول جذبها والثالثة الى التكذيب ، وبالفعل أصبحت هذه الأقلية الصالحة تحت ضغط الاكثية الكالحة فسكتوا عما :

﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ ٦٣ .

وعله خطاب ذو بعدين من الاكثية المضللة ، لأنفسهم استحكما لعري ضلالهم ، وللحائرين مزيدا في تحيرهم ، سنادا الى أهم الأمور الحيوية لكل امة سياسيا وروحيا ، إخراجا من أرضكم ، وإذهابا بطريقتكم الروحية المثلى ، وكل ذلك بسحر دون أية حقيقة ، فهو . اذن . باطل يريد ان يذهب بحقين حقيقين بالبقاء لكل امة .

فإذا هو ساحر فأنتم اولى بالسحر منه ، ثم اولى منه بأرضكم وعرضكم ، وطريقتكم المثلى التي لا نظير لها ، وذلك اخطر كيد على امة ، لتبقى تحت نير الذل والفرعنة دون ان يؤتى لها مجال التفكير لصالحها يوما ما!

فلقد استحثوا دفائن ثورتهم من فورتهم يدا واحدة ضد من يريد القضاء على بعدي الحياة الراقية! فاليوم هو المعركة الفاصلة بين الحق والباطل :

﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ ٦٤ .

اجماع كيد جماعي في صف واحد متراص للاستعلاء على من يريد القضاء على السلطة الزمنية والروحية ، وليس . فقط . من الاكثرية المضللة ، بل ومن الاقلية المتلجلجة ايضا ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾!

ولاجماع الكيد بعد ان ، اولهما جمع كافة مكائدهم مع بعض البعض دون فراق ، وثانيهما ان يتشاوروا فيما بينهم في ذلك الكيد المجموع.

فالى ميدان النزال للنضال حتى يعرف الداني من العال ، آخذين كل حائطة حاضرة

وبائنة :

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ٦٥ .

وهنا عدم البدء من موسى سياسة لائقة به لابقية في المباراة ، فانه مدافع وليس مهاجما حتى يبدأ ، ثم البادئ في الحوار خاسر على أية حال لا سيما إذا لم يكن مؤيدا من عند الله ، فليخسروا هم بتلك البادئة الخاسرة ، فلا يرد عليه ان تقديم الشبهة على الحجة إدخال في اللجة ثم لا يعلم الخروج عنها؟ لأن حجية هذه الحجة لم تكن لتظهر الا بعد ظهور الشبهة ، ثم البالغة الدامغة للشبهة!.

ثم هؤلاء المتعودون على اتباع فرعون لم يكونوا لينظروا الى الحجة البادئة بعين الاعتبار لأنهم في انتظار ما أتى به السحرة ، ولكنهم بعده يتأكدون من الحجة اللاحقة الماحقة له ، فلتكن حجة الرسالة لاحقة دمغا لسحر السحرة.

وعلى خطورة الموقف دفعتهم الى تخييره في الإلقاء ، دون إلزام عليه احد الأمرين ، ثم تقبلهم ما اختاره موسى هو من مخلفات اقتراحهم واختياره ، ثم من غرورهم بعددهم وعددهم وهم بحضر فرعون وملائه ، وكأنهم يرونهم في ﴿أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ متقدمين عليه بكل شجاعة وهيمنة

لا يتخوفون عن إلقاءه ، ولا يتخرجون دفاعه في إلقاءه!

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ ٦٦ .

و «القوا» هنا خطابا لجمع السحرة لإلغاء سحرهم قبل إلقاءهم ، فلو لم يطمئن موسى الى غلبه عليهم كان «القوا» منه إلغاء ، لإلقاء نفسه بعدهم الى التهلكة ، وهذه اولى خطاه توهينا لما يلقون ، وتوهينا بإلغائه ما يلقون .

وترى كيف خيّل الى موسى من سحرهم انها تسعى ، وقد آتاه الله ما آتى؟ إن «يُخَيِّلُ» هنا هو طبيعة الحال من سحرهم لكلّ من رأى ، خيالا لا يعارض يقينا في بال على أية حال ، وذلك نصيب موسى من سحرهم ولكن لمن سواه ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (٧ : ١١٦) .

ثم «يُخَيِّلُ» المستقبل دون «خيّل» الماضي ، تقضي على ذلك الخيال ايضا فلا تعني «يُخَيِّلُ» إلا طبيعة الحال من سحرهم لمن يخال دون واقع الخيال لموسى .

ثم السحر من السحارة وهي ما ينزع من السحر . طرف الحلقوم . عند الذبح ، فيرمى به ، وجعل بناءه بناء النفاية والسقاطة ، فالسحر هو إصابة السحر كسقاطة ونفاية دون واقع ، فالساحر كأنه يذبح المسحور وليس يذبح ، ويأخذ عقله وحسه وليس يأخذ ، وانما هو تخييل لا يرجع الى عقل ولا واقع .

فالسحر مهما بلغ من حالة خارقة للعادة ، ليس ليأخذ مأخذه في القلوب والعقول ، وانما خطفة من عين ام أذن ، وهو يبطل بسحر مثله وكما



يبتل مثله ، ولا يؤثر فيما يؤثر إلا بإذن الله : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢ : ١٠٢) اللهم إلا في دعوى الرسالة ام معارضة آية الرسالة ، فانه اضافة الى القصور الذاتي فيهما يبطله الله تعالى عن بكرته لكيلا ينعثر به ضعفاء العقول ، فضلا عن ان يأذن الله!.

وتراه كيف يأمرهم بسحرهم والسحر محرم في شرعة الله ، ولا سيما ذلك المضلل لعباد الله؟.

انه يأمرهم به لكي يغلب الحق في صراع الباطل ، ولا يظهر له غلب عليه لولا ذلك الصراع! ولكي يدافع عن نفسه تهمة السحر الموجهة إليه من فرعون وملأئه.  
وهنا ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ﴾ وهناك ﴿بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ يشيان بعظمة ذلك السحر وضخامته عددا وعددا حتى ليوجس خيفة في نفس موسى :

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ٦٧.

والوجس هو الصوت الخفي ، فالإيجاس هو التصويت الخفي ، فلو كان جليا لتجلى في صفحات وجهه ، وكان محجوجا بسحرهم قبل آيته ، فلم تكن إلا «خيفة» خفيفة واجسة طفيفة في قرارة النفس ، دون استقرار فيها ولا استغرار لها ، وانما هي على غرار ما خيّل اليه.

ويا عظماء من سحرهم ووا عجباه إذ بلغت بهم البراعة في فنهم والبراعة في سحرهم الى حدّ يوجس في نفسه خيفة موسى ، وما هي النفس البشرية لو انقطعت عنها العصمة الإلهية أنا ما ، خافت عما لا يخاف منها ، وقد تكون هذه الوجسة مشيرة الى عظم الموقف وضعف الواقف في نفسه حتى تدركه العصمة الإلهية بالبشرى ، وإيجاس الخوف لا يطارد العلم بانه غالب ، وكما يخاف الميت على علم انه لا حراك له ولا ضرر منه.

ام قد تكون خيفة موسى من ضلال الناس في هذا المجال ، ف «لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال» <sup>(١)</sup>.

ام الوجستان معنيتان معا وهما ناحيتان منحى براعة الصناعة وسرعتها وهيبتها ، فجاءته من ربه البشرى :

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ٦٨.

أنت الأعلى في آيتك العظمى ، وأنت الأعلى في هدى من اهتدى حيث يتحرى عنها.

«لا تخف». ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ فمعك الحق كله ومعهم الباطل كله ، معك ربك ومعهم الطاغية ، معك العقيدة ومعهم الحرفة بغية اجر المبارة ، أنت متصل بالقوة الكبرى وموصول النياط والنيات بالرب الأعلى ، وهم يتصلون بالأرذل الأدنى ، ف ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾.

«لا تخف» هنا كما «لا تخف» عند ما ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ فانه لم يكن عشيرا لخارقة قبل ان يرى ما رأى من آيات ربه الكبرى ، ام سحر خيل اليه بجهلهم وعصيتهم انها تسعى ، فكان من طبيعة الحال خوفه ، ولكنه أمام الآية الالهية ظاهر ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٢٧ : ١٠).

فهنا خوف ظاهر يوليه مدبرا عن آية باهرة ، ولكن هناك إيجاس خيفة

(١) نهج البلاغة عن الإمام امير المؤمنين علي (عليه السلام).

لأنها خارقة خارقة ، والخوف هو طبيعة الحال مما لم يأنسه الإنسان على اية حال ، ولكنه لما طمأنه ربه . وقبل ان يلقي . أخذ يعظهم وينبئهم بغلبة عليهم بعد قليل ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ . وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٠ : ٨٣) . ثم حقق ما أنبأ وأوعد بأمر الله :  
 ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كِبَئُودًا سَاحِرًا وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ٦٩ .

وهنا بصورة قاطعة إفلاج الساحر رغم محاولته في إفلاحه ، وهناك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ مما يبرهن ان الساحر المتحدي آيات الرسالة فالج غير فالج حيث أتى ، وبأية قوة واية كيفية كانت ، وعلى ضوءه ندرس ان الآيات المعجزة غالبية على اية حال على السحر أيا كان وحيث أتى .

وهكذا نعالج بأس كل ساحر بسحره بقراءة آيات من الذكر الحكيم على موضع السحر بنية صادقة فيبطل .

وقد يروى عن رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إذا أخذتم الساحر فاقتلوه ثم قرأ : ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ : قال لا يأمن حيث وجد» <sup>(١)</sup> والقدر المعلوم منه من يعارض بسحره آية النبوة .

وانما ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾ دون «عصاك» على طوله واجمالها ، واختصارها وصراحها؟ عساه ينتبه مرة اخرى ان ليست عصاه بما هي عصاه تلقف

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٣ . اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

ما صنعوا ، تخلية لها عن اعتماده عليها ، وتخلية لها بتجردها عن نسبتها اليه ، وان الله هو الذي يحولها كما يريد ، وهو الذي يعيدها سيرتها الاولى كما خلقها.

ثم و ﴿تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا﴾ كنتيجة حاسمة لتحويلها ثعبانا مبينا يلقف كيد ساحر :  
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ (٧ : ١١٩).

فبالفعل ألقى موسى عصاه ووقعت المفاجأة الفاجعة الكبرى ، فحولت كامل مشاعرهم لا يسعفهم الكلام للتعبير عنه ، ولا يكفي النطق للإفضاء والإفصاح به ، فانهارت كل طاقاتهم النفسية فوقعوا على الأرض سجدا وكأنها دون اختيار ، حيث الساحر اعرف بسحره من غيره ، فأعرف بالآية الربانية التي تختلف تماما عن كل انواع السحر <sup>(١)</sup>.

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ ٧٠.

وهنا «فألقي» المجهول يصوّر ضخامة الموقف ، بمدى تأثير الآية

---

(١) البحار ١٣ : ١٢١ في حديث الامام الصادق (عليه السلام) ... فالقى موسى عصاه فذابت في الأرض مثل الرصاص ثم طلع رأسها وفتحت فاهها ووضعت شديقها العليا على رأس قبة فرعون ثم دارت والتقمت عصي السحرة وحبالها وغلب كلهم وانخزم الناس حين رأوها وعظمها وهو مما لم تر العين ولا وصف الواصفون مثله قبل فقتل في الهزيمة من وطء الناس بعضهم بعضا عشرة آلاف رجل وامرأة وصبي ودارت على قبة فرعون قال (عليه السلام) فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما وشاب رأسهما وغشي عليهما من الفزع ومر موسى في الهزيمة مع الناس فناداه الله : ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ فرجع موسى ولف على يده عباءة كانت عليه ثم ادخل يده في فمها فإذا هي عصا كما كانت ...

الإلهية في نفوس السحرة لحد لم يتمالكوا أنفسهم عن سجدة كأنها اتوماتيكية ، وتراهم كيف ألقوا سجدا بعد ما ألقى موسى عصاه ، حيث ألقوا ما ألقوا؟  
لأنهم رأوها ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٧ : ١١٧) واللقف هو تناول بحذق ، وقد تناول شعبان العصا وتلقف كل ما افكوا.

فعصى صغيرة تتحول شعبانا عظيما فتلقف كل عصيهم وحباهم من ناحية ، ولها ما للشعبان من أعضاء خلاف حباهم وعصيتهم التي كان يخيل اليه من سحرهم . فقط . انها تسعى دون أعضاء ، من اخرى ، وعدم رجوعها ما لقفته من ثالثة ، وعودها عصى صغيرة كما كانت من رابعة ، . وواحدة منها يستحيل ان تتم بأية حيلة ساحرة . كل ذلك جعل السحرة قاطعين كوضح النهار أنها آية الهية قاهرة وليست حيلة ساحرة!.

وانها اللمسة المفاجأة القوية تصادف العصب الحساس فينتفض كيان الإنسان كله ، كما تصادف الذرة فتفجرها وتشرق النور عن ظلامها ، وقد تحولت السحرة كلهم من ظلام الشرك الى نور التوحيد بكلمة واحدة ساجدين ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾!

ولماذا ﴿بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ دون «ربنا» او «رب العالمين»؟ حتى يميزوه تعالى عن أرباب اخرى . ف «ربنا» و «رب العالمين» قد يخيل منه انه الطاغية لمكان دعواه ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ولكن موسى وهارون الناكرين لكل ربوبية الا الله ، كان التصريح بهما في ذلك الموقف صراحا لتلك الربوبية الصادقة الماحقة لسائر الربوبيات ، مهما بدلوا الصيغة في حوارهم مع الطاغية : ﴿قَالُوا لَا صَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (٢٦ : ٥٠). اعتمادا على تلك السابقة السابقة الصارحة الصارفة ﴿بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ وقد يتقدم هارون هنا على موسى لكي تحسم مادة ربوبية الطاغية لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ فانه موسى دون هارون ،

فليقدم عليه هارون حسما لذلك التخيل واستأصالا له عن بكرته.

هنا «السحرة» . جمعا محلى باللام الدال على الاستغراق . ، ألقوا سجدا مؤمنين بالله وهم اليه منقلبون ، وفي يونس ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ (٨٣) والسحرة جم غفير وهم لم يكونوا من قوم موسى فكيف التوفيق؟.

علّ هذه القلة المؤمنة من قومه كانت قبل ان يلقي عصاه . وقد القوا حبالهم وعصيهم . وبعد عظته لهم : ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ... فَمَا آمَنَ لِمُوسَى ..﴾ . ولكنما السحرة آمنوا به بعد ما القى عصاه صامدين غير متخوفين كما هو صراح حوارهم مع الطاغية حين أخذ يهددهم! :

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ٧١ .

ذلك! وأتى للطغاة أن يدركوا الإسلام ويميزوه عن الاستسلام ، أتى لهم ان يدركوا كيف تتقلب القلوب بأمر من مقلب القلوب ، وحتى قلب الطاغية حيث أحب عدوه موسى ورباه في حجره عمرا دون ان يعرفه بعدائه.

وهكذا يخيل هنا الى الطاغية ان الايمان بالله هو . من ضمن سائر الاستسلامات لأمره . لا بد وان يكون باذنه ، وكأن القلوب من ممتلكاته كما القوالب ضمن ما سيطر عليه بالسيف والنار ، خلطا بين القوالب والقلوب وهي لا تقلب بإكراه ولا يغلب عليها بإكراه  
ف ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾!

ثم وركيزة الايمان في القلوب درجات ، فقد تضعف ام تتمحي بما يتغلب عليها تسويلا ، ام تبقى ولكن صاحبها يتظاهر بخلافها حفاظا على حياته ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وقد تركز لحد تحلق على كل كيان المؤمن ، وللحفاظ على سيادة الايمان أمام الطاغية ، وهدي المستضعفين المستغلين الى الايمان ، لا يخافون اي تحديد او تهديد وكما نراه من سحرة فرعون ، فان موقفهم الحاسم كان يتطلب هكذا صمود في ظاهر الايمان كما في باطنه ، فما قيمة ايمان في الباطن بكفر يتقى به في الظاهر ، حيث يغري المتحرين عن الهدى ويقي الباغيين للردى ، وليس ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ إلا جوالا يضر بكتلة الايمان ، ولا بالضالين المتقبلين له بحجة ظاهرة باهرة.

ونرى الطاغية هنا وقد خسر السحرة وهم كل من يملكهم من الحجة في تلك المباراة ، نراه يتهمهم كما اتهم موسى ، حسما للموقف المتزعزع بين الحاضرين : ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فهنا لك تواطؤ بينكم ومؤامرة كانت خفية ، وقد ظهرت في ذلك المسرح الصريح.

وقد صبغ الموقف بصبغة سياسية اضافة الى الروحية ، ان السحرة احتفوا حول كبير لهم هو موسى وكما في الأعراف ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لَأَقْطَعَنَّ .. قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾.

وهذه هي دعاية متعودة بين فراعنة التاريخ امام الرسل والمؤمنين ، صدا لزعرعات المستضعفين ، تزيينا لهم سلطاتهم الروحية والزمنية ، وتهديدا بان في تقبل الدعوة الرسالية زوالها وهي حياة الرعية ، فالفائد يعارض تلك الدعوات حفاظا على صالح الرعية روحيا وزمنيا. وان في ذلك تعمية منهم في بعدين بعيدين ، أولاها هي فاسد السلطة

الروحية الحاضرة ، وأخراها هي صالح الاخرى الزمنية المحتضرة ، إظهارا للحق بمظهر الباطل والباطل بمظهر الحق «فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

ولما يرى الطاغية ان هذه الدعاية والفرية الماكرة لا تؤثر في صميم ايمانهم ، ولا يزعزع من مكين إيمانهم ، انتقل منها الى تهديد بنوع آخر : «فألقطعن» استعلاء بالقوة الغاشمة الوحشية التي تستعمل مع الوحوش ، دون تمييز بين انسان يقرع بالحجة وحيوان يقرع بالنائبة. ﴿فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ عذابا معمولا متداولا بحق أفسد المفسدين ، ثم ﴿وَلَا صَلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ عذابا فوق العذاب لقمة الإفساد ، ولكي ينظر الناظرون فيعتبروا ، وينذر المندرون فلا يتبعوهم ، ومن ثم ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى؟﴾ هل هو موسى بما يهددكم بعذاب الأخرى ، ام انا المعذب لكم هكذا في الاولى ، واين غائب من حاضر ، وموعود من واقع؟ ثم «وأبقى» سلطة ، هل ان موسى هو الأبقى وهو في يدي وتحت سلطتي ، ام انا الابقى ، فأين إله موسى حتى يعذبني وملئي حتى لا نبقي؟ واين هو من هذا المسرح حتى يبقى موسى فلا نبقي؟.

فلقد هددهم فرعون بما هدد فما أبقى ، ولكنه ما يصنع التهديد . أيا كان . بحديد الايمان وشديده بأشدّه ، اللمسة الإيمانية التي وصلت إلى أعماقهم ، واندغمت في ذواتهم ، فلا تزهق مهما أزهقت أرواحهم ، حيث آثروها على الحياة الدنيا بخذافيرها ، فلا يخافون إذا أظافيرها بخذافيرها :

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا



أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٢ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٧٣.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ. إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٦ : ٥١). ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ. وَمَا تَنْقُمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (٧ : ١٢٦).

هنا نرى قمة الصمود على ضوء الايمان المحلّق على كل جنباتهم الحيوية ، فلا يؤثرون عليه امرا ، ولا يؤثّر فيهم دونه امر مهما كان إمرا.

ثم ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ قد تلمح بأنهم كانوا من قبل موحدين ، ام انه انقلاب بحكم الفطرة والعقل والآية البينة ، ثم ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ تصريحاً أنهم ما سحروا هناك مباراتاً بل مجاراتاً للطاغية اكرهاها منه عليه ، وعله بعد الانقلاب الاول لعصى موسى ثعبانا مبينا لدى فرعون ، وبعد ما وعظهم ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ثم اكرههم فرعون على سحرهم وأن ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ..﴾ فلذلك تادّبوا وتلّينوا مع موسى في المباراة.

ولذلك أصبحوا هنا ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ صمودا وزمنا ، ومن صمودهم إحالتهم إشار الطاغية ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ فطرية وعقلية وحسية وعلمية أما هيه وعلى ﴿الَّذِي فَطَرَنَا﴾ ، أم قسما بالذي فطرنا ، وهما معا معنيان ، وأنت كمثلنا مفطور له ، وقد فطرنا على فطرة التوحيد ، ففطر الخلق من ناحية ، وفطرة التوحيد المندغمة في الخلق من أخرى ، آيتان بيتتان بجانب هذه الآية العظمى انه هو الله ربنا لا إله إلا هو ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ علينا كما تهددنا ف ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

قضاء مقصورا بها ، محصورا فيها ، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع قليل .  
**ف ﴿مَنْ الْبَيِّنَاتِ﴾** هنا تعم الأنفسية إضافة إلى الآفاقية ، ونفس قصة العصا بيّنات ،  
 انقلابا ولقفا وعودة إلى سيرتها الأولى دون إعادة لما لقت! .  
 وترى كيف **﴿تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾** وليست قضاءه الا فيها على من فيها ام لهم؟  
 علّها لأنها مفعول به ، وقضاء هذه الحياة الدنيا هي إزالتها ، فقصارى قضاءك هنا قضاءها ،  
 حياتنا كما حياتك ، واما الحياة الآخرة وهي العليا فليس لك قضاءها ، فأنت تهددنا بقضاء  
 هذه الحياة وهي الدنيا ، وشرعة الله تهددنا بالآخرة وهي الحياة العليا ، وأنت شر وادنى وأفنى  
**﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** .

ثم و **﴿مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّخْرِ﴾** قد تعني تعلمه وتعليمه وإعماله من قبل وفي هذه  
 المباراة ، والتماس الغفر عن الخطايا ليس الا في المقصرة العامدة ، ام والمكره عليها فيما يمكن  
 التخلص عنها كهذه التي ارتكبوها وارتبكوا فيها ، والآن هم يستغفرون الله عنها في ذلك  
 الموقف الحاسم ، القاصم ظهر الطاغية ، الجاسم الباسم ظهر موسى والذين معه ، وهذه هي  
 من قمم التوبة العليا ، انقلابا كلياً الى الله سنادا الى آياته الباهرة وتبييناً لها بين الجموع  
 المحتشدة الحاضرة ، ملتجئين من الله ان يفرغ عليهم صبرا امام الطاغية ، وان يتوفاهم  
 مسلمين ، تخلصا لايمانهم عن هذه اليد الأثيمة اللئيمة ، مهما قطعت أيديهم وأرجلهم من  
 خلاف وصلبوا في جذوع النخل ، ف **﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾** . **﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** !

انه «خير» في ذاته وصفاته وأفعاله «وأبقى» فيها ثوابا وعقابا ، وذلك رد على قوله  
 الطاغية **﴿وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾** .

**﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾** ٧٤ .

وتراها واللتين بعدها هي تتمة المقال للسحرة؟ وكيف يكون لجديد الايمان والناشئ على الكفر هذه المعرفة السليمة عن مستقبل المجرم والمؤمن! فهي إذا بيان رباني لقضية الموقف ، ام هم درسوا الشرعة الإلهية من ذي قبل كما تلمحنها من ذي قبل فنقلوا ما قالوه عن لسان موسى.

«ومجرما» هنا تعني اجرام ثمره الحياة قبل إيناعها ، إجراما عقيديا واجراما علميا وأخلاقيا وعمليا ، فرديا وجماعيا ، نكرانا لخالق الحياة ام إشراكا به ، وتكذيبا بالحياة الأخرى ورسالة السماء ، فلا يعني فاعل الصغيرة ولا الكبيرة فانه لا يخلد في النار و ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ .. وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْثُكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُوثٌ﴾ (٤٣ : ٧٧).

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ ان يموت بحالة الإجرام دون توبة صالحة ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ حيث الحياة الإجرامية حياة جهنمية ، ثم و «يأت ربه» دون «الله» هو إتيان الى يوم الرب ربوبية الجزاء ، كما كان آتيا اليه يوم الدنيا ربوبيته التكليف ، فليس إذا إتيان المجرم الى مكان للرب ، وانما الى مكانة الربوبية المناسبة ليوم الجزاء . ف ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ صادرون منه وراجعون اليه.

ثم ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ مواصفة لأبدية الخلود ، وقد يتمسك بها في لا نهائيتها الحقيقية ، ولكن التعبير الصالح عنها «لا يموت» دون تقييد ب «فيها» ، حيث الموت فيها يعني بقاء جهنم بعد موت من فيها ، والآية تنفيها ، واما الموت معها إذ لا نار ولا اهل نار ، فالآية لا تنفيها ، ثم تثبتها ادلة اخرى كما فصلناها في مواضعها الأخرى <sup>(١)</sup> ، ومن أهل النار

(١) كما في سورة الأسرى والنبأ واضراهما حيث فصلنا البحث عن استحالة الابدية .

من يخرج منها ويدخل الجنة ، فلا يموت ابدا لا في النار ولا في الجنة فالآية . إذا . تشملهم .  
وقد تخص ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ المؤبدن فيها ، واما الخارجون عنها فقد يموتون فيها ثم  
يحيون للجنة <sup>(١)</sup> ولكنه احتمال لا نصير له قاطعا ، والموت في الخبر مؤول الى موت الاجزاء  
البدنية الجهنمية .

اجل ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ تخلصا عن عذابها وهي باقية ، ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ في «لا يموت»  
حياة لها حظوتها ، بل هي موتات متواترة دون فصال ، حيث عوامل الموت حاصلة ، والحياة  
معها ماثلة ، وذلك أشد العذاب ان يوازي عمر المعذب فلا هو ميت فيستريح ولا هو حي  
فيتمتع ، انما هو العذاب الواصب ما هو حي وما دام العذاب ، ثم لا نار ولا اهل نار .  
﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ ٧٥ .

فهنا لك أشد العذاب للآبدن في النار ، وهنا الدرجات العلى للمؤمن الذي عمل  
الصلحات ، وهذه تخص السابقين والمقربين وقسما من اصحاب

---

. الحقيقية للعذاب . وموت اهل النار في احتمالات اربع : موتهم فيها قيل فناءها ، ام موتهم بعد فناءها ، ام بقاءهم  
فيها دون زوال إطلاقا ، ام موتهم معها فناء لهما ، والآية انما تنفي الاولى ، والثانية تنفيها ابدية الخلود ، والثالثة  
منفية بادلتها ، فالرابعة هي الصالحة بادلتها .

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٠٣ اخرج مسلم واحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله  
(صلى الله عليه وآله وسلم) خطب فأتى على هذه الآية ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ..﴾ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اما أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون واما الذين ليسوا بأهلها فان النار تميتهم اماتة ثم  
يقوم الشفعاء فيشفعون فيؤتى بهم ضبائر على نحر يقال له الحياة او الحيوان فينبئون كما ينبت القشاء في حميل  
السيل .

اليمين ، فان لهم خالص الرحمة في الأخرى ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ .  
 وبين الفريقين طائفة أخرى من اصحاب اليمين لهم درجات عالية ام متوسطة ام دانية  
 حسب درجات الايمان والصلوات ، وهم لا يدخلون النار .  
 وطوائف من اصحاب الشمال يدخلون النار ثم يخرجون عنها قبل فناء النار ، طال  
 مكوثهم فيها ام قصر .

وتلك الدرجات العلى ، الشاملة حظوة الروح والجسم معا حيث ﴿رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ  
 أَكْبَرُ﴾ . هي :

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ ٧٦ .  
 والعدن هي الاستقرار ، والحياة المطلقة دون ممات ام خروج هي قضية فضل الله ، كما  
 الفناء مع فناء النار للآبدن في النار هو قضية عدل الله ، «وذلك» البعيد المدى والعظيم  
 المثنوى ﴿جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ قلبا وقالبا ، ايمانا وعملا صالحا .  
 وهذه من المشاهد القليلة النظير في تاريخ الرسالات حيث تعلن في إذاعة قرآنية مدى  
 حرية القلب البشري باستعلائه على قيود الأرض وسلطانها ، وانتصار الحق والايمان في واقع  
 الحياة المشهود ، بعد انتصارهما في عالم الفكرة العقيدة .

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ  
 دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (٧٧)

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى  
 (٧٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ  
 الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ  
 يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢)  
 وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى  
 (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ  
 غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ  
 عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا  
 أَوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا

فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى  
فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ  
هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ  
نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا  
(٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بَنُ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ  
أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ  
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي  
(٩٦) قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى  
إِلْهِكَ

الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

هنا يطوي السياق طيا عن كل ما حصل بعد هذه المواجهة من فرعون وملئه مع موسى وملئه ، قفزة الى مسرح الانتصار الأخير بعد الاول وليعتبر اولوا الألباب ، وقد نتلمح كصرار من آيات أخرى للقصة ان لم يكن وحي الإسراء دون فصل عن ذلك المسرح ، وان هناك ردحا من الزمن بينه وبين غرق فرعون وملئه <sup>(١)</sup> عاشه موسى والمؤمنون به في الجو الفرعوني ، حتى قضى موسى ما حمل ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ..﴾ (٢٧ : ١٣) وفرعون يحتال حيلة لتشويه السمعة الرسالية الموسوية : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٨ : ٣٨).

وموسى يؤمر ان يتبوأ لقومه ييوتا : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠ : ٨٧).

---

(١) البحار ١٣ : ١٢٨ عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : املئ الله عز وجل لفرعون ما بين الكلمتين أربعين سنة ثم اخذه الله نكال الآخرة والاولى وكان بين ان قال الله عز وجل لموسى وهارون : قد أجيببت دعوتكما وبين ان عرفه الله الاجابة أربعين سنة.



وذلك هو قضية الحال من تلك الآية الالهية في ذلك الحشد العظيم ، وما ركزت في قلوب من آثار ، فلا يسطع فرعون ان يقتل موسى ومن معه لتثاقل الجوّ وتعاضله إذ كانوا يمنعونهم رغم همّه : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٤٠ : ٣٦).

مهما كان هناك مرتزقة من ملئه يشجعونه على قتله : ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَأَهْلَكَ قَالَ سَنْقَتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (٧ : ١٢٧).

فلما قضى موسى ما عليه من آيات بينات ، وتصبّر ما كان له مجال على أية حال ، ووصل امره الى ملاحقة فرعونية شاملة حاسمة للدعوة والداعية ، أتى امر الله : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾ ٧٧.

ووحي الإسراء هكذا يوحي بمدى الملاحقة الفرعونية بعد ذلك المسرح الصراح للحق في صراع الباطل ، و «عبادي» مما يلوح بإيمان من آمن من السحرة كما لمسنه ، آمن سواهم كما هو قضية الموقف ، فلا تعني «عبادي» فقط بني إسرائيل مع ما لهم من تخلفات عن توحيد الله وعن شرعة الله ، فهؤلاء السحرة هم أحق منهم وأحرى بهذه الصيغة السائغة للصالحين ، وكأضربهم في بني إسرائيل مهما كانوا قلة ، ومنهم من هم أحرى من السحرة في «عبادي» ثم التلة الباقية منهم تشملهم «عبادي» قضية كونهم موحدين مهما ضعفوا ، وانهم كانوا يستضعفون ، والله يضيفهم الى نفسه تحننا عليهم وترحمنا.

وعلى القدر المعلوم هنا من «عبادي» هم بنو إسرائيل حيث النص

لا يذكر السحرة من هذا المسرح الى آخر المطاف ، فلعلهم قتلوا كما أوعدهم الطاغية ، ام ولأقل تقدير سجنوا ام حوصروا كيلا يلحقوا بموسى ، فضلا عما سواهم من القبط الذين آمنوا هناك.

﴿أَنْ أَسْرَ بِعِبَادِي﴾ وهو سري الليل وسيره : ﴿فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (٤٤ : ٢٣) فسرى الليل سرّ يخفى على الطاغية.

فاضرب لهم طريقا في البحر ييسا : ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٦ : ٦٣).

واليس ما كانت فيه رطوبة ثم زالت او ماء فذهب ، فقد انفلق البحر وأصبح طريقا ييسا ف ﴿لَا تَخَافُ دَرْكًا﴾ من الطاغية ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ غرقا في البحر.

وهنا ﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ بصيغة الأفراد قد تطارد الرواية القائلة انه ضرب في البحر اثني عشر طريقا حسب اقتراح الأسباط الإثني عشر ، ام تعني «طريقا» جنسه المناسب لعدده ، ولا دليل عليه ولا هو الأظهر منه او الظاهر بل ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٦ : ٦٤) تلمح باهرة لوحدة الطريق.

ذلك! إضافة الى ان في اتباع الحق أهوائهم ، ولا سيما هذه المفرقة بينهم وهم بحاجة الى توحيد الكلمة على كلمة التوحيد ، ان في ذلك فسادا لهم وكسادا للحق المرتجى منهم على ضوء هذه الرسالة القدسية الماحقة لمختلف الأهواء ، الساحقة لمختلف الآلهة!

ومن ثم فانقسامهم الى اقسامهم الاثني عشر ليختص كل بكل ، هذا يتطلب فرصة ، وقضية الفرار ولا سيما بعد ما ترائى الجمعان ، هي التسرع دون اي لبث لأية مهمة او قرار ، فحتى ان كانوا متطلبين ذلك التفرق

إشباعا لتفاصيل الأسباط ، لم يكونوا يتطلبونه وهم في خطر الإدراك وكما قالوا ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾!

فهنا نقطع ان «طريقا» هي واحدة ، والرواية هي من المختلقات الاسرائيلية.  
وهذه خارقة إلهية اخرى تظهر من عصا موسى ، فيها نجاة بني إسرائيل وغرق فرعون  
بجنوده :

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ ٧٨.

التبعية هي الحقوق والمتابعة ، والإتباع هو الملاحقة ، فقد لاحقهم فرعون بجنوده  
ليأخذهم ، ولكنه متى؟ ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ. فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا  
لَمُدْرِكُونَ. قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ. فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ  
فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ، وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ، وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا  
الْآخَرِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٦ : ٦٧).

﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ﴾ غرقا شاملا ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ منه ، وما أجمله اجمالا عن غرقهم  
بصورة مهينة وكأنهم غناء ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ...﴾ (٢٨ : ٤٠).

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ ٧٩.

ومن إضلاله قوله لهم ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٤٠ : ٢٩) حيث صوّر لهم  
ضلالة هدى ، وهدى موسى ضلالا ، أضلهم على طول الخط في سلطته الجبارة والى غرقهم  
، وعلّ منه ما يروى عن رسول الهدى (صلّى الله عليه وآله وسلم) ان قال : من قوله لعنه الله  
لجنوده :.

«تروى البحر قد ييس من فرقي فصدقوه لما رأوا ذلك» (١).

وبطبيعة الحال لم يكن غرقهم أجمعين الا بعد اقتحامهم في البحر أجمعين ، نزولا الى الطريق اليبس ، إذ لو رجع البحر حين نزلوا الى ما كان لم يلحق اخرهم أولهم ، وانما مكروا ببقاء الطريق اليبس حتى آخر نفر منهم ثم أطبق عليهم دون إبقاء ، بعد ما نجى موسى ومن معه : ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ . ف «ثم» هنا تؤخر غرقهم عن نجاة موسى ومن معه.

ويا لها من معركة صاحبة بين كتلتى الايمان والكفر ، فالأولون يملكون كافة الطاقات الروحية ، والآخرون لهم طاقات مادية ، فلم تكن الطاقتان متكافئتين في الواقع المادي ، فلا سبيل الى خوض المعركة ماديا حيث تكلّ الطاقة الروحية أمام من لا أرواح لهم إنسانية. فهناك تتولى يد القدرة الإلهية إدارة المعركة ، بعد ان اكتملت حقيقة الايمان والتصبر عليه في نفوس نفيسة لا تملك قوة سواها ، فترفع راية الحق مرفرفة عالية ، وتنكس راية الباطل مخففة خاوية ، وليعلم الذين آمنوا ان الله هو ناصرهم في حاضرهم كما في مستقبلهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقد ناسب الجو هنا التذكير بمهمة النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل ، وما واجهوها بها من تحلف ونكران وكفران لأنعم الله ، ما يوطئ الرأس لاصقة بالأرض تخجلا لو كانت لهم رؤس انسانية! :

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨٥ في كتاب سعد السعود عن ابن عباس ان جبرئيل قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . ونقل حديثا طويلا في حال فرعون وقومه وفيه «وانما قال لقومه ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ حين انتهى فراه قد ييس في الطريق فقال لقومه : تروى البحر ..

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُم جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ٨٠ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ٨٢﴾

عرض لبعض النعم التي أنعم الله عليهم ، سلبيا : «قد أنجناكم من عدوكم» من سلطته الزمنية والروحية الطاغية حتى صلح الظرف لا يجاب السلطة الشرعية فيإجابا : ﴿وَوَاعَدْنَاكُم جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ إضافة الى ممن مادية : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ ومتى؟ حين كنتم تتيحون في الأرض أربعين سنة في صحراء قاحلة جرداء ، وعلهما من الغذاء وسلوى الأمن كما فصلناهما في البقرة.

قائلين لكم ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ : فيما رزقناكم طغيانا في نعم الله ، ابتغاء له من حرام ، ام صرفا في حرام من سرف أو أيا كان ، ام نكرانا فكفران كذلك ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ الله ، في ألوهيته ان تشركوا به ام تنكروه ، ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ في هَوَات رغم ماله من قوات ، ولقد هوى فرعون أمامكم ، هويّا عن عرشه إلى فرشه ثم هوى إلى الماء ومنه إلى جهنم وبئس المهاد .. والهوي يقابل الطغيان وهو من خلفياته طال أم قصر ، قل أو كثر.

وترى ماذا يعني غضب الله وهو تغير الحال والله لا يتغير من حال الى حال بل ليست له حال على أية حال ف «لا يتغير بانغيار المخلوقين»؟

انه من الله العقاب ، حيث الصفات والأفعال المتشابهة المنسوبة الى الله تجرّد عما لا يناسب ساحة الألوهية ، إذا فغضب الله عذابه كما رضوانه ثوابه و «من زعم ان الله عز وجل زال من شيء الى شيء فقد وصفه صفة

مخلوق ، ان الله عز وجل لا يستغفره شيء ولا يغيره»<sup>(١)</sup>.

وإذا ابتليتم بذنوب من اشرارك بالله ام آية كبيرة عقائدية او عملية ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ...﴾.

هنا ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ وفي البقرة : ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥٢) وفي الأعراف : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤٢).

أترى هذه الثلاث تحمل مواعدة واحدة جامعة مرة كما هنا ، ومفردة اخرى كما في هاتين؟.

كأنها هي! حيث الأربعون هي الثلاثون المتممة بعشر ، أم الأربعون تجمع المواعدتين ، الثلاثين الحاضرة الظاهرة ، والعشر المتممة لها بعدها ابتلاء لبني إسرائيل ، إلا انها لم تكن ظاهرة من ذي بدء.

وهذه المواعدة وان كانت تعم بني إسرائيل ، ولكنما موسى (عليه السلام) هو المحور الأصيل فيها ، فعلة لذلك «وعدنا موسى ثلاثين . او . أربعين ليلة» ثم هنا ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ وهو الجانب

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨٦ في كتاب التوحيد باسناده الى حمزة بن الربيع عن ذكره قال كنت في مجلس أبي جعفر (عليه السلام) إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له جعلت فداك قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَنْ يَجْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ما ذلك الغضب؟ فقال ابو جعفر (عليه السلام) هو العقاب يا عمرو انه من زعم ... وفيه عن الاحتجاج عنه (عليه السلام) مثله وفيه : من ظن ان الله يغيره شيء فقد كفر.

الأيمن حيث فيه يمين الوحي وبمنه. «واعدناكم» لنزول ألواح التوراة الحامل لهذه الشرعة الإلهية.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ علاج حاسم ذو قواعد اربع بالنسبة لكل عصيان او طغيان ، ومنه الإشراف بالله وكما تطلبوه حين جاوزوا البحر : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (٧ : ١٣٨) ، ومن ثم توغّلوه في غياب موسى ، مهما كان قتل أنفسهم شريطة التوبة : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢ : ٥٤).

والتوبة في هذه الأربع هي الخطوة الاولى الى المغفرة ، وليست هي لفظة تقال ، انما هي عزيمة في القلب توبة الى الله في ترك الحوبة ، ومن المعصية الى الطاعة ، ومن طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن.

ثم الخطوة التالية لها «وآمن» حيث العصيان يضر بالايمان او يحويه ، فليرجع بالتوبة الى ما كان من الايمان ، فلا يكفي الإصلاح عمليا ما لم ينبع من ايمان.

ثم الثالثة ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ حيث الايمان دون العمل الصالح لا يفيد تلك الفائدة المتروكة ، فكما ان العاصي عصى في قلبه وبقلبه ، فليؤمن بقلبه وقلبه ، و «صالحا» منكرا هو الذي يصلح ما أفسده ويزيله الى صالح لحظيرة الايمان وحضرة الرحمان.

ثم الرابعة والاخيرة في هذا المسرح ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ أترأه لم يهتد بعد بهذه الثلاثة ، وكل من بنود الاهتداء؟ اجل ، ولكننا المعني من ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ بعدها ، هدى بعد هدى ، فلا تكفي للمغفرة الشاملة الكاملة ان

يهتدي عن خصوص ما ضل ، وله ضلالات أخرى غيرها ، قبل التوبة وبعدها ، فلا تضمن هذه التوبة الثلاثية إلا خصوص ما تاب عنها ، وأما إذا ما «اهتدى» هدى عن كل ضلال «فاني لغفار» غفرانا مؤكدا بالغاً ذروته مبالغاً ، يشمل كل ما يتطلب الغفران ، غفرا عما كان إحماء له ، أم عما يريد ليحصل صدا عنه ، فهي إذا مغفرة رافعة ودافعة ، تجعل المغفور له في هدى صالحة غير كالحلة.

وقد تعني «ثم اهتدى» مع ما عنت ، الاهتداء الى الله بالسبل الى الله ، فما قيمة توبة وإيمان وعمل صالح دون وسيط الوحي ، وهو الرسول أولاً ومن ثم الأئمة من آل الرسول الذين يحملون كل ما حمّله عن الله <sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ٨٣ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ ٨٤.

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨٧ في أمالي الصدوق بإسناده الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث طويل وفيه يقول لعلي (عليه السلام) ولقد ضل من ضل عنك ولن يهتدي الى الله من لم يهتد إليك وإلى ولايتك وهو قول ربي عز وجل ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

وفيه عن اصول الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال : ان الله تبارك وتعالى لا يقبل الا العمل الصالح ولا يقبل الله الا الوفاء بالشروط والعهود فمن وفي لله عز وجل بشرطه واستعمل ما وصف في عهده حال ما عنده واستكمل وعده ان الله تبارك وتعالى اخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون فقال : واني لغفار ... وقال : انما يتقبل الله من المتقين . فمن اتقى الله فيما امره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفيه عن تفسير القمي عن الحارث بن عمر عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال : لا ترى كيف اشترط ولم ينفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى ، والله لو جهد ان يعمل ما قبل منه حتى يهتدي ، قال قلت الى من جعلني الله فداك؟ قال إلينا.



لقد اعجل موسى عن قومه الى ميعاد ربه لمرضاته تعالى ، فانه مفتاق الى مناجاة ربه مشتاق ، و «المشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب رقادا ولا يأنس حميما ولا يأوي دارا ولا يسكن عمراناً ولا يلبس لباسا ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلاً ونهاراً راجياً بان يصل الى ما يشتهى اليه ويناجيه بلسان شوقه معبراً عما في سريره كما اخبر الله موسى بن عمران (عليه السلام) في ميعاد ربه بقوله ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ وفسّر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حاله انه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً الى ربه»<sup>(١)</sup>.

فبالفعل ترك موسى قومه الى جانب الطور الأيمن ، حيث غلب عليه الشغف الى مناجاة ربه وقد ذاق حلاوتها من ذي قبل ، فهو إليها مشتاق عجول ، فيسأله ربه عما أعجله عن قومه ، ولماذا لم يصاحبهم والمواعدة كانت تشملهم معه ، وهو يجيبه ﴿هُمُ أُولَئِى عَلَى أَثَرِي﴾ يتبعونني حسب القرار من فورهم ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ حيث المواعدة انما هي لصالح الرسالة ، فليسبق الرسول قومه لتلقيه ، ولكي يحضّر موسى نفسه قبلهم في ميعاد ربه ، وعلى أية حال لم تكن هذه العجلة إلا «لترضى».

وقد تعني «على اثري» فيما عنت ، أثر التربية الرسالية فلا خوف عليهم رجعة عنها ، ثم وهارون اخي هو خليفتي عليهم فحتى إذا تأجلوا فهم تابعون اثري. أترى ان قومه كلهم كانوا على ميعاد مع موسى ، وقد سبقهم ان

(١) مصباح الشريعة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أقول : وقد يعني ترك ما ترك في ذلك الأربعين عدم الاهتمام به دون ترك مطلق حيث لا يطيق الإنسان أيا كان ان يترك حاجيات الحياة البدنية طيلة هذه المدة الطائلة.

يكونوا على أثره دون تأجيل ، فكيف يستخلف موسى أخاه هرون في هذه العجالة القريبة :  
﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧ : ١٤٢).

قد تصلح الخلافة لفترة قصيرة كما الطويلة ، حيث الحفاظ على بني إسرائيل كان ضرورة دائمة على ضوء هدي الرسالة ، فليخلف موسى أخاه هرون في هذه العجالة ، ولعلمهم تأجلوا عن أثره لحوقا به ، فتخلفا عن اثره في شرعته.

ام ان المواعدة لم تكن تعني الا السبعين المختارين : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ (٧ : ١٥٥) وطبعا لم يكونوا هم ممن عبدوا العجل وإلا فكيف يختارهم لميقات ربه؟.

وقد تلمح آية الإختيار بلحوقها آيات الاختبار في غياب موسى ، أنه اختبارهم من بينهم بعد ما عبدوا العجل.

فظاهر المواعدة وان كان يشمل قومه كلهم ، ولكن نكسة الاختبار حوّلهم الى ذلك الاختيار ، فلا يليق من عبدوا العجل لحضور الميعاد المختار.

وعلى أية حال فقد استعجل عن قومه كلهم او مختاريهم ، ونرى عرض القصة في الأعراف بنفس النمط باختلاف في صيغة التعبير يسير : ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَائِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ. وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ .. وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ. وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ .. ﴿٧ : ١٥٥﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ ٨٥.

لهذه الفتنة الاسرائيلية جانبان ، رباني وشيطاني ، والثاني مقسم بينهم وبين السامري ، فقد كانوا منحازين الى الأمور المادية والحسية في قرارات أنفسهم ، اضافة الى الاستبعاد الطويل في ظل الفرعنة المادية الطاغية ، مما زاد في الطنبور نعمة اخرى ، تاركا في كيانهم النفسي خلخلة واستعدادا لكل تقليد أعمى وانقياد ، فلذلك ما كان يتركهم موسى وأنفسهم ، وترك لهم أخاه هرون في هذه العجالة ولكنهم فتنوا.

والسامري من ناحية اخرى أضلهم على ضلالهم ، وقد تركهم الله وإياه في ذلك المجال العجال فتنة لهم ونبهة لموسى ، فلو انهم كانوا مؤمنين مطمئنين لانكسر السامري أمامهم بكل حيله فأصبحت فتنة خير ، ولكنها فتنة شر لهم لأنهم كانوا على شر والى شر ، فأبدى الله كامن شرهم ، ولم يكن من الله إضلال ، وانما اظهر الضلال في هذا المجال : ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢١ : ٣٥) ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧ : ١٦٨) ﴿وَلَنَبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (٤٧ : ٣١) وبالنسبة لخصوص هؤلاء الانكاد : ﴿كَذَلِكَ نَبَلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٧ : ١٦٣) وترى من هو السامري؟.

هنا تعترض الجمعية الامريكية على القرآن .. هذا من الجهل بالتاريخ وعلم توقيع البلدان ان يسمى صانع العجل السامري ، ولم يكن في عصر

موسى شيء يقال له سامرة ولا سامري الا الذي ملك بعد سليمان بخمسين سنة<sup>(١)</sup>. وهامشم العربي في تذييلاته المستقلة (٥٥) بعد تصديقه لذلك التكذيب يقول : لا منشأ للتسمية بالسامري الى ان اشترى الملك عمري ملك إسرائيل جبل السامرة من شامر بوزنتين وبني على الجبل ودعى المدينة التي بناها باسم شامر السامرة فالقرآن يعزي صنعة العجل الذهبي الى رجل من مدينة سامرة المبنية بعد موسى زهاء خمسمائة وسبعين سنة!. ولكنهما غفلا عن تصريحات التوراة ان واحدا من ولد يساكر بن يعقوب كان يسمى شمرون (تك ٤٦ : ١٣) وان جما غفيرا من ولد شمرون وعشيرته كانوا مع موسى وهم وقتئذ يبلغون الألوف (عد ٢٦ : ٢٣).

وعربية القرآن تقتضي تعريب اللغات غير العربية فيه ومنها الشمروني حيث عربت الى السامري ، والجمعية الرسالية تتحاشى عن ان يكون الشمروني هو السامري صانع العجل جهلا او تجاهلا بالحقيقة ، في حين تصادق على ان هارون هو الذي صنع العجل!.

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ ٨٦.

﴿فَرَجَعَ مُوسَى﴾ من فوره ﴿إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ عليهم من فعلتهم «أسفا» على ذلك وعلى إعجاله عنهم ﴿قَالَ بَنَسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ (٧ : ١٥٥) وذلك الأسف والغضب والتنديد لم يخص فقط هؤلاء الذين عبدوا العجل ، بل والذين سكتوا عن فعلتهم ، وحتى هرون الذي منعهم

(١) في ج ١ ص ٣٧ من كتاب جمعية الهداية.

عنها ولم يمتنعوا!.

أترى موسى رجع فور وصوله الى ميعاد ربه ، إذ قال له حينه ﴿وَمَا أَغْجَلَكَ ... قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾؟ وقد ظل في الميعاد أربعين يوما كما وعد ، وليس من الممكن عادة حصول كلما حصل في هذه الفترة القصيرة؟!.

طبعاً لا ، وعلَّ ﴿وَمَا أَغْجَلَكَ﴾ كان بعد انقضاء الأربعين ، وواو العطف تعطف ما أعجلك بكل ما قاله تعالى وفعله طول الأربعين من إنزال الألواح وسواه ، واما انه إخبار له فور وصوله بما يحصل في المستقبل فلا يناسب ادب اللفظ ، ولا موقف موسى ان يصبر على ضلالتهم الآتي دون رجوع لصددهم ، إذ لم يكن القصد من تلك المواعدة إلا نزول التوراة ، وهو مؤخر رتباً وفي الحكمة التربوية عن تنزيههم وقد سقطوا في عبادة العجل في تلك العجالة.

هنا يأخذ في تأنيبهم ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ فيما واعد أربعين ليلة ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ ولم تلحقوني على اثري؟ و ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ بانزال التوراة في هذه المواعدة ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ في انتظارها وعدم التخلف عن توحيد الله؟ وطاعة هرون في هذه العجالة حق تلحقوني؟.

ووعدكم بمواصلة الإنتصار ودخول الأرض المقدسة في ظل التوحيد وظلال الشرعة الجديدة؟.

﴿أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾. ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ (٧ : ١٥٠) فطال عليكم عهد فراقني ، وقد قصر! وان كان طائلاً؟ فيما تأخرتم عن موعدي! ام طال عهد رجوعي بالالواح؟ ولم يكن إلا كما واعد الله! ام طال عليكم عهد الحفاظ على توحيدكم؟ وهذا هرون نبيكم خليفتي! ام طال عليكم عهد الرحمة السابقة السابعة إذ أنجيناكم من آل فرعون وأغرقهم : ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٥٧ : ١٦) ، ام «عجلتم امر ربكم»

بانزال الألواح؟ وليس امره بأيديكم!.

ام «عجلتم» امر عذابه ان يحل بكم بما أخلفتم موعدي؟ ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَ عَلَيْنَكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾؟.

فحتى لو طال عهد الله فأخره لحكمة عن موعدة ، كما حوّل الثلاثين الى الأربعين ، فانما هو ابتلاء لكم ، ليس ليحولكم في هذه العجالة القصيرة الى العجل ، لو انكم آمنتم بالله صادقين ، بل ﴿أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَ عَلَيْنَكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾!.

فمن طول العهد عليهم انهم عوهدوا في ظاهر الحال ثلاثين ليلة كما في آية الأعراف : ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ إذا فتأخير العهد الظاهر هو من ضمن الفتنة التي فتنوا بها ، فتنة مثلثة الزوايا ثالثتها : ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ وهم يزعمون ان الله اخلف وعده ، فلذلك انعطفوا الى عجل السامري بين الموعدين ، وكان عليهم ان يحملوا وعد الله على الأصلح ، ان الثلاثين غير حاصر ، فاضافة العشر إليها لا تعارضها ، فهذه ضابطة عقلانية ان اثبات شيء لا ينفي ما عداه ، فمواعدة الثلاثين لا تنفي العشر ، وحتى إذا نفته ، فقد تتكرر بمواعدة اخرى تلحقها.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ٨٧.

اعتذار عليل ، يكشف عن اثر الاستعباد والاستحمار الطويل ، والتخلخل النفسي والسخف العقلي الكليل الكليل ، يكشفون فيه عن ضؤولة أنفسهم وصغارها لحدّ كأنهم لا يملكونها امام مكر السامري.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ إذ كان الأمر اكبر من طاقتنا ، فهو يملكننا اكثر من ملكنا أنفسنا فضلا عن ان نملكه.

والملك مصدر الملك ، فيإخلاف موعدك كان خارجا عن ملكنا ومقدورنا ﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ فهل القوم هم آل فرعون؟ فكيف أخذوا أوزارا من زينتهم وهم كانوا تحت إمرتهم ، ثم من هذا الذي حملهم إيّاها دون ان يختاروها ، وهم كانوا بطبيعة حالهم راغبين إلى زخرفات الحياة وزينتها ، ولا سيما إذا كانت غنيمة من آل فرعون!.

ام ان القوم هنا هم بنو إسرائيل أنفسهم كما في الأعراف : ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْيِهِمْ عِبْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا...﴾؟ إذا فالمحملون في هذه المكيدة هم أصول الضلال السامري إذ أصبحوا اداة لكيدة <sup>(١)</sup> والقوم سائر بني إسرائيل الذين اغتروا بقرار السامري ، فحملوا الأولين أوزارا وأثقالا من زينتهم ، استجابة لما تطلبه منهم السامري فقذفوها في مقذفها كما قذف السامري.

ثم ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ دون «قذف» قد تعم مع قذفه أوزارا من الزينة كما قذفوا ، تعم إلقاءه بينهم هذه المكيدة المضللة ، ام هي الأصل في ذلك المسرح كما تلمح له الفاء.

ذلك ، والتوراة تنسب هذه المكيدة المضللة الى هرون كما في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج : «ولما رأى الشعب ان موسى ابطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون. وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا لأن هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه. فقال لهم هرون انزعوا اقراط الذهب التي في آذان

(١) البحار ١٣ : ٢١٦ عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : ان الذين أمروا قوم موسى بعبادة العجل كانوا خمسة انفس وكانوا اهل بيت يأكلون على خوان واحد وهم : اذينوہ واخوہ ميندويه وابن أخيه وابنته وامراته وهم الذين ذبحوا البقرة التي امر الله عز وجل بذبحها... (الخصال ج ١ : ١٤٠).

نساءكم وبينكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب اقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الى هرون. فأخذ ذلك في أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا هذه آهتك يا إسرائيل التي اصعدتك من مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ، ونادى هارون وقال غدا عيد للرب ، فكبروا في الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب» (١ : ٦).

هكذا تتهم التوراة هارون عليه السلام ثم يعترض علماء العهدين على القرآن ان نسب صنعة العجل الى السامري لشبهة لغوية واهية!

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ ٨٨.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السامري بما ألقاه وقذفوا «عجلا» وطبعا بما أذاب الحلي فصنع لهم عجلا ذهبيا ، ومهما لم ندر من هو السامري ندري انه كان من صنّاع التماثيل والأصنام ، عارفا . بجنب صنعه . هكذا تدليس وتلبيس لحد يتمكن من إضلال ذلك الحشد الكبير ، وفيهم هارون وقلة قليلة من المخلصين لم يقدرُوا على صده وإيقافه لحدّه.

و «جسدا» هنا تخرج العجل عن كونه حيا ، و «له خوار» وهو صوت العجل تثبت له صوته ، فما كان . إذا . له من آثار الحياة إلا خوار ، فالروايات القائلة ان الله أحياه فتنّة لهم مطروحة <sup>(١)</sup>.

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٠٤ . اخرج ابن مردويه عن وهب بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان الله لما وعد موسى ان يكلمه خرج للوقت الذي وعده فبينما هو يناجي ربه إذ سمع خلفه صوتا فقال : الهي ! اني اسمع خلفي صوتا ، قال لعل قومك ضلوا ، قال : إلهي من أضلهم به قال : السامري ، قال : كيف أضلهم؟ .



وترى ذلك العجل الجسد أخرجه لهم السامري فمن اين «له خوار» والجسد ليس له خوار؟ فهل الخوار من السامري؟ وكيف يكون للإنسان خوار . مهما احتال . من دبره الى فمه! و «له خوار» ينسبه الى العجل الجسد نفسه دون السامري ، والا كان حق البيان «فخار فيه»! ام انه من فعل الله؟ والله لا يضل ولا سيما هكذا مستضعفين في العقلية والعقيدة!.

قد يكون «له خوار» ان جعل دبره في مهب الريح فصوتت من فمه كما الخوار؟ ولكنه صوت الريح ، وليس خوار العجل لحد يشبه العجل الحي! ثم «له خوار» مطلق لا يخصه بوضع خاص!.

قد يلمح «انا فتننا قومك من بعدك» ان خواره كان من فعل الله فتنة لهم ليظهر مكنون حقيقهم من عمقهم ، وليس من البعيد وكما قال موسى : بعد ما ﴿أَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (٧) : (١٥٥)<sup>(١)</sup>.

. قال : صاغ لهم عجلا جسدا له خوار ، قال : الهي! هذا السامري صاغ لهم العجل فمن نفخ فيه الروح حتى صار له خوار؟ قال : انا يا موسى ، قال : فبعزتك ما أضل قومي احد غيرك قال : صدقت قال يا حكيم الحكماء لا ينبغي حكيم ان يكون احكم منك.

وفيه اخرج الفريابي ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن علي رضي الله عنه قال : لما تعجل موسى الى ربه عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي بني إسرائيل فضربه عجلا ثم القى القبضه في جوفه فإذا هو عجل جسدا له خوار فقال لهم السامري هذا إلهكم واله موسى . أقول في الحديثين مواضع من مجال النظر فتأمل قياسا الى المستفاد من القرآن .

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨٨ في محاسن البرقي بسند عن أبي جعفر (عليه السلام) ان فيما ناجى الله به موسى ان قال : يا رب هذا السامري صنع العجل ، الخوار من صنعه؟ .

فبالفعل «اخرج» ﴿هُمَّ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ﴾ وهم في بلاهة فكر وبلادة روح ،  
وعقل معقول بحب الزينة ، وقلب مقلوب ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ .  
هب انه «إلهكم» فكيف هو «إله موسى» وقد ذهب لمناجاته بمواعده؟ .  
إنه إلهة وقد ضل عنه فراح يبحث عنه على الجبل «فنسي» انه هنا لا هناك! .  
ام «فنسي» السامري الله الذي أنقذهم من آل فرعون وأنعم عليهم بما لا يحصى ،  
فعكف على العجل الذهبي واعكفهم عليه وأضلهم لحد

. فأوحى الله تبارك وتعالى اليه : ان تلك فتنتني فلا تفحص عنها.

وفي البحار ١٣ : ٢٢٧ شي عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله ﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ  
الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال : لما ناجى موسى (عليه السلام) ربه اوحى الله اليه ان يا موسى قد فتنت قومك قال :  
وبماذا يا رب؟ قال : بالسامري ، قال : وما فعل السامري؟ قال : صاغ لهم من حليهم عجلا قال : يا رب ان  
حليهم لتحتمل ان يصاغ منه غزال او تمثال او عجل فكيف فتنتهم؟ قال : انه صاغ لهم عجلا فخار ، قال : يا  
رب ومن أخاره؟ قال : أنا ، فقال عندها موسى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ ، قال  
: فلما انتهى موسى الى قومه وآرام يعبدون العجل القى الألواح من يده فتكسرت فقال ابو جعفر (عليه السلام)  
كان ينبغي ان يكون ذلك عند اخباره الله إياه ، قال : فعمد موسى فبرد العجل من انفه الى طرف ذنبه ثم أحرقه  
بالنار فذره في البيم ، قال : فكان أحدهم ليقع في الماء وما به اليه من حاجة فيتعرض بذلك للرماد فيشر به وهو  
قول الله ﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ وفيه ص ٢٢٩ عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية فقال  
موسى يا رب ومن أثار الصنم فقال الله انا يا موسى أخرته فقال موسى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ....  
وفيه ص ٢١٠ عن تفسير القمي زيادة قوله تعالى : انا لما رأيتهم قد ولوا عني الى العجل أحببت ان  
أزيدهم فتنة ...

﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ الله و «نسي» الاستدلال بحدث الأجسام على استحالة الوهيتها.

و «نسي» انه هو الذي أخرجه ، فهو الخالق له فكيف أصبح إلهه وإله سائر الحضور مع موسى ، وقد كان . إذا . هو أخرى بدعوى الألوهية وليس له ، فان موسى عمل ما هو اولى وأعلى من خوارق العادة ولم تثبت له الوهية.

«فنسي» آيات الله الكبرى التي أوتيتها موسى من ثعبان العصا واليد البيضاء ، نسيان التجاهل التناسي.

والنص يساعد نسيان السامري وموسى ، ولكنه في نسيان موسى نقل لكلامهم ، وفي نسيان السامري هو كلام الله ، والمعنيان معنيان حيث يتحملها اللفظ ويناسبهما المعنى.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ٨٩.

هب ان العجل الذهبي خار وهو جسد ، فما هو فضله على العجل الحيوان؟ وهب ان خوار العجل الجسد خارقة؟ فقد سبق لكم ان الله أحيا لكم بقرة وهو خارقة أعظم ، وقلب عصى موسى حية تسعى ويده بيضاء من غير سوء ، وفرق بكم البحر ، فهل ان خوار العجل الجسد أفضل من كل ذلك؟ وإن كان يدل على شيء فليدل على ما دلت عليه هذه الآيات ، ام وهي فتنة شر فليجتازوها بخير.

ثم ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ لا قولاً منه يفهم ، ولا اجابة لقولة الدعاء ، فكيف هو آله يعبد ولا يستطيع قولاً بدء ولا رجعا ، وأنتم لكم القول بادئا وراجعا ، فليعبدكم العجل . إذا . لو جاز ، دون ان تعبدوه ، فأنتم الذين شاركنم في صنعه بجليكم ، والسامري صنعه بحيلته

فليعبدكم العجل ، والسامري.

ثم ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ولا لنفسه : ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٧ : ١٤٨) فما قولتهم العاذرة ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ الا قولة كاذبة ماكرة ، بل هم ظالمون بحق الحق وبحق أنفسهم ورسولهم.

قال بعض اليهود لعلي (عليه السلام) : ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم؟ فقال : انما اختلفنا عنه وما اختلفنا فيه ، وأنتم ما جئتم أقدامكم من ماء البحر حتى قلمت لنبيكم : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة <sup>(١)</sup>.

وترى لو رجع إليهم قولا وملك لهم ضرا او نفعا او هداهم سبيلا لكان بكل ذلك إلها؟.

كلا ، وإنما هذه كلها من الشروط البدائية للألوهية ، فالفاقد لها يفقد . باحرى . كلها ، ثم الواجد لها قد يكون إلها حين يملك سائر الشروط ، ام لا يكون إلها حين لا يملكها كما لا يملكها.

فيا ويلاه كيف عبدوا عجلا جسدا له خوار ولا يصل إلى درجة الحياة الحيوانية الا خوارا ، فلا ينطح ولا يرفس ولا يدير طاحونة ولا ساقية ، عبدوه . فقط . لان له خوارا! . ذلك :

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ (٩٠).

فتلك عقولهم المدخولة الظالمة في أنفسهم . وازافة الى كل حجة بالغة انفسية لتزييف تلك العبادة الزائفة ، قد ذكروا بلسان الوحي ﴿إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ فليس ذلك الخوار الا فتنة لكم ، فتتكم الله به بالسامري ، فليس ذو

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٢ : ١٠٥ في ظل الآية ....

الخوار ربكم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ الذي خلقكم والعجل والسامري والحلي والعالمين أجمعين ، فهل ان العجل رحمان وأنتم صانعوه؟ ام ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ الذي فطر الخلائق برحمته وقدرته؟ «فاتبعوني» فيما خلّفت بينكم ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ دونما تخلف عني ، فاني خليفة موسى الرسول حين قال : ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧) : (١٤٢).

ونرى هنا سرد الرسالة اجمالاً في أصولها وفروعها ، ابتداء بالسلب فيما فتنوا به ، ثم الإيجاب ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ ثم الرسالة «فاتبعوني» ومن ثم احكام الرسالة ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾.

ولكنهم بالرغم من الحجة البالغة الفطرية والعقلية انفسيا ، والرسالية آفاقيا ، صمدوا على كفرهم و :

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ ٩١.

وإذا كان رجوع موسى رجعة لهم عن ضلالهم حجة لرجوعهم ، فهذا اخوه هارون مؤمّر مطاع من قبله ، وطاعته طاعته ومعصيته معصيته ، ولا يقول الا قوله ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، وان هي الا عاذرة حمقاء ابتغاء لهذه الفرصة اللئيمة في عكوفهم على عجلهم. ثم وفي «لن نبرح» قضاء على امده : ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ حيث استحالوا رجوعهم عن عجلهم في هذه العجالة ، مهما أتتهم من برهنة قاطعة ، فهم أولاء . إذا . لن يرجعوا في تصميمهم الحالي ، مهما تحولوا بعد رجوعه ورجعوا!.

﴿قَالَ يَا هَازُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۙ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ٩٣.

وترى ما هو اتباعه له المرغوب المترقب منه الذي تركه حتى عده عاصيا لأمره فأخذ برأسه وحيته ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (٧ : ١٥٠) وقد سمعناه وعظهم ووبخهم وأمرهم بما أمرهم؟ ونص الوصية الموسوية في هذه الخلافة ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وقد خلفه وما خلفه وأصلح ما استطاع حتى كادوا يقتلونه. ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ (٧ : ١٥٠) ولم يتبع سبيل المفسدين تركا لأمر أو نهي ، ام دخولا في نهي.

الإتياع المرغوب هنا هو أن يلحقه بمن معه كما واعدهم الله مع موسى ، ولا سيما ﴿إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ دون واجب الدعوة . فقط . والموعظة ، وقد فعل لحد كادوا يقتلونه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ ولم يبق من واجب نهيهم عن ضلالهم إلا قتالهم وقد استضعفوه ، او فراقهم وحيدا او بمن معه ، وما كان يتبعه الا الذين اتبعوه ، وذلك تفريق بينهم و ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ فقد امره ان يحافظ على وحدتهم!.

وطبيعة الحال في رسول كموسى انه لما يرى الحال هذه المزرية . وبعد اللتيا والتي . أن يفور غضبا لله ، وطاهر الحال كان يدفعه هكذا سؤال ، دون ان يتهم أخاه هرون إلا تساءلا لاتضاح الحال ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ وما هكذا الظن بك ، فوضّح لي الحال ، حتى يسكن البال ويصفو المجال.

فلم يكن له . إذا . في اتخاذهم العجل ذنب <sup>(١)</sup> ، ولا في عدم اتباعه

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٨٩ في كتاب علل الشرايع باسناده الى علي بن سالم عن أبيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل وفيه قال قلت : فلم أخذ برأسه يجره اليه وبلحيته ولم يكن له في اتخاذهم العجل وعبادتهم له ذنب؟ فقال : انما فعل ذلك به لأنه لم يفارقهم لما فعلوا ذلك ولم يلحق موسى وكان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب ، الا ترى .

موسى ذنب ، إلا أن ظاهر الحال كان يقتضي ذلك التأنيب العجيب أن قال ما قال وأخذ برأس أخيه يجره اليه كما والقى ألواح التوراة ، ثم لما تبين امره استغفر لنفسه ولأخيه : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٧ : ١٥١).  
 ﴿قَالَ يَا بَنُ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ ٩٤.

وذلك الاعتذار يبين بوضوح أن موسى (عليه السلام) لم يتساءله الا عن عدم اتباعه الى الطور الأيمن ، أخذاً بهم معه ، ليعالجهم موسى ما خالجهم ، ام فراقا عنهم كزاوية اخيرة للنهي عن المنكر.

لقد تهدرت اعصاب موسى حين رأى ما رأى لحد لم يتمالك نفسه ان يفعل إلا ما فعل ومن ثم اعتذر : ﴿... وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَضْعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٧ : ١٥١).

وهنا تساءلات حول تأنيب موسى واعتذار هارون :

كيف يأخذ برأس أخيه ولحيته يجره اليه دون ان يتأكد منه عصيانا لأمره وكما تردد ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ وهو يعرف أخاه انه من أهم سؤله المجاب في دعوته ، وانه رسول الله معه ، فكيف يهتكه هكذا او يتردد في امره؟.

قد يعذر موسى فيما فعل انه قضية الموقف المختار ، وعله هكذا يفعل

---

. انه قال لهارون : ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت امري . قال هارون : لو فعلت ذلك لفرقوا ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

بأخيه المختار ليدل المتخلفين من بني إسرائيل على مدى تخلفهم في فتنهم ﴿فِتْنَةً لَا تُصِيبُ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ وليرقبوا على أنفسهم أشد من ذلك وأنكى ، حين يفعل الداعية  
بخليفته البريء عما فعلوا وهو اخوه ، يفعل هكذا ، فما ذا - إذا - يفعل بهم بما افتعلوا ، تعبيدا  
لجوّ التأييب الشديد ، والأمر بالإمر أن «اقتلوا أنفسكم».

وهذه سنة سنية في النهي عن شديد العصيان والتحذير عما يخلفه ، فهو من باب :  
إياك اعني واسمعي يا جاره ، وكما يخاطب الله نبيه أحيانا بخطابات تنديدية وهو يقصد الامة  
المتخلفة.

فليعلم عبدة العجل حينذاك انه ليس بتاركهم وقد فعل بأخيه البريء ما فعل لماذا لم  
يفارقهم اليه.

وهكذا يوجّه قوله له كما يوجّه فعله وجاه هؤلاء المتخلفين وليعلموا ان شرعة العدل لا  
تعرف نسبة ولا قرابة ولا خلافة في ظرف التخلف عنها ، فضلا عن امة متخلفة هكذا ،  
وليعرفوا مدى عصيانهم لرسولهم ألا مسامحة فيه ولا سماح عنه.

ثم وكيف يعذر هارون عما قصّر إن قصّر خشية التفرقة بين بني إسرائيل ، وليست  
الوحدة مرغوبة إلا في ظلال التوحيد ، فحتى ان قتل دون منعهم عما افتعلوا لكان حقا  
رساليا بمسؤولياتها الدعائية الاصيلية ، وما الدعوات الرسالية إلا مفرقة بين الناس من متقبل لها  
او معارض ، ثم موحدة بين المؤمنين بها ، فكيف يعذر هارون ان قصّر بقوله ﴿إِنِّي خَشِيتُ  
أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾؟.

انه وعظهم وندد بهم حتى كادوا ان يقتلوه ، فلم يقصّر - إذا - في الدعوة ، ثم قتل  
الداعية انما يسمح فيه في شرعة الرسالة إن اثر في قبول الدعوة ام مزيد الحجة ، ولكن بني  
إسرائيل المعروفين بقتل النبيين لم يكونوا ليتأثروا بقتل هارون إلا حظوة لهم في البربرية إزالة لمن  
يصددهم ، وتقليلا



لعديد الداعية ، فتعريض هارون نفسه للقتل لم يكن الا تعريضا للرسالة الى الخمول وتضعيف الساعد المساعد لموسى الى الهمول ، ثم التفرقة المحظورة هي التي كانت تشجّع المتخلفين في عكوفهم على عجلهم لما يرون الجو دون معارض ومشاغب ، ثم تفريقا بين المؤمنين ان يلحق بعضهم بعبدته ، وآخرون يلحقونه الى موسى ، تمزيقا لذلك الجمع دون فائدة عائدة الى صالح الحق ، إلا طالحا ضد الحق ، ولقد كانت الرقابة لقول موسى الحفاظ على الوحدة ما دامت صالحة مهما ضل منهم من ضل ، حيث الفرقة آنذاك كانت تزيدهم ضلالا على ضلال ، وفيها دلال لمن ضل وأضل.

ولماذا ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ دون «أخي» كما في عرض سؤله واجابته؟ علّه لأنه كان أخاه من امه ، ام جاء له من ناحيتها وان كان أخا لأبويه ، لأنها أشد حساسية وارهافا واستجاشة للرحمة الاخوية ، تكسيرا عن شدته وتكثيرا لرحمته.

وكيف هنا «أم» وقضية الأدب كسرهما للاضافة؟ عليها مخففة عن «أماه» نداء لها ضمن نداءه ليكون أكد في الاسترحام.

وترى موسى كيف لم يغضب عند ما أخبره الله ، غضبه حين رأى ما رآه؟ انه على حد المروي عن أخيه المصطفى : «يرحم الله أخي موسى ليس المخبر كالمعائن ، لقد أخبره الله بفتنة قومه وقد عرف ان ما أخبره ربه حق وانه على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع الى قومه فآرأهم فغضب والقي الألواح ...»<sup>(١)</sup>.

(١) البحار ١٣ : ٢٠٤ وقال الطبرسي روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : ....

وعله . وبطبيعة الحال . غضب هناك كما هنا ولكنه أخف ولم يأت له ذكر إذ لا مظهر له وهنا أخره يظهره.

هذا دور هارون في قصة العجل ، ومن ثم السامري وهو اصل البلاء :  
وانما بدء موسى بالقوم ، لأنهم هم المسؤول الاول في هذه الزلة الا يتبعوا كل ناعق وبمسمعهم ومرآهم آيات الله تترى من بين أيديهم ومن خلفهم.  
ومن ثم هارون لأنه المسؤول الثاني في هذه المعركة ان يحول بينهم وبين هذه الهوة المضللة ، لأنه خليفة موسى والقائد المؤتمن في غيابه.

ثم السامري هو الأخير لأنه لم يفتنهم بقوة قاهرة ام معجزة باهرة ، ولم يضرب على عقولهم ، وانما وجد الجوّ صالحا للإضلال حيث استضعف القائد وتحلف وتعنف المقود ، وقد كانوا يملكون ان يثبتوا على هداهم فطريا وعقليا ، وعلى هدى نبيهم الأول ونصح الثاني :

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ ٩٦ .

والخطب هو الأمر الخطير الذي يهيمه صاحبه ، فما هذا الأمر يا سامري حيث أهملك في هذه المكيدة المضللة المدللة؟ مسا من كرامة الله ، وتضييعا لرسالة الله ، ونكرانا لنعم الله! «قال» : ...

ولأن القصة منقطعة النظير في القرآن ، لا تحمله إلا هذه الآية ، وهي غامضة في نفسها ، لذلك تتطلب إمعان النظر أكثر مما له نظائر ، وقد تضاربت في تفسيرها الأقوال ، وأصبحت مجالا فاسحا للقليل والقال.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ : بصر به هو العلم والمعرفة عن بصر العين ، قد يعلمه غير الباصر وقد لا يعلمه ، وهنا ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ تختص بالباصر الخفي كما ﴿فَبَصُرْتُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٨ : ١١).

فهناك امر بصر به وهم لا يبصرون ، معرفة أو علما بما يجهلون ، وكان بالإمكان ان يبصروا به ولكنهم مستغفلون ، فلم تكن . إذا . معرفة خارقة للعادة في مسارح المعرفة ، بل هي لمحة خفية لأمر عن تحرّ وتفتيش ، لم يكن هؤلاء بصده حتى يتلمحوا له ، والسامري يأتيهم هنا مما يجهلون بما سولت له نفسه من الإغراء لإجراء مكيدته البائتة الدفينة.

﴿بَصُرْتُ .. فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ وهنا القبضة متفرعة على البصر ، ثم النبذة تتفرع على الأثر ، وكل ذلك من تسويلات نفس السامري : ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾.

فما هي القبضة ، وما هو الأثر؟ وما هي نبذة الأثر؟ ومن هو الرسول المقبوض الأثر؟.

فهل الرسول هنا هو جبريل ، وأثره موضع حافر فرسه ، فقبض قبضة من تراه فنبذها في حليهم المركوم فأصبح عجلا جسدا له خوار؟ كما قد تداولته أقلام المفسرين في الأكثرية المطلقة.

والمتداول من «الرسول» في القرآن هو الرسول البشر ، مهما شمل جمعه الرسول الملك ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (٢٢ : ٧٥) وليس يعني ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ جبريل الا بتأويل عليل ، ثم جبريل وهو الطائر القدسي الرسالي ليس يركب فرسا! ولا يظهر لغير الرسول ، ولئن ظهر فانما هو في صورة البشر ، فكيف عرفه السامري؟ أبصورته الاصلية؟ ولا تصلح لغير الرسول! ام بصورة.

انسانية ، فكذلك الأمر! ثم كيف يعرف . إذا . انه جبريل ، اللهم الا للرسول .  
وتجلي جمع من الملائكة لقوم لوط لم يكن ملائكيا كما لم يعرفوهم ، ولم يكونوا حملة  
الوحي الرسالي ، ام أعوانا لقوم لوط المجرمين!  
ومن ثم كيف يكون لأثر حافر فرسه ام قدمه ذلك الأثر المعجز ، والآيات المعجزة إنما  
هي من افعال الله ، يخصها بمن يحملون رسالات الله تثبتا لها ، دون سواهم مهما كانوا رسل  
الوحي الى الرسل ، فضلا عن الدجالين المضللين ، تجليا لهم بحيث يعرفونهم ، ويزيدون  
اضلالا بآياتهم الخارقة!.

ومهما كان ذلك فتنة من الله فليست الآية المعجزة منها ، ولو كانت آية لأصبح  
العجل الذهبي حيوانا ، ونص الآية ﴿عَجَلًا جَسَدًا﴾ يطارده! وليس الله يطارد آية منه بآية  
اخرى بل يؤيدها بها ويطل بها غيرها المدعى أنها منها ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهَ السِّحْرِ إِنَّ  
اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وصنع العجل الآية بقبضة من اثر الرسول  
هكذا ، إصلاح لعمل المفسدين سبحانه الله عما يصفون!.

ام ان الرسول هنا هو موسى وأثره هو أوزار الزينة التي حملوها ، نسبت اليه هنا لأنه  
أمرهم بأخذها من القبط ، فقبض منها قبضة وطرحها مع القوم في النار فاخرج لهم عجلا  
جسدا له خوار؟.

ولكن أوزار الزينة لم تكن للقبط بل هي من حليهم أنفسهم ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ  
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾.

وأتى لهم ان يأخذوا من زينة آل فرعون وهم مستضعفون بينهم

وملاحقون ، فضلا عن ان يحملوا أوزارا من زينتهم! اللهم ان تحمّلهم أمواج البحر بعد غرقهم ولا برهان له ، و «من حليهم» برهان عليه ، وهي على أية حال لم تكن اثر الرسول ، مهما كانت لأولاء ام هؤلاء ، وحتى لو كانت من ملكة موسى فالصيغة الصالحة لها «اثر موسى» دون اثر الرسول ، حيث الحلي والزينة هي من آثار الحياة الدنيا وليست «اثر الرسول» فانما اثره الرسالة بآثارها.

ثم القبض المتفرعة على ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ هي بطبيعة الحال عنهم خفيّة ، وهم عارفون انه ألقى مما ألقوا : ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾! ومهما يكن من امر فالصيغة الصالحة له «فقبضت قبضة من زينة القوم» ولكنه على هذا الحال ايضا لم يقبض من زينة القوم وانما ﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾! ومن ثم فكيف يقال لموسى . وهو حاضر . قيلة الغائب والصحيح «من أثرك . او . من حليك»!

ام انه هو هارون وهو غائب عن مسرح التخاطب مهما كان حاضرا بينهما ، والأثر إما كالأول او كالثاني؟ ولكن الصيغة الصالحة عن هارون هي لفظه دون «الرسول» وإمامه موسى وهو اصل في هذه الرسالة ، ثم عليه ما على الأولين الا المحذور الأخير.

علّ الرسول هنا هو موسى لأنه المحور في هذه الرسالة ، الظاهر بنفسه وبرسالته وآثارها ، فالتعبير بالرسول كغائب دون «أثرك» علّه للتدليل على ان ما قبضه كان آثار الرسالة ، بما فيه من تعريض على هذه الرسالة كما في نظائرها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (١٥ : ٦) ولان السامري كان ناكرا للرسالة وقبلها للربوبية : ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا...﴾ فقد يعني من قوله : ﴿بَصُرْتُ بِمَا

لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴿﴾ أنني عرفت من بطلان هذه الرسالة ما لم يعرفه هؤلاء ، ولكي أبين لهم ضلالهم جئتهم من حيث يعرفون ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ وهو شطر من سنته ثم «نبذتها» إلغاء لها لأززل من أركان إيمانهم المزعزعة في نفسها ، ام «نبذتها» خلطا لها بباطل من عندي ثم أظهرت حقها بمظهر الباطل والباطل بمظهر الحق.

ونفس النبذ هنا . دون القذف . خلاف ما هناك . وأنه رفض بعد القبض . مما يدل على انه تضليل بعد تدليل : «قبضت فنبذت» فالقبض هو الأخذ قبولا وتصديقا ، والنبذ هو الرفض تكذيبا ، وهذه هي أضل طرق الإضلال ان يقبض من اثر الرسول كمصدق له ، ثم ينبذ ويرفض نفس المقبوض تكذيبا وكما كان يفعله الدجالون : ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَاتَّكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٣ : ٧٢).

ولو كان المنبوذ هنا هو المقذوف هنا لك ام الملقى هناك لكان قذفها ام ألقيتها <sup>(١)</sup> والنبذ صريح في الرفض دون الإلقاء والقذف ، فقد قذفوا حليتهم بإلقائه ﴿فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ومن قبل قبض قبضة من اثر الرسول فنبذها تحوينا لايمانهم ، فلو ظلوا على إيمانهم ما ضلوا

---

(١) لم يأت النبذ في القرآن الا بمعنى الرفض ك ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (٢ : ١٠١) ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ (٢٨ : ٤٠) ﴿وَأَكَلُوا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ (٢ : ١٠٠) ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٣ : ١٨٧) ﴿كَأَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ (٤ : ١٠٤).

وفيما جاء النبذ في غير المرفوض فهو نائب مناب المرفوض مثل يونس ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (٣٧ : ١٤٥) و ﴿لَوْ لَا أَنَّ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٦٨ : ٤٩) وكما مريم ﴿إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٩ : ١٦) تباعدا عنهم لما وجدت من نفسها نبذا ورفضاً لما حملت.

بالقائه قذفاً لحليهم ، وما قالوا ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ فانما زعزعهم عن بقية  
الايمان بما قبض ونبذ ، ثم القى بينهم قذف حليهم ليصنع لهم ما يعبدون كما كانوا يأملون!  
وعَلَّ من اثره مواعدة الثلاثين ، التي انقلبت الى الأربعين ، فقد قبضها في قبضته ، ثم  
نبذها في نبذته ، قبضا كوعد الله ، ونبذا كخلف لوعده الله ، وعودا بالله!

ومن اثره ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ فقد قبضه كتصديق ثم نبذه بتلك المواعدة ، ان  
لو كان إلهه معه فكيف واعدته الى جانبه الطور الأيمن؟!.

هذا وقد يؤيده ان خطب السامري المسؤول عنه لم يكن صنعة العجل الجسد لأنها  
كانت ظاهرة لا تدفع لسؤال ، بل هو الأمر الخطير الذي أهمه فدفعه لصنعه والدعوة الى  
عبادته ، كما ويؤيده أخيرا ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾.

وطبيعة الحال قاضية في ذلك المسرح ان ليست صنعة العجل الجسد الذي له حوار  
بمجردها هي السبب لضلال من ضل ، إلا بتقديم ما يصفى الجو لتقبل ذلك الضلال المبين  
وقد فعل وافتعل فأضل كما ضل.

ثم الحوار للعجل الجسد فتنة إلهية وليست آية تمكّن صاحبها من دعوى الألوهية او  
الرسالة ، كيف وقد انقلبت عصى موسى حية تسعى وثعبانا مبينا ، وهذا العجل الذهبي ظل  
جسدا الا ان له حوارا ، وهذا الاحتمال على اية حال اسلم من كل ما قيل او يقال ، صيانة  
لكلام الله عن عضال لا يزول الا بمزيد اشكال ، ومشكلة الحوار قد تدفع بدافع غير ما ذكر  
انه كان بسبب صناعي ووضع خاص هندسي أمام الريح فهو كصوت العجل وليس صوته.

فلقد حدث السامري بقولته ما حدث ، وتقلص فيه وما تخلص ، واعترف في ذلك الموقف الحاسم القاصم ان ذلك من تسويل النفس ، ونرى موسى كيف يطرده من الجماعة طول حياته ويحرق الهة أمام من ضل به وينسفه في اليم نسفا ، إحراقا لهذه الضلالة عن بكرتها ونسفا لها.

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ ٩٧

﴿قَالَ فَاذْهَبْ﴾ من هذا الجمع المستضعف ، فليس لك هنا مكان ولا مكانة ، تغرب عنهم طريدا شريدا مدحورا فريدا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ ما هو أصعب واتعب من الممات ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ ليس انك لا تمس أحدا ولا يمسك احد في غربتك ، بل وتتعذب بأي مساس كان رحمة لك عيشة بين الجماهير ، تتعذب لحد ليس لك في الحياة إلا ان تقول «لا مساس»! فقد أصبح قصاصه «لا مساس» وهو شر قصاص! فالغربة المطلقة في الحياة عذاب ، وعذاب القربة فيها عذاب فوق العذاب ، حيث بدلت له الرحمة زحمة وكما بدّل نعمة الله كفرا وأحل قومه دار البوار جهنم يصلها وبئس القرار.

ولان «مساس» مصدر من المفاعلة كما الضراب من المضاربة ، فهو مس من الجانبين أيا كان المس ، سمعيا او بصريا او بدنيا ، ام اية معاطاة أخذا وعطاء روحيا او ماديا ، فقد أصبح المساس الذي به الحياة الزاهرة بين الجماهير ، شرا من الممات وكأنه من دوافعه ، إبعادا له عن حظوظه ، وابتعادا لهم عن شذوذه ، فأصبح . بالفعل . لا هو ميت ولا هو حي ، مجموعا له شر الحياة وشر الممات اضافة الى العذاب الذي هو آت.

ويا بؤساه لمن إذا سأله عن حاله يقول «لا مساس» وإذا قلت له ام



سمعت قاله يقول «لا مساس» وإذا تدنّت إليه أهله ام ولده يقول «لا مساس» وإذا دتّت إليه ما له ام حاجة من حاجياته يقول «لا مساس» ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ فما ذا إذا بعد الممات؟ :

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بعد الممات ، العقوبات التي وعدها المضللون المكذبون بآيات الله.

ثم ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ وظلوا أولاء بما أضللتهم «لنحرقنه» حرقا لنفسك التي سوّلت لك ، وحرقا لقلوب من ظلوا عليه عاكفين ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ طرحا له ، فيه طرح النسافة وهي ما تثور من غبار الأرض ، حيث يبدله الحرق غبارا لا يبقى له صورة ولا سيرة ، اعداما له عن بكرته ، ازالة حاسمة لأثر الضلال.

كل ذلك بمسمع ومرأى الذين عبدوا العجل وسواهم ، وعلى مشهد الإله المزخرف المزيف المحرق المنسف يعلن الداعية حقيقة العقيدة الصالحة :

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٩٨.

دون هذا الإله المعدم ، وهو في وجوده له شركاء أفضل منه وأعلى ، ولا علم له بنفسه حتى يدافع عنها ، بل هو الذي لا إله الا هو وسع كل شيء علما و «لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء». ومهما ختم السياق هنا الى ما هنا ، فليس ليختم في واقع الحال إذ أمر الذين عبدوا العجل ان يقتلوا أنفسهم كما في البقرة.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ

عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣)  
فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا  
(١١٤) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ  
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا  
يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ  
فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ  
وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ  
وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾  
﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ ٩٩.

النبا هو خير ذو فائدة عظيمة ، و «من» هنا تبعها ، وطبعا بالبعض الأهم منها و «نقص» تبعيض ثان حيث القص هو تتبع الأثر وهي القصص الأخبار المتتبعة ، وطبعا هي أهمها حيث لا يقص بمقصّ الوحي الأخير إلا أهمها ، فقصاص القرآن هي سلاله السلالا من انباء تاريخ الرسالا ، ما تتبناها ام ما تهدمها ، وبهذه السلبيه والايجابيه يبنى صرح الإسلام الخالد اعتبارا بأنباء ما قد سلف ، وزيادة هي ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ ليعتبر معتبر ويتبصر متبصر.

«كذلك» العظيم العظيم من قصص موسى ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا رسول الهدى ﴿مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من محاري الرسالا ومحاديها ، وليس فحسب ان القرآن يقص قصص الماضي كتاريخ من التواريخ بل ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ في جمعيه الصفات والرحمات ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ أهم مما مضى وأعظم منها «ذكرا» هو ام الذكر وإمام الذكر مهما شمل سائر الذكر فانه مهيم على كل ذكر.

هذا ذكر لدي مهما كان كل ذكر يحمله كتابات الوحي من لدنه ، ولكنه درجات أعلاها ما يختص من بينها ب ﴿قَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ فجمعيه الصفات من ناحية و ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من اخرى و «ذكرا» تنكيروا لبالغ عظم التعريف من ثالثة ، تجعل ذكر القرآن رأس الزاوية في الذكريات اللدنيه.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾.

ولا فحسب ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بل و ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا. وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (٢٠ : ١٣٢).

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ في اي عرض منه ، قراءة واستماعا وتدبرا وتفهما وتصديقا وتخلقا وتطبيقا ونشرا ، فهذه أبواب ثمان لجنة الذكر القرآن ، ومعرض القرآن مسرح يخلق على كل المحالق ، وذكر عن كل نسيان أيا كان وأيان.

فالإقبال الى القرآن أزر ، والاعراض عه وزر يحمله من حمل أزره فاعرض عنه الى وزره ، ومهما كان لذلك الوزر مراحل ثلاث في معيشة ضنك ، ولكنما الهامة الخالدة منه والأوفى هي في الأخرى وكأنها المخصوصة بحملها :

﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ (١٠١).

خلودا في وزر الإعراض عن الذكر قدره ولا يظلمون نقيرا ، وحمل المسافر زاد له في غربته وتخفيف له عن كربته ، وحمل الوزر للمعرضين عن الذكر في ذلك السفر الشاق الطويل الطويل حمل وبيل ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾.

ولان الوزر هنا هو الذنب المخلف عن الإعراض عن الذكر ، والأعمال هي الجزاء بملكوتهما الظاهرة يوم القيامة ، فالخلود في الوزر هو خلود في نفس الوزر دون جزاءه ، فانه هو جزاءه دون فصال ، و «خالدين» كما في آيات اخرى ، لا تدل بصيغتها على البقاء لغير النهاية ، فانها أعم من الأبد ودونه ، والأبد أعم من اللانهاية الحقيقية كما في ابد الجنة ، وسواها كما في سواها ، فما الآبدون في النار إلا وهم دائبون فيها ما داموا ودامت

النار ، ثم لا نار ولا اهل نار قضية العدل ، وان العقوبة ليست الا قدر الخطيئة ف ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

وهنا الخلود في الوزر ليس إلا قدر الوزر ، حيث الإعراض عن الذكر دركات ، فالخلود في الوزر ايضا دركات ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ .

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ١٠٢ .

و ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هو ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وهي هنا النفخة الثانية بدليل «ونحشر» : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٩ : ٦٨) و «المجرمين» هنا تعم ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ وسواه ممن أجرم مهما اختلفت دركات الإجرام ، والزرق جمع الأزرق من الزرقة وهي اللون المعروف بين البياض والسواد.

ولان «زرقا» وصف للمجرمين دون عيونهم فحسب ، فلا تعني . فقط . زرقة عيونهم ، بل هم يومئذ زرق ككلّ خوفة من هول الموقف المطلع ، ومن زرقة عيونهم عماها : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا. وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (٢٠ : ١٢٤) ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ (١٧ : ٩٧) وقد تكون «زرقا» كمقدمة محضرة ل «عميا» ان تشخص ابصارهم لا يرتد إليهم طرفهم وافئدتهم هواء ، ثم تتحول ألوانها وتظهر بياضها ويذهب سوادها ثم تعمى .

ولا ينافي حشرهم . زرقا وعميا وبكما وصما . شخوص أبصارهم ورؤية اعمالهم وسماع ما يسمعون من تأنيب وسواه ، وما يتكلمون في التماس لتخفيف عذاب وسواه ، حيث المواقع هناك عدّة قد تقتضي العذاب عماهم كما عند حشرهم ، واخرى ابصارهم وسماعهم كما عند

حسابهم وعذابهم.

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ١٠٣ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

التخافت هنا هو تخافض في الصوت وتساو لهول المطلع كما يحشرون له زرقا فعميا ، وكلامهم المتخافت فيه بينهم ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ عشر ساعات ام ليال ام سنين وقد يقرب «الا يوما» الأولين.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ويتقولون من باطل تقديرهم للبتهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ وبين «عشرا . و . يوما» ساعة وبعض يوم او عشية او ضحاها<sup>(٢)</sup> وكل هذه استقلالا للبتهم في ارض التكليف والبرزخ بجانب حياة الخلود يوم القيامة.

وحق القول في لبتهم : ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢ : ١١٤) ولكنها ليست هذه القلة المحددة ، بل هي النسبية بجانب الآخرة : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠ : ٥٦) فذلك اللبث المبحوث عنه يعم البرزخ دون خصوص الدنيا وهناك «عشرا» هي من قولة الاكثرية المجرمة ، وكما هي «ساعة» بين مفرط ومفرط ، ثم عوان لسواهم : «يوما او بعض يوم . عشية او ضحاها» واين ساعة من عشر؟ واين هذه كلها ولبثهم في كتاب الله الى يوم الحشر؟.

(١) راجع ج ٣٠ : ١٠٣ - ١٠٦ من الفرقان تجد تفصيلا للبحث عن ذلك اللبث.

(٢) «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ» (٣٠ : ٥٥) «قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ. قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ» (٢٣ : ١١٦). كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوُهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» (٧٩ : ٤٦).

هذه أقاويل اربعة عن مدة مكثهم في الأرض من ساعة الى بعض يوم عشية او ضحاها ، الى يوم والى عشر ، تقديرات هارفة خارفة دون اية حجة وبرهنة ، تجمعها القلة لمكثهم أمام الكثرة الأخيرة.

وانها الحماقة الكبرى ان يضحوا بالآخرة الطويلة الطويلة لهذه القلة القليلة ، الزهيدة التافهة الهزيلة.

وتراهم نسوا وغفلوا مدة مكثهم؟ وليست بمغفول عنها ولا منسية! ام ذهلوا لشدة الوقعة في الواقعة فما ذكروا إلا قليلا مقدرا لهم بمختلف تقديراتهم حسب مختلف أحوالهم واهوالهم ، والإنسان قد يذهل عن اظهر الأمور عند شديد الهول؟ وهذه واجهة!.

ام قابلوا طويل الآخرة بقليل الدنيا ببرزخها فقللوها بهذه وتلك؟ وهذه اخرى! ولماذا الأخرى بينها. على زيفها. ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ عليها حيث اليوم ليل ونهار وقد كانت الحياة في البرزخ والاولى بين مظلمة ومشرقة «يوم لك ويوم عليك» اضافة الى قلتها نسبة الى الاخرى.

هذا إلا ان بين ساعة وعشر ليال بون ٢٤٠ / ١ فأين الواحدة من مئات؟ الا ان ذلك ليس من البعيد لهؤلاء البعاد عن الحق ، ام ان «عشرا» هي عشر ساعات ، فظنونهم كلها لا تعدو يوما او بعض يوم! فهم يحدسون عما قضوا على الأرض وقد تضاءلت الحياة الدنيا ببرزخها في حسابهم ، وقصرت أيامها في مشاعرهم ، وهكذا تنزوي تلك الأعمار التي عاشوها وتنطوي ، وتتضاءل متاع الحياة وهمومها وتنمحي ، فيبدو كل هذه على طولها وطولها فترة وجيزة يحسبونها ساعة او يوما او بعض يوم!.

وقد تجمع هذه القيالات حول اللبثين في البرزخ والاولى ، على اختلافات في تقديرات ، ان الزمن في البرزخ اسرع منه عن الاولى ، حيث الزمان يتبع السرعة ، والبرزخ بما فيه الأبدان البرزخية أجرد من



الدنيا بكثير ، فسرعة الحركة فيه أكثر منها بكثير .

وان حالة اليقظة في البرزخ لأكثر تقدير ٢٤ / ٢ حالة النوم حيث رزقهم فيها غدوا وعشيا ، او النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، يكفيهما ساعتان من الليل والنهار .  
وان الحياتين بالنسبة للآخرة قليلة ، ثم هم في ذلك التقليل بالنسبة للبث الاولى كعاذرين أنفسهم ان حياة التكليف ما كانت كافية للانتباه .

والله يصدقهم في اصل القلة هنا وهناك نسيباً بالآخرة ، ويكذبهم في تحديداتهم الخارفة الهارفة ﴿قَالَ إِنَّ لِبَيْتِكُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يوم الدنيا ، فلما ذا تغافلتُم في هذه القلة عن الاستعداد لتلك الكثرة ، ولا يعذرهم في قلة مدعاة لجمال التكليف اجابة عن تطلبهم «ربنا أرجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل» حيث الجواب ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَذَكِّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٣٥ : ٣٧) ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنَّ لِبَيْتِكُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٧ : ٥٢) .  
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ١٠٦ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ ١٠٧ .

فالقارعة التي تفرع الجبال وتنسفها ، فما تراها فاعلة بالإنسان المجرم النسيان العصيان؟! ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ ما هو مصيرها في قيامتها؟ .

وهنا في الاجابة عن ذلك السؤال يتجلى المشهد الرهيب العجيب ، فإذا الجبال ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ حيث يذرها ويثيرها فلا تبقى منها باقية إلا دائرة فانية ، لا كالمعود من نسفها بشريا لإيجاد المسيرات ، وانما «نسفا» ماحقا ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ أرضاً مستوية بعد ارتفاع «صفصفا» ملساء دون كلاء ، خلوا من كل نتوء واعوجاج وارتقاء ، فتصبح أرضاً مستوية جرداء

ملساء ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ بانخفاض كالأودية ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ بارتفاع كالروابي والتلال.  
ونسف الجبال له عوامل عدة ، منها الرجفة المدمرة : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ  
وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا﴾ (٧٣ : ١٤) والتسيير : ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (٧٨ :  
٢٠) ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (١٨ : ٤٧) وبهذه وتلك ﴿تَكُونُ الْجِبَالُ  
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (١٠١ : ٥) وعلى حد تعبير الامام علي (عليه السلام) «وتذل الشم  
الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرايا ررقا ومعهدها قاعا سملقا».

ثم العوج قد يكون في سطح دون عمق من مرتفعات ام منخفضات ، وقد نفتها  
﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ام هو في حجم مضلع فكذلك الأمر ، فليكن عوجا لا يرى كما في حجم  
مدور ، فتصبح الآية من ادلة كروية الأرض ، فانها عوج لا يرى لا في حياتها الدنيا ولا في  
آخرها ، وقد انمحت اعوجاجاتها التي كانت ترى حيث «يذرها» ﴿قَاعًا صَفْصَفًا. لَا تَرَى فِيهَا  
عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا  
هَمْسًا﴾ ١٠٨.

«يومئذ» بعد قيامة التدمير وفي قيامة الإحياء والتعمير التي هم فيها يحشرون ﴿يَتَّبِعُونَ  
الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ فمن هو الداعي المتبع هناك؟.

«الداعي» هنا هو الله في الأصل ، او من يدعو بأمر الله ، ولكن قرنه في آية القمر  
برسول الله وهو أفضل داع وأحراره من بعد الله ، قد يحصره هنا في الله : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ  
يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ. خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ. مُهْطِعِينَ  
إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ

هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٥٤ : ٨﴾ ولكنه لا ينافي النفخ في الصور حيث يدعو بأمر الله لعود الحياة ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿٣٦ : ١٥١﴾ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ ﴿٧٨ : ١٨﴾.

﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ مسيرين ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا الداعي إليها ولا الصور ولا أتباعهم له ، مهما كانوا معوجين عن اتباعه يوم الدنيا ، ومن اتباعهم له ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ في نفي واثبات ، ثم الأصوات : ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ خفيفا ، استغراقا في المذلة ، إما همسا في كلام ، ام في الأقدام ، نقلة من أجداثهم الى محشر الحساب ، ثم الثواب او العقاب (١).

فهناك اتباع أول للداعي نفخا في الصور ، واتباع ثان في موقف الحساب والى اتباعات أخرى ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ﴿٢ : ١٦٥﴾ ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٠ : ١٦﴾.

هكذا يخيم على المحشورين الصمت الرهيب والسكون الغامر العجيب ، فالسؤال تخافت ، والكلام والإقدام همس ، والخشوع ضاف ، والوجوه عانية ، وجلال الرحمن يغمر النفوس!.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ ١٠٩ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ١١٠.

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٠٨ عن ابن عباس والضحاك وعكرمة وسعيد والشعبي ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أصوات اقدامهم ، وعن سعيد بن جبير قال : سر الحديث وصوت الاقدام.

﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ مما يدل على ان هناك شفاعاة ، ولكن نفعها محصور في ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ ففاقد الشرطين لا يشفع إذا شفع ، بل ولا يشفع إذ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ (٣١ : ٣٨).

وترى ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ..﴾ هو الشافع؟ وكيفيه اذن ورضى قوله! ام هو المشفع له؟ والشافع هو المحور الأصيل في اذن الرحمن ورضى قوله!.

قد تعنيهما الآية ، فليكن الشافع مأذونا في شفاعته ، ومرضى القول فيها عند الرحمن ، وعلى هامشه المشفوع له مأذونا في ان يشفع له ، ومرضيا في قول له ، وقد جمعهما فيه ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ (٢١ : ٣٨) اي من ارتضى الله دينه وهو من ساءته سيئته وحسنته حسنته.

فقول الشافع المرضي هو ما وقع موقعه الصالح ، وقول المشفوع له المرضي هو كلمة التوحيد فانه اصل القول ، ثم قوله الذي يعذره عن فعله المحتاج الى شفاعاة. إذا فليست الشفاعاة يومئذ فوضى جزاف لا في الشافع ولا المشفوع له ولا المشفوع لأجله ، حيث الكل منوطة بإذن الله ورضاه.

ومن رضى القول وفقه للواقع الصالح وصالح الواقع دون خطأ قاصر او مقصر ، حيث «يعلم» الله ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ..﴾ شافعين ومشفوعا لهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ كذلك الأمر.

ثم ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ هو حاضرهم وما يستقبلون ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هو غابرهم وما يستدبرون ، و «ما خلفهم» هو الذي يتبنى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وهو العالم كل ذلك ، فلو ان شافعا قال قولا لا يصدقه الواقع علما منه او جهلا ، لم يكن قوله مرضيا ، إذ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

**يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**

«لا يحيطون» بذاته وصفاته وأفعاله وبما يعلم «علما» أيًا كان ، حيث الحيلة العلمية لزامها مسامات العالم ، والمعلوم ، له ماله وفيه ما فيه حتى يساويه فيساميه فيحيط به علما ، فلا رؤية لاي راء يبصر ام بصيرة<sup>(١)</sup> اما هيه ، إلا معرفة محدودة ممكنة بحق الممكن وكما قال أفضل العارفين وخاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) : «ما عرفناك حق معرفتك» ف «قد يئست عن استنباط الاحاطة به طوامح العقول وتحيرت الأوهام عن ذكر أزيته»<sup>(٢)</sup> فضلا عن الحيلة به «إذ هو تبارك وتعالى جعل على ابصار القلوب الغطاء فلا فهم يناله بالكيف ، ولا قلب يثبت بالحدود فلا تصفه إلا كما وصف نفسه : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٩٤ في اصول الكافي بسند عن صفوان بن يحيى قال : سألتني ابو قرّة المحدث ان ادخله الى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فاستأذنته في ذلك فاذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال ابو قرّة : انا روينا ان الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية؟ فقال ابو الحسن (عليه السلام) فمن المبلغ عن الله الى الثقلين من الجن والانس **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾** **﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾** و **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** أليس محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال : بلى . قال : كيف يحيى رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله وانه يدعوهم الى الله بأمر الله فيقول : لا تدركه الأبصار ... ثم يقول : انا رأيته بعينين وأحطت به علما وهو على صورة البشر اما تستحيون؟ ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر . الى قوله : وقد قال الله **﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾** فإذا رآته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة ، قال ابو قرّة : فتكذب بالروايات؟ فقال ابو الحسن (عليه السلام) إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها وما اجمع المسلمون عليه انه لا يحاط به علما ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء».

(٢). المصدر في كتاب التوحيد خطبة عن علي (عليه السلام) وفيها : قد يئست ...

. الاول والآخر والظاهر والباطن . الخالق البارئ المصور . خلق الأشياء فليس من الأشياء شيء مثله تبارك وتعالى» (١).

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ١١١ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ١١٢ .

عنت له تعنو خضعت مستأسرة بعناء ، ومنه يقال للأسير العاني كما عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان» وعناه يعنيه قصده . والوجوه كل الوجوه بكل الوجوه عنت للحى القيوم الذي أحيها بعد موتها ، سواء الوجوه التي عنته وعنت له يوم الدنيا ، او التي لم تعنه ولا عنت له ، وانما عنت وتعنت ، فهناك الكل ﴿عَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ شاءت ام أبى ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ يومئذ ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ بنفسه والآخرين وبالحق .

واما الوجوه العانية له تعالى وإياه ايمانا وعملا صالحا ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ وان لم تستوعبها كلها ، وانما الصالحات الرئيسية عقائدية وعملية ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ منه إذ لم يظلم ، ولا من ربه إذ لا يظلم . «ولا ظلم اليوم» . ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ لحق من حقوقه ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ .

و «الوجوه» هنا ليست هي الظاهرة فحسب حيث المحشورون هم بكل كيانهم يعنون الحى القيوم ، يواجهونه بظواهرهم وبواطنهم كما يواجههم الله تعالى بعلمه وقدرته فثوابه او عذابه : ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ .

(١) المصدر في التوحيد حديث طويل عن علي (عليه السلام) يقول فيه وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات واما قوله ... ولا يحيطون به علما . لا يحيط الخلائق بالله عز وجل علما إذ هو تبارك وتعالى ...

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ. تَتُوبُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٧٥ : ٢٥﴾.

وليس ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ كل من ظلم ، فمنهم من يتوب عما ظلم ، ومنهم من يكفر عنه صغير ظلمه إذ هو من سيئاته إذا كان تاركاً للكبائر ، ومنهم من يشقّ له حيث اذن له الرحمن ورضى له قولاً ، فليس أولئك ممن حمل ظلماً مهما ظلم ، وإنما الخائب هو الحامل ظلمه معه يوم القيامة ، يخيب قدر ظلمه ولا يظلمون نقيراً ، ومن أصدق المصاديق هنا لـ ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ المجرمون المرودة لهم آيات التحذير التنديد.

وهنا «فلا يخاف» جزاء للشرط بديلاً عن «لا يخف» جزماً ، علّه لتقدير «هو» «فهو لا يخاف» دون سواه ، وما أحسنه تقديراً لا معاً لا محلاً لذلك الحصر! كـ ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾. ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

ثم ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بعد «ظلماً» هضم وانتقاص عن الثواب ، كما الظلم هنا انتقاض للثواب ، فالمؤمن الصالح لا يخاف ظلمه ولا هضمه ، فقد لا يظلم ولكنه يهضم ، ومهما كان الهضم من الظلم ولكنهما كالظرف والمجرور إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ

ذِكْرًا﴾ ١١٣.

«وكذلك» اللائح الواضح وضح النهار لأبعد اغواره في البيان والتبيان «أنزلناه» القرآن. ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ في لفظه ومعناه ، في مرماه ومغزاه بمبتدئه ومنتهاه ، فلا تجد فيه تعقيداً ، ولا لفظاً أو معنى بعيداً ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ لمثلث النشآت ، ما يحلّ حالا وما هو آت ، دون إبقاء لأي لاي ألوان الوعيد ، من قريب وبعيد ، فالتصريف تحويل من حال الى حال

حتى تتحول الأحوال بهذه الأحوال ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المحاذير ، ولا يعتذرون ، بمعاذير يتقون عقائديا وعمليا ، ام ولا قل تقدير يتقون التكذيب بآيات الله والصد عن سبيل الله.

﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ الوعيد ﴿هُمْ ذِكْرًا﴾ إذا لا يتقون ، ذكرا هو حجة عليهم حتى لا يقولوا ﴿رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى﴾ (٢٠ : ١٣٤) ومن إحداث الذكر واقع الوعيد المزجر المدمر هنا ولما يتقوا أو يتذكروا ، وهنا يذكرون و ﴿أَنِّي هُمْ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٤٤ : ١٣) ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٦ : ٢٠٩) ﴿حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٠ : ٩١).

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ١١٤.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عما يصفونه وبه يشركون لأنه «الملك» لا سواه «الحق» الثابت الحقيق بالوحيته الوحيدة لا سواه.

«تعالى» في ذاته وصفاته وأفعاله إذ «ليس كمثله شيء . ولا يحيطون به علما»! فكل من سواه متدان بجنبه عان ، والله تعالى هو المتعالي الملك الحق.

انه ملك ومالك لكل شيء بالحق من تكوين وتشريع ومنه قضاء وحي القرآن ، فلا تملك منه شيئا إذ لا يملك وحيه لغيره مهما كان رسول القرآن.



وترى ما هو استعجال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن حتى نهي عنه من قبل ان يقضى اليه وحيه؟.

فهل استعجل بنزول آية ولما ينزل لمواعدة بينه وبين بعض الكفار ان يجيبهم عن مسائل وقد ضربوا له أجلا فانقضى ولما ينزل الوحي بالجواب <sup>(١)</sup>؟ والعجلة بآية ليست عجلة بالقرآن ككل! ثم كيف يعجل الرسول بما الله يؤجله ، حيث عجله الكفار بما قرروا له أجل الجواب! ويكأنه يعلق قضاء وحي الله على الآجال المضروبة من قبل الكفار!.

ام «كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا انزل عليه جبريل بالقرآن اتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه ، يتخوف ان يصعد جبريل ولم يحفظه فينسى ما علمه فقال الله : ولا تعجل بالقرآن؟ ... <sup>(٢)</sup>».

وقد ضمن الله له من قبل ألا ينساه : ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾! وليس حفظ القرآن عجلة به بعد نزوله! وليس من حفظه للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قضاء وحيه! ولا ينافي حفظه مزيد علمه ، بل هو تثبيت لما اوحى اليه!.

إنه استعجال بتحريك لسانه به قبل قضاء وحيه تماما او بعضا حيث كان أليفا بمحكم القرآن قبل تفصيله ، أنيسا بمعانيه قبل ألفاظه ، فكان أحيانا يسبق جبريل في قراءة الوحي ولما يقرئه ، او لما يتم ، شغفا بالغا الى

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٢ : ١٢٣ قال الضحاك ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد أخبرنا عن كذا وكذا وقد ضربنا لك أجلا ثلاثة ايام فابطأ الوحي عليه وفشت المقالة بان اليهود قد غلبوا محمدا فانزل الله هذه الآية.

(٢) الدر المنثور ٤ : ٣٠٩ . اخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... وقال : لا تحرك به لسانك لتعجل به ، أقول راجع تفسير الآية في الجزء ٢٩ من الفرقان تجد تفصيلا لائقا بالبحث هناك.

منشور ولايته وسناد رسالته.

والآية متأيدة في هذا التفسير الأخير بآية القيامة : ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) كما وتؤيد بتعقيها في نفسها :

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فلا يكفيك العلم بمحكم القرآن النازل ليلة القدر ، إذ لا يحمل التفصيل وليس إلا بالوحي ، ولا يحمل تلك العبارات الفائقة التصور في أعلى قمم الاعجاز ، وليس إلا بالوحي.

إذا فقضاء وحي القرآن هو إتمامه بعد شيء منه ، ف «قضاه» بمعنى أتمه ، والقرآن المفصل بلفظه ومعناه ، هو إتمام للقرآن المحكم : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

هذا إتمام لحكمه بمفصله ، وإتمام ثان هو في مفصله وكما يروى «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل نزول الآية والمعنى فانزل الله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي يفرغ من قرائته ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولا يؤتب الحبيب إذا عجل بكلام حبيبه شغفا بالغاه فيه ، اللهم إلا ان ينهى استكمالا له وكما أمره : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وذلك التعقيب التلحيق العميق ينبهنا ان ليس الرسول محيطا بكل شيء علما ، لا! وحتى العلم الرسالي بالفعل ، فانما يتدرج في علمه أيا كان ، شخصا كالمعرفة ام رساليا كاحكامها ، ولقد كان يقول : «اللهم

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٩٦ في تفسير القمي في الآية قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ....

انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال»<sup>(١)</sup>.  
 والمحور الأصيل في العلم المطلوب هنا هو علم القرآن ومن ثم السنة وعلى ضوءهما .  
 والعمل الصالح . علم المعرفة الإلهية وكلما يناسب ساحة الرسالة القدسية .  
 وفي المروي مستفيضا عن اهل بيت الرسالة عليهم السلام «لولا أنا نزداد لأنفدنا»<sup>(٢)</sup>.  
 وما أحلاه ما يروى عن رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) ان العلم هو  
 الإنصات له ...»<sup>(٣)</sup>.

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٠٩ . اخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٩٧ عن الكافي عن زرارة قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : لولا انا نزداد لأنفدنا  
 قال قلت : تزدادون شيئا لا يعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال : اما انه إذا كان ذلك عرض على  
 رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم على الائمة ثم انتهى الأمر إلينا ، وفيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال  
 : ليس يخرج شيء من عند الله عز وجل حتى يبدأ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم بأمير المؤمنين (عليه  
 السلام) ثم بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا اعلم من أولنا .

وعن المجمع روت عائشة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : إذا أتى علي يوم لا ازداد فيه  
 علما يقربني الى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمس.

(٣) المصدر ٣٩٩ عن الخصال عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام) قال جاء رجل الى النبي (صلى الله  
 عليه وآله وسلم) فقال له يا رسول الله ما العلم؟ قال : الإنصات له قال ثم ما؟ قال : الاستماع له ، قال : ثم ما؟  
 قال : الحفظ له ، قال : ثم ما؟ قال : العمل ، قال : ثم ما؟ قال : نشره .

وحين يقال لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انا نسألك أحيانا فتسرع بالجواب ، وأحيانا فتطرق ثم تجهينا؟ قال : نعم انه ينكت في آذاننا وقلوبنا فإذا نكت نطقنا وإذا امسك عنا أمسكنا <sup>(١)</sup>.

وحين يسأل امير المؤمنين (عليه السلام) من أعلم الناس؟ يقول : من جمع علم الناس الى علمه <sup>(٢)</sup>.

ان «معرفة الله حق معرفته هو رأس العلم» <sup>(٣)</sup> وسائر العلم وسائلها ، ولا نهاية لحق المعرفة واليقين وكما يؤمر رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ ١١٥

علّها اضافة الى بيان واقع سابق من ضعف العزم الإنساني المتمثل في الإنسان الأولى ، هي إلى جانب ذلك تكريم لساحة الرسالة القدسية الأخيرة ، التي يحملها أعظم اولي العزم من الرسل.

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٩٨ في بصائر الدرجات عمران بن موسى عن موسى بن جعفر عن عمرو بن سعيد المدائني عن عيسى بن حمزة الثقفي قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) انا نسألك ...

(٢) المصدر في الخصال عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سئل امير المؤمنين ..

(٣) المصدر في كتاب التوحيد باسناده الى ابن عباس قال جاء اعرابي الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علمني من غرائب العلم ، قال : ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائبه؟ قال الرجل : ما رأس العلم؟ يا رسول الله؟ قال : معرفة الله حق معرفته ، قال الاعرابي وما معرفة الله حق معرفته؟ قال : تعرفه بلا مثل ولا شبه ولا ند وانه واحد احد ظاهر باطن أول آخر لا كفو له ولا نظير له فذلك حق معرفته.

فأنت يا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) محافظ لعهد الله تماما ، وعازم عليه تماما ، ولذلك قد تسبق رسول الوحي في قراءته ، وابن أنت من آدم حيث عهدنا اليه من قبل فنسي العهد ولم نجد له عزما وثباتا على العهد!

ولا نعهد عهدا الى آدم في الذكر الحكيم إِلَّا أَلَّا يَطِيعَ الشَّيْطَانَ وَلَا يَقْرَبَ الشَّجَرَةَ المنهية كما في آيات عدة مثل ما هنا : ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١١٨).

ونسيان عهد الله لو كان عن قصور لا يسمى عصيانا ، وان كان عن تقصير كان عصيانا ، ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ . ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ هما في جملة عساكر الادلة القاطعة على نسيانه المقصر العصيان ، ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ تعني أن لم يكن له عزم على تطبيق العهد رغم تقبله وتصديقه ، ف «لم أجد» في غير الله أعم من الوجود وعدمه حيث العلم غير مطلق ولا مطبق ، ولكنه في الله صيغة أخرى عن عدم الوجود ، ولماذا «لم نجد» بديلا عن «لم يكن أو لم يوجد له عزم» حيث الثاني يستأصل عزمه كأن الله لم يخلق له عزما ، إذا فهو قاصر لا يتمكن من عزم ، ولكن «لم نجد» تنفي وجود عزمه بما قصّر ، لائحة انه خلق له عزما مختارا في تطبيق عهده ، ولكنه نسي عهده وترك عزمه لعهده ، فأصبح عهدا دون عزم تقصيرا منه دون قصور ، ولذلك يعلن في هذه الإذاعة القرآنية العالمية ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾.

اجل ، وكلما كانت النفس أعزم على تطبيق عهد الله فهي أعظم عند الله ، وابتعد عن محارم الله ، حتى يتصل الى قمة العزم وهي النفوس القدسية لأولي العزم من الرسل ومن نحى منحاهم كالأئمة من آل الرسول الأقدس محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

ونسيان آدم ، المقصّر ، كان تناسيا على ذكر ، وإلا فكيف هنا اصل النسيان وقد ذكره الله من قبل بموقفه مع الشيطان : ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ ..﴾ ام « كيف ينسى وهو يذكره ويقول له إبليس : ﴿مَا هَآكُمَا رُبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (٧ : ٣٠) ؟<sup>(١)</sup>.

وكضابطة عامة لا عصيان إلا بنسيان الرب وعهده تساهلا وتناسيا وتجاهلا عاندا ام عامدا ام عن جهالة ، ونسيان الله وعهده على أية حال عصيان مهما اختلفت دركاته. ولقد نبه الله آدم حين خلقه وأسجد له ملائكته وتمتع إبليس عن السجدة ، نبهه بذلك العهد وذكره :

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ ١١٦.

ولقد فصلنا القصة وحققناها حسب المستطاع في البقرة وقلنا هناك وفي مواضع اخرى ان المسجود له هنا عبودية او احتراماً هو الله ، وآدم هو المسجود له شكراً لله ، كما تقول سجدت لولدي بيانا لدافع سجودك شكراً لله.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ١١٧.

عداء سابق على السجدة لماذا أمر بها ، وعداء لاحق على مر الزمن لماذا لعن بتركها : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخْرِتَ إِلَى يَوْمٍ

(١) البحار ١١ : ١٨٧ ح ٤٣ عن جميل بن دراج عن بعض أصحابنا عن أحدهما قال سألته : كيف أخذ الله آدم بالنسيان؟ فقال : انه لم ينس وكيف ينسى ...

الْقِيَامَةِ لِأَخْتَبِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧ : ٦٢﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ  
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥ : ٣٩﴾.

والشقاء هنا ، المتفرعة على الخروج عن الجنة الى الحياة الأرضية ، هي التعب والعناء  
في هذه الحياة ، فالشقاء بالكّد والعمل والشرود والضلال والحيرة واللهفة والانتظار والألم  
والفقدان ، ام أيا كان ، كل هذه تنتظرك خارج الجنة في حياة الشقوة الارضية ، وأنت في  
حماية منها كلها في رحاب الجنة.

ومن اصول الشقاء هناك خارج الجنة الجوع والعري والظمأ والضحي :

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ ١١٩ .

لا جوع فيها حيث الأكل حاضر فيها كما تشهي دون كد للحصول عليه ، ولا عري  
حيث ملابس الجنة تلبسك دون سعي قد يخيب ، ولا ظمأ العطش حيث الماء فيها كما  
تشاء وحيث تشاء ، ولا ضحي الشمس حيث الجنة تجن عن الشمس الضاحية ، ثم وبرودة  
الهواء ونعامتها من ناحية ، وعدم الحاجة الى مظاهرات من أخرى ، لا تحوجك تكلف التستر  
عنها.

وهنا الجوع والعري يتقابلان مع الظمأ والضحو ، وهي في مجموعها تمثل رؤوس  
متاعب الإنسان وشقائه في الحصول على حاجيات الحياة ودفع مضراتها.

هذا . ولكننا الإنسان النسيان ، الغفلان عن تجاربه مع الشيطان ، والرغبان في البقاء  
والسلطان ، من هذه الثغرات ينفذ اليه الشيطان ، ابتلاء

بالعصيان وخروجاً عن جوار رحمة الرحمن :

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ ١٢٠.

﴿مَا تَهَكُّمًا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ...﴾ (١٧ : ٢١).

الشیطان یجذب الی آدم الأكل من الشجرة المنهية ، واصفا لها بشجرة الخلد وملك لا یبلى ، بعد أن الرحمن یحدره عنها ، واصفا لها بشجرة الشقاء والخروج عن جنة الراحة والبقاء ، ویا للإنسان من غفلة ونسیان لعهد الله وذكره ، کیف یمیل الی الوسواس الخناس ، ویترك عظة اله الناس؟.

أترأه كذب الله فی وعده مصدقا للشیطان ، وهو من اكفر الكفر! ام ان شغفه البالغ لخلد الحیاة فی الجنة وملك فیها لا یبلى أنساه ذكره ، فنسی عداء الشیطان والشقاء الناتج عن أتباعه ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ فلقد لمس اللعین فی نفس آدم الموضع الحساس ، وهو تطلب البقاء ، فأنساه العهد والعناء المتوقعة علی الخروج من الجنة ، فأقدم علی المحذور : ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ١٢١.

وهذه السوآت هي العورات ، فقد كانت عنهما مستورة ، وكان بدوهما من اهداف الشیطان : ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ (٧ : ٢٠) ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ (٧ : ٢٧).

فقد كانت عوراهما ملبوسة بلباس الجنة ولما تبدو لهما منذ خلقا ، فلما



أكلا من الشجرة نزع عنهما لباسهما فبدت لهما عوراتهما ، عورة ظاهرة كانت خفية ، نتيجة عورة باطنة في الروح هي النسيان العصيان ، وليعلم الإنسان انه في قرارة نفسه عورة ظاهرة وباطنة ، فعند الامتحان يكرم المرء او يهان ، وعند تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال.

وبالفعل ﴿فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوَاتُهُمَا﴾ وهي مواضع الجنس والعفة بما أكلا ، ومواضع الخفة في الروح لماذا أكلا ، فأصبحا عارفين من عورات الروح والجسم ما أريا ﴿وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ سترا لعورات الجسم ، ولكنهما كيف يستران عورات الروح؟:

﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (٧ : ٢٦)

وقد بقي عليهما ان يسترا عورات الروح حيث ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾! «وهي أول قدم مشت الى الخطيئة»<sup>(١)</sup> وطبعا بين قبيل الإنسان ، فان الشيطان سبقه فيها.

وقد تلمح ﴿طَفَقَا يَخْصِفَانِ﴾ انهما ما قدرا على ان يخصفا ، وإلا لكان حق التعبير «فخصفا» فانما حاولا ، واما واقع الخصف فلا خبر عنه ، ثم ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى..﴾ كانت مشروطة بعدم الأكل من الشجرة وقد أكلا فليعريا هنا وفي الحياة الأرضية.

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾!

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٠٣ في علل الشرايع باسناده الى الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) حديث طويل يقول فيه (صلّى الله عليه وآله وسلم) لما ان وسوس الشيطان الى آدم دنا من الشجرة ونظر إليها ذهب ماء وجهه ثم قام ومشى إليها وهي أول ثم مشى الى الخطيئة ثم تناول بيده مما عليها فأكل فطار الحلي والخلل عن جسده.

وهنا أول انسان يتلى بأول عصيان ، مهما حاول ناس وهم الأكثرية المطلقة من مفسرين ومحدثين ان يحولوا عصيانه الى ترك الاولى ، ولكنه محاولة غافلة فاشلة حيث تخالف نصوص الكتاب والسنة وكما فصلناها على ضوء آية البقرة.

ومنهم من يردّد القول ان ذلك كان قبل تشريع الشّريعة ، وانه كان نهيًا إرشاديا ، وتراه ماذا يقصد من الشريعة الإلهية ، أهى المشرّعة منذ الرسالة الأرضية؟ ولا ينافيها حكم واحد تكليفي او يزيد قبل هذه الشريعة! ام تعم اي حكم الهى؟ فقد حكم الله قبل الشريعة الارضية احكاما عدة ، منها ما أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس ، وقد لعن إبليس حين أبى ، فهلا هو عاص إذ لم تكن هنا لك شرعة؟ وهو شر عصيان! ام لم يكن الملائكة . إذا . طائعين؟ وهى خير طاعة! فكذلك فى عصيان آدم وقد لحق عصيان الشيطان.

فحتى لو كان النهي إرشاديا . ولم يكن . فهو ايضا من الشريعة ، وعصيان النهي الارشادي بهذه الصورة العجيبة ، هو ايضا فى الحق عصيان ، ثم طبيعة الحال فى الأوامر والنواهي الإلهية انها مولوية ككلّ الا بقرينة قاطعة ، ام هى كلها ارشادية حيث ترشد الى مصالح تحملها فردية ام جماعية ، فمجرد ان تسمى نهيًا إرشاديا . ودون اي برهان . لا يخرج تخلفه عن العصيان ، وكما الله صرح فى هذه الاذاعة القرآنية ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾.

فلو كان تركا للأولى فكان الاولى بل المحتوم فى القرآن البيان «وترك الاولى» دون «وعصى» لا سيما مع تصريحات أخرى تؤيد انه حقا «وعصى» : فالنهي المؤكّد عن الاكل منها ، ثم فتكونا من الظالمين ، وانه زل ، وشقي ، وعصى ، وأهبط من الجنة ، وتاب فيها وبعدها ، هذه عساكر

سبعة تدلنا على انه حتما «عصى فغوى».

و «عصى» بنفسها تكفي دلالة على اقتتراف الحرام ولم تستعمل في القرآن كله إلا في نفس المعنى ، كما الظلم والزلة والشقاء والغواية ، ثم هذه التوبة العريضة ليست الا عن ارتكاب محرم.

وترك الاولى تخلفا عن نهي ارشادي كما يقولون ، لا يستحق هذه التعابير القاسية القاضية على العدالة فضلا عن العصمة ، ولا يستوجب تلك التوبة الطويلة العريضة!

والعصمة الضرورية لساحة الرسالة هي منذ الرسالة حتى يقضي الرسول نحيه ، دون ما قبلها الا لمن دلت لهم الدلالات القاطعة كالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته الطاهرة (عليهم السلام) ومن نحي منحاهم من اولي العزم ام سواهم.

وليت شعري ماذا يدفع هؤلاء الأعاضم الى تأويل نصوص الكتاب والسنة في عصيان آدم (عليه السلام)؟

أستعظما لشأن آدم (عليه السلام) والقرآن أعظم شأننا أن يؤول الى خلاف نصوصه ، وما تشهيره فيه بذنبه إلا «ان مخالفة الحبيب على الحبيب شديدة»<sup>(١)</sup> وليعلم ذريته انهم سيبتلون بالشيطان كما ابتلي أبوهم آدم فيتخذوه عدوا.

---

(١) تفسير روح المعاني للالوسي ١٦ : ٢٧٥ . اخرج البيهقي في شعب الایمان عن أبي عبد الله المغربي قال : تفكر ابراهيم (عليه السلام) في شأن آدم (عليه السلام) فقال يا رب خلقتك بيدك ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك ثم بذنب واحد ملأت أفواه الناس من ذكر معصيته؟ فأوحى الله اليه يا ابراهيم اما علمت ان مخالفة الحبيب على الحبيب شديدة!؟

ولعمر الهي الحق ان ذلك التأويل العليل غريب في نوعه دون اي تعويل إلا على أن الأنبياء معصومون! ولم يكن هذا العصيان إلا قبل نبوته <sup>(١)</sup> لمكان ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ والقرآن مصرح بذلك العصيان ، ولا يوجد في عشرات من الأحاديث النازرة اليه المفسرة له إلا نفس الذنب والخطيئة والعصيان ، دون ترك الاولى ولا مرة يتيمة.

وغريب من صاحب بحار الأنوار انه يعنون بابا من أبوابه ب «ارتكاب ترك الاولى» سردا لآيات عصيان آدم ورواياته ، ولا ينبئك مثل خبير بغربة القرآن الغريبة حيث تؤول آياته بينات دون اي برهان ، حتى وإذا صدقت بمتظافر الأحاديث التي هم يؤصلونها ، ويفرعون القرآن عليها <sup>(٢)</sup>!

(١) البحار ١١ : ١٦٤ ن عن علي بن محمد بن الجهم قال : حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى (عليه السلام) فقال له المأمون يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أليس من قولك ان الأنبياء معصومون؟ قال : بلى قال فما معنى قول الله عز وجل : وعصى آدم ربه فغوى؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى قال لآدم (عليه السلام) ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار ، «انما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله عز وجل : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

(٢) البحار ج ١١ وهذا الباب يشمل (٤٨) صفحة من ١٥٥ . ٢٠٣ . وفيها عشرات من الأحاديث الدالة على انه حقا كان عصيانا وفيما يلي عشرة منها تقدم واحد تحت الرقم (١) : ص ١٦٣ ح ٦ «فس أبي عن ابن أبي عمير عن ابن مسكان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان موسى سأل ربه ان يجمع بينه وبين آدم عليهما السلام) فجمع فقال له موسى : يا أبه! لم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته .

### اجل انه عصى فغوى ، ولكنها معصية صغيرة حيث نسي واغتر بما

. وأمرك الا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال : يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة ، قال : بثلاثين سنة ، قال : فهو ذلك ، قال الصادق (عليه السلام) فحج آدم موسى».

أقول : وجد ان خطيئة في علم الله لا يبررها حيث العلم ليس علة للعصيان ، وهل كان آدم يعلم ان الله يعلم بخطيئته في المستقبل؟ ام سيّره على خطيئته إذا فهو خطيئة من الله وسبحان الله ، إذا فكيف حج آدم موسى ، وعلى فرض الغض عن ذلك فهما معترفان انه كان خطيئة لا تركا للأولى ، والا لكان آدم يحجه بذلك دون العلم السابق.

ح ٧ «فس روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما اخرج آدم من الجنة نزل عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال يا آدم أليس الله خلقك بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وزوجك حواء أمته وأسكنك الجنة وأباحها لك ونهاك مشافهة ان لا تأكل من هذه الشجرة فأكلت منها وعصيت الله؟ فقال آدم يا جبرئيل ان إبليس حلف لي بالله انه لي ناصح فما ظننت ان أحدا من خلق الله يحلف بالله كاذبا.

ح ١٠ عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : لولا ان آدم أذنب ما أذنب مؤمن ابدا ولو لا ان الله تاب على آدم ما تاب على مذنب ابدا.

ح ١٥ . عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان الله تبارك وتعالى لما أراد ان يتوب على آدم أرسل اليه جبرئيل فقال له : السلام عليك يا آدم الصابر على بليته التائب من خطيئته...».

ح ١٨ . عن زر بن حبیش قال سألت ابن مسعود عن ايام البيض ما سببها؟ وكيف سمعت؟ قال : سمعت النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول : ان آدم لما عصى ربه عز وجل ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جوارى فانه لا يجاورني احد عصائي فبكى وبكت الملائكة فبعث الله عز وجل اليه جبرئيل فاهبطه الى الأرض مسودا فلما رآته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت وقالت يا رب خلقا خلقتهم ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك بذنب واحد حولت بياضه سوادا ... ثم واصل في بيان ما كلفه آدم ايام البيض الثلاثة حتى صار كله بياضا.

ح ٢٥ . عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان آدم بقي على الصفا أربعين صباحا ساجدا يبكي على الجنة وعلى خروجه من جوار الله عز وجل فنزل عليه جبرئيل فقال يا آدم ، ما لك تبكي؟ قال : يا جبرئيل مالي لا ابكي وقد اخرجني الله من جواره واهبطني الى الدنيا؟ قال : يا آدم تب اليه ....

ح ٢٩ . عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان آدم لما طاف بالبيت فأنتهى الى الملتزم فقال جبرئيل أقر لربك بذنوبك في هذا المكان ، فوقف آدم فقال : يا رب ان لكل عامل اجرا وقد عملت فما اجري فأوحى الله تعالى اليه يا آدم من جاء من ذريتك الى هذا المكان فأقر فيه بذنوبه غفرت له.

ح ٣٥ . من أبي جعفر (عليه السلام) قال : الكلمات التي تلقى بمن آدم ربه فتاب عليه قال : اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك اني عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت خير الغافرين».

ح ٣٦ . من عطاء عن أبي جعفر عن أبيه عن آبائه عن علي (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال انما كان لبث آدم وحواء في الجنة حتى خرج منها سبع ساعات من ايام الدنيا حتى اكلا من الشجرة فاهبطهما الى الأرض من يومها ذلك قال : فحاج آدم ربه فقال يا رب أرايتك قبل ان تخلقني كنت قدرت علي هذا الذنب وكل ما صرت وانا صائر اليه او هذا شيء فعلته انا من قبل لم . ان . تقدره علي غلبت علي شقوتي فكان ذلك مني وفعلي لا منك ولا من فعلك؟ قال له يا آدم انا خلقتك وعلمتك اني أسكنك وزوجتك الجنة وبنعمتي وما جعلت فيك من قوتي قويت بجوارحك على معصيتي ولم تغب عن عيني ولم يخل علمي من فعلك ولا مما أنت فاعله وقال آدم يا رب الحجة لك علي ... قال الله يا آدم انا الله الكريم خلقت الخير قبل الشر وخلقنت رحمتي قبل غضبي وقدمت بكرامتي قبل هواني وقدمت باحتجاجي قبل عذابي ، يا آدم ألم أنهك عن الشجرة وأخبرك ان الشيطان عدو لك ولزوجتك وأحذركما قبل ان تصيرا الى الجنة وأعلمكما انكما ان أكلتما من الشجرة كنتما ظالمين لأنفسكما عاصيين لي ، يا آدم لا يجاورني في جنتي ظالم عاص لي ، قال فقال : يا رب الحجة لك علينا . ظلمنا أنفسنا وعصينا وإلا تغفر لنا وترحمنا نكون الخاسرين.

قاسمه إبليس (١) وكان ذلك قبل رسالته (٢) فانه :

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ ١٢٢ .

الاجتباء من الجباية : الجمع ، والافتعال جمع متكلف فيه ، وإذ لا تكلف في افعال الله تعالى ، فليكن اصطفاء له بعد صفاء بتوبته وهدايه ، فللعصمة مرحلتان ، إخلاص خلقي ، ثم إخلاص من الله ، فلما يجي الإنسان نفسه لربه كما يستطيع ، فقد يجتبيه ربه لنفسه رسولا منه الى خلقه ، و «ربه» هنا دون «الله» ام ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تلمح لهذه الربوبية الخاصة في ذلك الاجتباء.

(١) مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام): والصادق حقا هو الذي يصدق كل كاذب بحقيقة صدق ما لديه وهو المعنى الذي لا يسع معه سواه او ضده مثل آدم (عليه السلام) صدق إبليس في كذبه حين اقسم له كاذبا لعدم ما به الكذب في آدم (عليه السلام) قال الله عز وجل : ولم نجد له عزما ، ولان إبليس كان أول من ابتداء بالكذب وهو غير معهود وأظهره وهو غير مشروع ولا يعرف عند اهل السماوات والأرض ظاهرا وباطنا فحشر هو بكذبه على معنى لم ينتفع به من صدق آدم (عليه السلام) على بقاء الأبد وأفاد آدم بتصديق كذبه شهادة الله عز وجل بنفي عزمه عما يضاد عهده في الحقيقة على معنى لم ينتقض من أصفائه بكذبه شيئا».

(٢) نور الثقلين في عيون الاخبار باسناده الى أبي الصلت الهروي قال : لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا (عليه السلام) اهل المقالات من اهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر المقالات فلم يقم احد الا وقد الزمه حجته كأنه القم حجرا قام اليه علي بن جهنم فقال له يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتقول بعصمة الأنبياء فقال نعم قال فما تعمل في قول الله عز وجل : وعصى آدم ربه فغوى؟ فقال : ان الله عز وجل خلق آدم حجته في ارضه وخليفته في بلاده لم يخلقه للجنة ، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير الله عز وجل فلما اهبط الى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل : ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين.

و «ثم» هنا تجعل اجتناءه الرسالي متأخرا عن توبته تعالى عليه وهده ، وهذه طبيعة الحال في الاجتناء ، كما ان ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ تدل على توبته الى الله فتاب الله عليه ، وهذه التوبة مخفوفة بتوبتين من الله الى التائب ، من قبل حتى يتوب الى الله ، ومن بعد توبة من الله عليه تقبلا منه ، حتى يتوب عليه : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ (٩ : ١١٩).

كما أنّ «وهدى» هي هدى بعد توبة الله عليه ثانية ، وليس الاجتناء إلا بعد هذه الهدى ، فهو المرحلة الخامسة بعد تخطيه هذه الأربع ، توبات ثلاث وهدى ، والاجتناء هدى رسالية بعد الهدى الخاصة المبينة صلاحية الرسول كشخص ، وهي المعنية بالهدى التالية:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ١٢٣!

هنا ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ وفي سواها ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ (٢ : ٣٨) ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (٢ : ٣٦) وو (٧ : ٢٤) فهل المخاطب مثنى فكيف الجمع في ذلك الجمع؟ ام هو جمع فلما ذا المثنى في هذه اليتيمة؟.

«اهبطوا» في هذه الثلاث الاخيرة تجمع آدم وزوجه والشیطان ، و «اهبطا» هنا بقرينة الجمع في «يأتينكم» والعداء في ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ تعني نفس الجمع ، والثنية اعتبارا بالفريقين المتناحرين على طول خط الحياة ، فالعداء الأصيل هو بين الشيطان والإنسان ككل ، ويتفرع عليه عداء ثان بين قبيل الإنسان ﴿قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ (١٧ : ٥٣)

وهنا احتمال ثان ان الثنية تعني قبيلي الرجال والنساء المنتسليين من الأولين ، ومباعدة العداء تعم عداء كل للآخر ، وعداء كل مع قبيله ،



ثم الشيطان رأس الزاوية في كل عداء.

وذلك العداء بين قبيل الإنسان ، واثره عليه من قبيل الشيطان ، هما لا يزولان ام يخفان إلا بهدى الله الملك المنان :

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ ونون التأكيد تنسف التردد في إتيان هدى الى التأكد منها ، و «هدى» هذه ، الآتية بعد الهبوط ، ليست هي الفطرية والعقلية والحسية وقد أوتيتها كل مكلف منذ خلقه ، بل هي الهدى الرسالية بالوحي ، غير المستطاعة لهم ، سواء أكانت هدى العقل صدا عن اخطائه اما زاد ، وعليها هي مادة الرسالة الاولى التي حملها آدم (عليه السلام) حيث الشرعة الإلهية بفروعها الأحكامية الشاملة انما ابتدئت من نوح : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ..﴾ (٤٢ : ٤٣) فقد ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ..﴾ (٢ : ٢١٣) والنبيون هنا هم حملة الشرائع منذ نوح الى محمد (عليهم السلام) ، وآدم كان رسولا مهديا بهدي الدلالات العقلية الناضجة ولم يكن نبيا ، حيث النبوة هي منزلة رفيعة في الرسالة ، وآدم لم يحظو إلا مرتبة دانية بدائية من الرسالة.

﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ في أية شرعة الهية ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ اتباعا للشيطان ، وعداء بعضهم لبعض ، وقصورا للعقل عن كامل المصلحة الحيوية ، وبالنتيجة ﴿وَلَا يَشْقَى﴾ بالرغم من ان الحياة الدنيا هي حياة الشقاء ، وباحرى ﴿لَا يَشْقَى﴾ في البرزخ والأخرى ، فالشقاء في الحياة لمتبع الهدى منفية ، في عيشة راضية مرضية ، وقد يروى عن رسول الهدى (صلّى الله عليه وآله وسلم) في تفسير آية الهدى «من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه سوء الحساب يوم القيامة ..»<sup>(١)</sup> وهذا تفسير

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١١ . اخرج ابن أبي شيبة والطبراني . وابو نعيم في الحلية وابن .

تطبيقي للهدى بأفضل مصاديقها.

وترى كيف يهدّد آدم إذا عصى بأنه يشقى ، وإذا أطاع فلا يشقى ، وهنا يعده مرة أخرى ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ في هذه الحياة الارضية الشقاء؟.

علّه لان الشقاء المهّد بهما تعم النشآت الثلاث روحية وبدنية ، وهي تجر باتباع الهدى ، إلا بدنية في الاولى ، لا تحسب بشيء بجانب الراحة الروحية برضوان من الله. صحيح ان آدم اهبط من الجنة بما عصى ، ولكنه زوّد في الحياة الارضية بزيادة التقوى التي تجعل له منها جنة المأوى ، اضافة الى حياته الحسنة في الدنيا ، والجنة التي يخلّفها الإنسان بما سعى ، خير من جنة دخلها دون ان يسعى.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ

---

. مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... وذلك ان الله يقول : ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾.

يُؤْمِنُ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ  
الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (١٢٨) وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ  
رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ  
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ  
عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى  
(١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى  
(١٣٢) وَقَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٣٣) وَلَوْ أَنَّا  
أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ

وَنَحْزَى (١٣٤) قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٥)

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ١٢٤ .

«ذكرى» هنا هو «هداي» هناك ، وكما الذكر درجات كذلك الاعراض عن الذكر درجات تجمعها ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ و «ذكرى» بين آفاقي وأنفسي ، ومن أفضل الأول القرآن ورسول القرآن ويتلوه من يتلوه <sup>(١)</sup> والثاني فطري وعقلي ، وكل ذلك من مصاديق «ذكرى» على اختلاف درجاتها.

وكيف ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ وجاه ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ والصيغة الصالحة «من لم يتبع هداي»؟ عله لان هناك من لا يتبع هداه ولا يعرض عنها ، كالمستضعفين الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، في قصور مطلق ام طرف من التقصير لا يؤخذ بعين الاعتبار.

وكذلك العصاة الذين هم مصيرهم الى الجنة ، إذ لم يعصوا الله اعراضا عن ذكره وهداه ، وانما غلبت عليهم شهوتهم وشقوتهم وأركسوا فيها دون اعراض ، فالصيغة الصالحة . إذا . كما هيه : ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي . .﴾ والآيتان تتحدثان عن كتلة الايمان الصائب والكفر الثاقب ، واما العوان بينهما فلا ذكر عنهم في آية الذكر والهدى.

(١) كفاية الخصام ٤٩٦ . ابو صالح عن ابن عباس في الآية قال تعني الذي ترك ولاية علي (عليه السلام) أعماه الله وأصمه ، أقول . وفيه روايات مستفيضة من طرق أصحابنا عن أئمتنا (عليهم السلام).

والمعيشة فعيلة من العيش وهو بالنسبة للمعرضين عن ذكر الله عيش الحياة الحيوانية التي يظن انهم منها في راحة دائبة ، واما الروحية فهي خاوية عنهم وهم خاوون عنها ، ولان الروح يتطلب . فطريا . الالمحدود من الكمال ، وهم اثقلوا الى الحياة الدنيا واطمأنوا بها ، فلا يجدون بغيتهم فيها ، وهم في نفس الوقت في تزعزع وتلكع دائب إذ لا ينالون منها غاية ما يحبون فيها.

فالمعيشة الضنك المخلفة من الاعراض عن ذكر الله هي الضلال المبين والشقاء الأشقى ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ هي ابرز مصاديق المعيشة الضنك ، ثم البرزخ ثم الدنيا»<sup>(١)</sup>.

والقلب الهاوي المضطرب المرتكن الى الدنيا ولذاتها لا يعيش صاحبه الا معيشة ضنكا مهما كان في سعة ومتاع ، حيث المقطوع الصلة عن الله والاطمئنان الى حماه هو في ضيق وذنك الحيرة ، حرصا على حاضره ، وحزنا على غايه ، وطمعا في مستقبله بكل محاضره ، فهو دائما يعيش ضنك الجري وراء بوارق المطامع والحسرات على ما لا يناله ، وقد يروى عن رسول الهدى قوله «عقوبة المعصية ثلاثة ضيق المعيشة والعسر في الشدة وأن لا يتوصل الى قوته الا بمعصية الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

وهذه هي الدنيا التي لا جزاء فيها ، فكيف بالآخرة؟ ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١١ عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية قال : عذاب القبر .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٢ : ١٣١ روي عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : ....

**الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴿﴾ كما كان يوم الدنيا أعمى واين عمى من عمى؟.

وتراها عمى عن البصر فلا يبصرون هناك شيئاً؟ فكيف يقال لهم ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى  
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ (١٧ : ١٤) ﴿إِذِ الْمُرْجُومُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا  
أَبْصِرْنَا وَغَمْنَا﴾ (٣٢ : ١٢).

ام عمى عن البصيرة؟ ولم تكن لهم بصيرة في الاولى حتى يعموا عنها في الاخرى!.  
الأصل في العمى هي التي عن البصيرة : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ  
أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (١٧ : ٧٢) فهي - إذا - عمى الضلال عن السبيل ، مهما كان بصيرا  
بالبصر الحيواني وأرقى ﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٢٢ :  
٤٦) و ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (٤٧ : ٢٣) ﴿صُمُّ بَكْمٌ  
عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢ : ١٨).

ام انها تجمع لهم عمى البصر الى عمى البصيرة حين يحشرون ، ثم يرجعون الى  
ابصارهم ليروا بها ما يوحشهم عذابا فوق العذاب ، ومن ذلك مسرح الأعمال التي يرونها ،  
ومختلف ألوان العذاب ومظاهر التجديف والتخويف التي يرونها ، دون ان يروا او ينتظروا خيرا  
ينالونها ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ تحد البصر الى ما يزعجك ، ولكنه أعمى من النظر الى ما  
ييهجك <sup>(١)</sup>.

**﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾** ١٢٥.

(١) في الكافي بإسناده عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : من مات وهو صحيح موسر  
لم يحج فهو ممن قال الله عز وجل : ونحشره يوم القيامة أعمى . قال : قلت سبحان الله أعمى؟ قال : نعم أعماه  
الله عن طريق الحق».

كنت بصيرا بصر البصر ، وبصيرا بصر البصيرة الحذق والسياسة الحيوية ، وعلَّ  
﴿كُنْتُ بَصِيرًا﴾ هي باعتبار الاكثرية المطلقة ، ام ان الأعمى لا يعرض عن ذكر الله ، او انه  
حكاية حال البصير منهم حيث الأعمى لا يسأل هكذا ، والأعمى المؤمن البصير يحشر  
بصيرا لبصارته الإيمانية ، والمعرض عن ذكر الله البصير يحشر أعمى فسنادا الى الضابطة  
العادلة :

« كما تعيشون تبعثون » يقول ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ..؟﴾ والجواب . الحاسم :

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ ١٢٦ .

« كذلك » الذي عشت قد حشرت ، إذ كنت أعمى عن إِبصار الحق وسماعه والتفكر  
فيه على التماعه حيث ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا﴾ مبصرة ومسموعة ومعقولة «فنسيتها» انها آياتي ،  
وأعرضت عنها وقد كانت ذكرى ، وهكذا تحشر أعمى كما كنت أعمى ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ  
تُنْسَى﴾ حرمانا عن البصيرة مدى حياتك في الاخرى ، وعن البصر حيث ضيعته فيما لا  
يعنى ، ابطالا له عما يعنى !.

وذلك ظهور الحالات الدنيوية في الملكوت ، ان تظهر عمى البصيرة على البصر ،  
فالهلول الشامل حين الحشر من ناحية ، والعمى الحائلة عن إِبصار المسرح المفجع من اخرى ،  
انه عذاب فوق العذاب ، مهما يرجع بصيرا بعد ربح ام في فترات لكي يرى العذاب ، عذابا  
من نوع آخر فوق العذاب ، فعماء حشرا عذاب ، وإبصاره بعده عذاب جزاء بما كانوا  
يعملون ولا يظلمون نقيرا .

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ ١٢٧ .

«وكذلك» البعيد المدى الشديد الصدى ﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ وتولى

﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ نجزي معيشة ضنكا في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ لو كانوا يعلمون ، وهنا تنتهي الجولة بطرفيها الصالح والطالح ، وبالتالي جولة للطالحين هي اقرب من الاخرى ، فانها واقع تشهده العيون ان كانت الاخرى غيبا عن العيون :

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلأُولَى النَّهَى﴾ ١٢٨ .

«هدى له» هي الهدى الصالحة لمن يهتدي بها حجة بالغة عليه ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أولاء المعرضين عن ذكرى ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الخالية البالية بما أسرفوا ولم يؤمنوا ، وهم أولاء ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ ويرون بأَمْ أعينهم آثارهم الخاوية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإهلاك في قرون مضت «لآيات» بينات ﴿لِلأُولَى النَّهَى﴾ جمع نهي وهي العقل الناهي عن هوى النفس ، واما المعقول بعقل النفس فهو معرض عن آيات ربه وذكره.

فحين تحول القلوب والعين في مصارع القرون ، وتطالع العين ويطلع الضمير على آثارهم ومسكنهم عن كتب ، ويتصور الإنسان النسيان شخصوهم الذائبة وأشباحهم الهاربة ، حين يتأمل ذلك الحشد من الأشباح والصور ثم لا يرى منهم أثرا إلا بيوتا خاوية ومسكن خالية ، عندئذ يستيقظ للهوة التي تغر فاهها لتبتلع الحاضر كما ابتلعت الغابر و ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلأُولَى النَّهَى﴾ .

﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ ١٢٩ .

والكلمة السابقة هي قوله في الأعراف ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (٢٤) ونظائرها الدالة على ان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ، وما إهلاك قرون خلت او تأتي إلا نموذجاً منبها من العذاب ، ولولا هذه الكلمة «لكان» إهلاك المعرضين عن ذكر الله



«لزاما» لهم دون إبقاء : ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ﴾ (٤٢ : ١٤).

وترى ما هو موقف ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مرفوعا في آيتنا؟ أجل الاحتمالات اللاحقة بكلام الله كون «اجل» اسما ل «كان» التامة ، وقد كانت ناقصة للمعطوف عليه ، فالمعنى «لكان لزاما وكان اجل مسمى» خلاف ما أجله الله متاعا الى حين .  
والأجل . في كلمة سبقت . هو اجل الموت المقدّر لكل احد معلقا ام مسمّى ، ولولا كلمة سبقت لكان إهلاكهم لزاما وكان اجل مسمى خلاف الباقيين الذين لهم أجلا معلق ومسمى .

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١٣٠).

«فاصبر» . ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (١٦ : ١٣٧) والله ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ ويتقولون عليك وعلى رسالتك العظمى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ ولكي ينشرح صدرك عما أضاقوه فاتّجه الى ربك كما أنت وزيادة ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الذي رباك وليربك أكثر مما أنت ، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ في هدأة الصباح وهو يتنفس متفتحا بالحياة ، و ﴿قَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ في هدأة ثانية عن زحمة النهار وسبحه الطويل ، والكون يغمض اجفانه ، والشمس تلبس أكفانها ، كذلك ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ قبل منتصفه فرضا وبعده . ﴿نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ . كذلك ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ بكرة وظهيرة وعشية ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بهذه المواصلة في التسبيح بالحمد ، ازاحة عما يضيق بك ، وإراحة لخاطرك الخطير ، وهذه الرضا ثمرة حاضرة للتسبيح تطمئن القلب في حمى الرحمن .

هذه ، وفي مكية ثانية ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٥٠ : ٤٠﴾.  
وفي ثالثة ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١ : ١١٤).

أترى ما هي الملازمة بين هذه الثلاث وفي الاولى ﴿أَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ وأقلها ثلاثة ،  
والثالثة ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ فأين هنا الظهيرة وهي من الصلاة الوسطى ، وهناك تذكر الفجر  
والعصر مرتين ثانيتهما في ﴿أَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ والظهيرة هي الطرف الأوسط تذكر فيها اشارة ،  
ثم الثانية كما الثالثة تلغي الظهيرة؟

الأخيرتان تتجاوبان في الفجر والعصر وفي فريضة الليل كلا او بعضا ، وكأن ذلك  
كان قبل فرض الظهيرة ، والاولى تلمح لها انها من الفرائض اليومية ثم فرضت صراحة في  
العهد المدني بتمام فريضة الليل وكأنها العشاء ، فأطراف النهار أقلها ثلاثة أوسطها الظهيرة  
(١) ، أم انها تجمع بين الفرائض والنوافل اليومية ، ام تعني الأعم من الصلاة كما الثانية ،  
﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ قد تلمح ان التسييح بالحمد فيها غير الصلاة.

وخصوص الخطاب فيها للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد يرجح الأخير ، لا  
سيما وان الصلاة لا يعبر عنها في الفصحى بغير صيغتها إلا ان يعنى أعم منها ، فالأوسط  
هو الأوسط بين الاحتمالات الثلاث واصلق مصاديق التسييح بالحمد هو الصلاة.  
ثم قد يتأكد أن طرفي النهار وقبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، هما

(١) راجع تفسير الثانية في ج ٢٩ : ٢٩٧ . ٣٠٠ للحصول على بيان يشابه ما هنا باختلاف يسير .

الفجر والعصر وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) <sup>(١)</sup> ومن أطراف النهار التطوع بالنهار <sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣١).

«عينيك» الظاهرتين ، او الظاهرة والباطنة استعظاما لـ ﴿مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ من اموال وبنين وسائر الحيوانات الحيوانية الدانية في هذه الدنيا ، و «أزواجا» هي القرناء فروعا وأصلاء ، مهما شملت ازواج الزواج ، فانها لا تحتصها حيث المتع لا تحصر فيهم مهما كانت متعة الجنس من أعلاها ، ولكنها تعم عامة الذكران والإناث.

و ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هي الطالعة فيها كما تطلع زهرات النباتات ، ولكنها سريعة الذبول والأفول ، وكذلك زهرات الدنيا بأسرها الا ما يتدرع بها الى الاخرى.

وهذه الزهر والمتع ليست لهؤلاء الأنكاد إلا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فيما متعناهم

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١٢ . اخرج الطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن جرير عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية قال : قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر وفيه عن عمارة بن رومية سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٠٧ في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قلت له : وأطراف النهار لعلك ترضى قال : يعني تطوع بالنهار وفيه في تهذيب الأحكام عن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل وفيه بعد ان ذكر (عليه السلام) ما جرت به السنة في الصلاة فقال ابو الخطاب : أفرأيت ان قوي فزاد؟ قال : فجلس وكان متكئا فقال : ان قويت فصلها كما كانت تصلى وكما ليست في ساعة من النهار فليست في ساعة من الليل ان الله عز وجل يقول ﴿وَمِنْ آثَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾.

به فليست لها بقاء ، وحتى إذا بقيت طيلة الحياة ف ﴿رَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ إذ تخطى الأولى الى البرزخ والاخرى ثم لا فناء.

وليس ذلك تحريماً لزينة الله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ..﴾؟ بل هو دعوة الى التمسك والاعتزاز بالقيم الاصلية الباقية ، فلا تنهوى النفوس امام المتعة والزهرة والثراء ، وقد يروى عن رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) : قوله : «ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا ، قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : بركات الأرض» <sup>(١)</sup> وقد تعزّيه الآية عن فقره وغناهم <sup>(٢)</sup>.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾

.١٣٢

ومهما كان الأمر بالصلاة يعم كافة المسلمين وعامة المكلفين ولكن «أهلك» هم أخرى بذلك ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ : الصلاة ان تقيمها وتأمر أهلك بها ، وان تقرب بها وتقرب الى الله زلفى ، فهناك اصطبار على إقام الصلاة لتكون كلها صلاة ومعراجا الى الأفق الأعلى ، واصطبارا آخر على الأمر بها مهما كان فيه إمر.

وما أخرى عليا وفاطمة أهلاً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ،

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١٣ . اخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال :

....

(٢) المصدر اخرج جماعة عن أبي رافع قال أضاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ضيفا ولم يكن عنده ما يصلحه فأرسلني الى رجل من اليهود ان بعنا او أسلفنا دقيقا الى هلال رجب فقال لا الا برهن فأتيته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبرته فقال : اما والله اني لأمين في السماء وأمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديته إليه اذهب بدرعي الحديد فلم اخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية ...

لذلك تراه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزلت كان يجيء الى باب علي صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول : الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup> فقد «أمر الله نبيه ان يخص اهل بيته واهله دون الناس ليعلم الناس ان لأهله عند الله منزلة ليست لغيرهم من عامة الناس ثم أمرهم خاصة»<sup>(٢)</sup>.

ولا تحسبن انا نسألك في الصلاة . امرا وتطبيقا . رزقا وحظوة روحية لنا ، كلا ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ بل ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ بصلاتك وسواها من أرزاق روحية أما هي ، والحياة «العاقبة» التي تعقب هذه الدنيا «للتقوى» وهي حياة الرجعة والبرزخ والقيامة فانها من ايام الله ، وهذه السفرة المثلثة لا زاد

---

(١) المصدر اخرج ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت ....

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٠٨ في عوالي اللئالي وروي عن الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى : وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها قال : ... وفيه في عيون الاخبار في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والامة قالت العلماء هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب فقال الرضا (عليه السلام) فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعا .. واما الثاني عشر فقوله عز وجل «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها فخصنا الله تعالى بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع الأمة باقامة الصلاة ثم خصنا من دون الأمة فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجيء الى باب علي وفاطمة (عليهما السلام) بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول الصلاة رحمكم الله ، وما أكرم الله أحدا من ذراري الأنبياء (عليهم السلام) بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصنا من دون جميع اهل بيته فقال المأمون والعلماء : جزاكم الله اهل بيت نبيكم عن الأمة خيرا فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا الا عندكم» أقول : تجد مجموعة هائلة من المسانيد حول القضية في تفسير آية التطهير فراجع.

لها أفضل من التقوى : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَمْ نَأْتِهِمْ بَبَيِّنَةٍ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ١٣٣.

فلاهم تعودوا في ماضي الرسالات بالآيات البصرية ، وآية هذه الرسالة الاخيرة بصيرة هي القرآن ، لذلك ما كانوا يعتبرونه آية رسالية ﴿وَقَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ والقرآن أفضل آية من ربه ، ألم تأتم هذه المفضلة الخالدة الناصعة ﴿أَوْ لَمْ نَأْتِهِمْ بَبَيِّنَةٍ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ آيات بصرية تصدقها ، وهم كانوا ناكريها؟ فهم لا يؤمنون بآيات الرسالات ، سواء أكانت بينة ما في الصحف الاولى ، ام بينة الصحيفة الاخرى.

ومن ﴿بَبَيِّنَةٍ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ البشارات التي تضمنتها بحق هذه الصحيفة الاخرى ورسولها <sup>(١)</sup> : ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (٨٧ : ١٩) ومنها ما في كتاب اشعيا «كي بلعجي شافاه وبلا شون احرت يدبر إل ها عام هذه» (٢٨ : ١١) لأنه بلهجة لكنا بشفاه اعجمية وبلسان غير لسانهم يكلم هذا الشعب» فان كل لغة تعتبر غيرها اعجمية ومنها العبرانية ، فالعربية بجنبها اعجمية لكنا ، غير مفهومة للإنسان العبراني.

ومنها القرآن نفسه فانه آية بينة غير مدخولة من الصحف الأولى وكما يروى عن الامام علي (ع) : «فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى وتصديق الذي بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام» <sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا

(١) وقد أوردنا لسردها كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوة».

(٢) نور الثقلين : ٥ : ٥٥٨ ح ٢٢٨ مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) ...

**رَسُولًا فَتَتَّبِعْ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزِيَ ﴿١٣٤﴾**

«قبله» تعني قبل الرسول قضية الذكورة ، وقبل القرآن البينة لمحّة من «آياتك» ولأن محمدا هو القرآن البينة والقرآن بينة محمد فالمعنيان معنيان ، فلو كان المرجع فقط البينة فلتكن «من قبلها» ام فقط هو الرسول فكيف تتبع آياتك من دون القرآن؟. وهذه الآية من براهين عدم الإهلاك واستحالته في عدل الله قبل إتمام الحجة بشريعة الهية ، ولكنها لا تنفي عذابا في الاخرى بتخلف عن حجة العقل والفترة ، إلا أن تنفيه ايضا ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٧ : ١٥) والتفصيل في تحصيل بالغ راجع الى تفسير هذه الآية.

إذا فبعد تمام الحجة وبالغ المحجة والتخلف فالعذاب لا محالة واقع بعد الموت ، وقد يحل قبله إذا فاحش الظلم والطغيان ذكرى للظالمين ، وحفاظا على العالمين ، فسحا لهم بما يعملون لما يأملون ، وكسحا للظلم المدمر لمسرح التكليف : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٤ : ١٦٥).

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (١٣٥)

«كل» منا «متربص» عاقبة امره حيث الإنسان أيا كان يعيش الأمل نتيجة العمل «فتربصوا» أنتم المعرضون عن ذكر الله عاقبة أمركم وأمرنا «فستعلمون» غدا ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ وهم الدعاة الى الله <sup>(١)</sup> ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ بهم الى الله ، أهم أنتم المعرضون ام نحن المؤمنون؟!.

(١) نور الثقلين ٣ : ٤١١ تفسير القمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : والله نحن السبيل الذي أمركم الله باتباعه ونحن والله الصراط المستقيم ونحن والله الذين امر الله بطاعتهم فمن شاء فليأخذ هنا ومن شاء فليأخذ هناك لا تجدون والله عنا محيصا.





## سورة الأنبياء مكيّة

وآياتها اثنتا عشرة ومائة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ  
إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَا هِيََ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ  
مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ  
الْأَوَّلُونَ (٥) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠) وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا

تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا  
يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ  
يُنشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)  
لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ  
مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا  
سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ  
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ  
مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ

### دُونَهُ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

سورة الأنبياء تحمل صورة وضاعة عن ثورة الأنبياء وسيرتهم طول التاريخ الرسالي وما لا قوه في سبيل الدعوة من اذيات وعرقلات وحرمانات ، سردا لاكثر من النصف المذكورين في الذكر الحكيم بأسمائهم ورسولنا العظيم بسماته وبصماته ، فهم . إذا . ثمانية عشر كادريس ونوح وابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومن بينهم كلوط وهارون وداود وسليمان وأيوب وذي الكفل وذي النون وزكريا ويحيى ، وفي ذلك المسرح الفصيح الفسيح تلميحات وتصريحات ان لخاتم المرسلين ما لهم أجمعين وزيادة حتى في صعوبات الدعوة ، ولم يبق من المذكورة اسمائهم في القرآن في السورة إلا ثمانية منهم <sup>(١)</sup> فحق لمن قرءها حبا لها بشروطها ان يرافقهم في جنات النعيم <sup>(٢)</sup> ويسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن <sup>(٣)</sup> .

فقد حملت هذه السورة ذكريات عن اولي العزم الذين دارت عليهم الرحي ، وعمّن ساندوهم في دعواتهم الرسالية ، فحق لها وأحرى ان تسمى سورة الأنبياء .

وميادين البحث فيها هي الأصول الثلاثة : التوحيد والرسالة والمعاد

(١) كآدم وشعيب وهود وصالح ويوسف والياس .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤١٢ ثواب الأعمال باسناده الى أبي عبد الله (عليه السلام) قال : من قرء سورة الأنبياء حبا لها كان كمن رافق النبيين أجمعين في جنات النعيم وكان مهيبا في أعين الناس حياة الدنيا .

(٣) وفي المجمع أبي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : من قرء سورة الأنبياء حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن .

بمختلف صنوف البراهين كما هي دأب القرآن في دعوته العالمية المحلقة على كافة المكلفين بدرجاتهم المعرفية.

ومن أهم ما جاء فيها في التوحيد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ كأعمق برهان فلسفي عريق ، وما جاء في الوسط الرسالي من وحدة الرسالة والأمم طول التاريخ الرسالي : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (٩٢) وبالمآل وحدة الدولة الاسلامية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥) وإشارة الى الرجعة زمن قائد هذه الدولة : ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦) ومن بين ذلك استعراض لفتق الكون بعد رتقه ، الى جانب فتق الشرعة الإلهية بعد رتقها!.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ١.

مطلع قوية الضربات حيث تهز القلوب هذا ، وتعض أصحابها عضا ، إلفاتا لهم الى قريب الخطر ، موقف جاد من الحساب ينتظرهم ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾. «اقترب» حيث الناس منذ نزول القرآن هم اقرب الى يوم الحساب منهم الى بدء الخلق ، فقد مضى اكبر شطري الزمان ، ولان كل آت قريب ، و «ان الدنيا قد ولت حذاء ولم يبق منها الا صباية كصباية الإناء».

فمن الناس من هم في أول الزمان ، ومنهم من هم في وسطه ، ولكن الناس منذ الرسالة الاخيرة هم في آخر الزمان ، ولذلك فنبينا نبي آخر الزمان ، واقترب الحساب مما ينبه الإنسان عن غفلته ، ويوقظه عن غفوته ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

وعلى الوجهين الأخيرين لاقترب الحساب فالناس هم كل الناس منذ خلقوا الى يوم الحساب وكذلك على الوجه الأول في وجه (١).

و «حسابهم» قد يعم البرزخ الى جانب القيامة فانه بداية الحساب وهي نهايته ، فلان الدنيا مولية حذاء وكل آت قريب ، فالحساب . إذا . يعم البداية والنهاية ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ، فالناس . إذا . بين اقترابين لحسابهم ، اقتراب دائب هو لكل الناس ، واقتراب جاد هو لمن يعيش آخر الزمان وهو منذ ابتعث نبي آخر الزمان ، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ككل إلا من يستثنى.

وترى الغفلة وهي عدم الانتباه ، كيف تجامع الإعراض ولزامه الانتباه؟ عليها لأنها غفلة عامدة مقصرة لا قاصرة ، والغفلة المقصرة تنهي صاحبها الى الاعراض بل هي بنفسها إعراض.

فقد يغفل الإنسان ولا يعرض لأنها غفلة وقتية يسيرة قصيرة قد ينتبه عنها ، ولكنه إذا عاش الغفلة وتورط فيها وغرق . كما تلمح له الظرف ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ غارقون فيها . فهم . إذا . «معرضون» إذ لا منفذ لهم الى الانتباه حيث هم غارقون ، ومن اعراضهم عن الله وعن يوم الله وعما يتوجب عليهم امام الله فإعراضا عن حسابهم :

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ٢ .  
 ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (٢٦ : ٥).

(١) إذا أخذ مبدء الزمان زمن الإنسان الاول قبل هذا النسل وسائر الانسال الانسانية ، فقد يصبح هذا النسل عن بكرته في آخر الزمان على احتمال مضي الشطر الأكبر من الزمان قبله.



و ﴿ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ هو كل ما يذكرهم بهم من رجالات السماء وكتابتها ، و «محدث» تخلق على الكل دون إبقاء ، فكلام الله وهو من فعل الله ، محدث أيا كان وأيان ، سواء أكان ذكر القرآن ورسول القرآن ام اي ذكر في اي زمان ومكان ، وما خرافة قدم كلام الله لفظيا ام نفسيا الا هرطقة هراء وسقاطة بالعراء والله منها براء ، اللهم إلا علم الله فانه عين ذاته كقدرته وحياته ، ولكنه ليس ذكرا لسواه ، وانما يحدث ذكرا لسواه لعلمهم يذكرون.

ف «التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وكل كتاب انزل كان كلام الله أنزله للعالمين نورا وهدى وهي كلها محدثة وهي غير الله حيث يقول ﴿أَوْ يُخْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ وقال ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ والله أحدث الكتب كلها ...»<sup>(١)</sup>.

ثم ﴿مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كما تعني ذكريات آي الذكر الحكيم ، النازلة المحدثه تلو بعض ولصق بعض نجوما متقاطرة متتالية ، والناس هنا هم ناس الدور القرآني ، كذلك تعني ذكريات كافة كتابات السماء ، والناس هم - إذا - ناس الأدوار الرسالية كلها دون إبقاء.

(١) نور الثقلين ٣ : ٤١٢ في كتاب الاحتجاج للطبرسي وروى عن صفوان بن يحيى قال قال ابو الحسن الرضا (عليه السلام) لأبي قرّة صاحب شبرمة : التوراة ... فقال ابو قرّة : فهل يفني؟ فقال ابو الحسن (عليه السلام) اجمع المسلمون على ان ما سوى الله فعل الله والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان فعل الله لم تسمع الناس يقولون : رب القرآن ، وان القرآن يقول يوم القيامة : يا رب هذا فلان وهو اعرف به منه قد اظمأت نهاره أسهرت ليله فشفعني فيه ، وكذلك التوراة والإنجيل والزبور كلها محدثة مربوبة أحدثها من ليس كمثله شيء هدى لقوم يعقلون ، فمن زعم انهن لم يزلن فقد اظهر ان الله ليس باول قديم ولا واحد وان الكلام لم يزل معه وليس له بدو وليس بآله.

و «ذكر من بهم» هو الذكر الذي يريهم ، كما ﴿ذَكَرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ هو الذي يذكرهم الرحمن ، وليس المحدث وصفا لذكر خاص ، حتى يفهم منه ان هناك ذكر غير محدث هو القرآن ، وقد استمعوه وهم يلعبون اكثر من كل ذكر سبق ، و ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ تختص كل ذكر بالمحدث دونما استثناء.

﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾ نيبا وكتابا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يتخذونه لعبة كما يلعبون بسائر اللعب فهم عنه معرضون ، فما استماعهم لذكر ربهم إلا اعراضا ولعبا دون تفهم ، وانما هو خوض وتقحم : ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٤٣ : ٨٣) إذ ف ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٦ : ٩١).

وانما صورة بئيسة تعيسة لنفوس فارغة عن الهدى ، مليئة بالهوى ، لا تعرف جدا في حق الحياة فتلهو في اخطر المواقف استهتارا بالقدسيات ، فتغدوا حياتهم عاطلة باطلة ، هينة رخيصة قالحة ! :

﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ٣.

استمعوه ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم يلعبون ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ فليس استماع الوحي ينفع والقلب لاه ، حيث البصر والسمع هما من وسائل بصيرة القلب وسماعه. «و» هؤلاء المناكيد ﴿أَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ف ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل وصفي عنهم ، والنجوى هي الاسرار في القول بحيث لا يتفهمه غير المتناجين فكيف اسروها؟ إنما في اسرارها سر في سر ، سر في مادة النجوى ، وسر في أصلها كيلا يعلمها المتناجي عليهم ، ولكن الله فضحهم فيها بما أذاعها في هذه الاذاعة القرآنية.

وانما اسروها تخوفا من نقصها او نقضها فيفشلوا ، فقد كانت شورى بينهم في ترداد  
القيالات ، لتصبح طبخة ناضجة ناتجة عنها فيبرزوها وقد برزت قبل إبرازها :  
«هل هذا» الذي نراه ونعيشه ردحا من العمر «إلا بشر» دون ميزة عن سائر البشر  
بل هو «مثلكم» في البشرية فلما ذا يتفضل عليكم ، أتفضلونه على أنفسكم دون مرجح  
﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ سحره؟ دعاية خاوية وحجة داحضة ، فلو كانوا يبصرون  
لكانوا مؤمنين ، حيث الآيات الالهية مبصرة بصرا وبصيرة : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا  
هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢٧ : ١٤).

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٤ .

«قال» الرسول جوابا عن نجواهم سرا «ربي» الذي رباني هكذا فلا أساوى او أسامى  
بمن سواي على أية حال ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ أيا كان وكيفما كان ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ .  
﴿وَأَنْ تَجْهَزَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (٢٠ : ٧) «وهو» لا سواه «السميع» كل قول  
«العليم» كل حال . فالأقوال كلها والأحوال كلها حاضرة لديه ، وهو يعلم ألا قول كقوله في  
القرآن دليلا حاضرا . في كل عصر ومصر ما طلعت الشمس وغربت . على انه قول الله لا  
سواه ، فهل بالإمكان لبشر ساحر ، ام وملك ماهر باهر ان يأتي بفعل الله دون اذن ورسالة  
من الله ، إذا فهو إله من دون الله فكيف ينسب فعله الى الله؟!

إذا ف ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ..﴾ في هذا الوجه كقوله في الفرقان : ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ  
السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢٥ : ٦) توجيها لهم الى الأسرار التي يحملها الذكر الحكيم  
ولا يعلمها الا الله ، إذا فهو دون ريب

كتاب الله!

وقد كفت هذه الملحمة الغيبية الكاشفة عن اسرار نجواهم ، حجة عليهم ، دون حاجة الى اجابة عن شبهتهم هذه ، فهل ان علم الغيب هكذا سحر؟ فأين الآية المعجزة!.  
فلقد احتاروا بشأن هذا القرآن متلكئين متلبكين لا يدرون من اي الى اين ، دون ثبات على رأي ولا على صفة له خاصة ، فهم يتمحلون في محاولة دائبة ان يعلوا اثره المنزل لنفوسهم ، المزجر لكيانهم ، في تنقلات وتطفلات :

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾. ٥.

لا فحسب انه ساحر «بل» وادنى منه إذ ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ تخالط من رؤي غير منتظمة ، فلا واقع له إلا أحلام وتخييلات ، ولا نظم له الا أضغاث مختلطات من هنا وهناك دون اي رباط بينها ، فهو . اذن . باطل في بعدية ، بعيد عن الحق ببعديه.  
لا فحسب ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ على الله عامدا دون التباس عليه كأضغاث أحلام ، مترويا في فريته ، محاولا لتحويله محول كلام الله.

ولا فحسب ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ حيث استفاد من موسيقا التعبير منفذا الى قلوب البسطاء الهائمين الى الشعر ، فالى هنا هو لا يليق بمنصب الرسالة لقاعدة المماثلة في البشرية أولا ، ثم الاعمدة الاربعة : السحر . أضغاث أحلام . افتراء . شعر ، وإذا لم يكن كما نقول بل هو رسول كسائر الرسل :

﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ فالآية الإلهية من لزامات الرسالة وقد زود بها الرسل

الأولون ، وليست عنده إلا الكلام ، فان كان آية وليس ، فهو

. إذا . بدع من الرسل ، وان لم يكن آية كما ليس فليس إذا من الرسل .  
 فهؤلاء لم يطلبوا منه اية ، وانما «آية» ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ﴾ حيث تعودوا عبر  
 الرسالات الاولى آيات بصرية ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ  
 اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾ (٦ : ١٢٤) ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى  
 عَلَيْهِمْ...﴾ (٢٩ : ٥١) آية عقلية علمية عبر القرون ، بديلة عن آيات بصرية عابرة غابرة  
 دفيئة مع أصحابها؟! .

ومن الإجابات الناقضة لهذه المتطلبات الزور والغرور ، تدليلا على مدى حقهم في  
 عمقهم :

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦ .  
 فحتى لو اتبع الحق أهوائهم وأرسلت بآية كما أرسل الأولون ما كانوا ليؤمنوا بك ، إذ  
 ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيبها آيات الله وصدها عن سبيل الله وبمراهم  
 آيات الله ترى ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ وهم عارفون تلك الآيات العابرة الغابرة .  
 فلقد تحولت تلكم الآيات في تلك الرسالات الى آية أقوى وأبقى قضية خلودها ،  
 ولأنها تأخذ بأزمة العقول والقلوب في كل الحقول فهي . إذا . أخرى بالتصديق والايمان وهم  
 لا يؤمنون ، فهل إذا أوتوا بآية كما أرسل الأولون ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ .  
 ولان سنة الله جارية على إهلاك من يكذبون بعد ما طبقت اقتراحاتهم ، ﴿وَمَا كَانَ  
 اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾ إذا فهو السبب الأخير في عدم استجابتهم .  
 واما قاعدة الشبهة المكرورة على السنة الناكرين ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾؟

فهي منسوفة بمرور هذه الرسائل كلها في بشر وبشر :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٧.

لقد سبقت نظيرتها في النحل وفصلنا فيها ما استطعنا فلا نعيد ، وهذه تحسم حسما  
ساحقا ركيزة المشكلة الشائكة لهم ، بأنه ليس بدعا من الرسل لا في كونه : بشرا ﴿وَمَا  
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ ولا في كيانه الرسالي آية رسالية ، إلا انها أقوى وأبقى ،  
فكما ان الرسائل واحدة في جذورها ، كذلك آيات الرسائل التي تثبتها ، ولكنها  
درجات كما هم درجات و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ بهذه  
السنة الرسالية ، وهم الذين عاشوا الرسل وآيات الرسائل ، فاسألوهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ﴾ انهم كلهم بشر أمثالكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (١٤ : ١١).  
ف ﴿رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ حجتان تستأصلان جذور الشبهة ، ثانيتهما ان الوحي  
ليس لزام البشرية من حيث هيه ، بل هو فضل من الله ورحمة خاصة لخصوص عباده  
ليهدوهم السبيل.

وهذه كرامة الهية ان يرسل الله الى البشر بشرا ، فكيف تتخذ البشرية ذريعة لتكذيبها  
، بدل أن يتذرع بها الى تهذيبها؟.

اجل ﴿رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ فهم كسائر البشر في كل حاجيات البشرية ، إلا أنه

«يوحى إليهم» فهم بعيدون بسناد الوحي عن أخطاء البشرية :

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ ٨.

ذلك! رغم قولهم ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾

(٢٥ : ٧) وليس هذا الرسول بدعا في بشريته ولزاماتها المادية ، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ هؤلاء الرجال الرسل «جسدا» لا روح له ف ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ ثم ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ لا يموتون ، او لا تموت رسالاتهم وتنسخ شرائعهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ...﴾ (٣٥) فهم بشر كسائر البشر يأكلون مما يأكلون ويموتون كما هم يموتون ، وانما يمتازون عنهم ويفضلون عليهم بما يوحى إليهم.

فلقد كانت الرسل الى البشر بشرا قضية الحكمة البالغة الإلهية لتكون حياتهم الواقعية الملموسة نبراسا لسائر البشر ، تحقيقا لشرعتهم في أنفسهم لتحقيق في انفس الآخرين ، فالكلمة الحية الواقعية هي المؤثرة في قلوب الناس ، حيث تترجمها حياة صاحبها ، وشيجة دائبة بينهم وبين المرسل إليهم.

فأي داعية لا يحس مشاعر المدعوين ولا يحسون مشاعره ، انه يبقى دون تجاوب في دعوته ، مهما تسمّعوا الى أقواله ، حيث الأفعال ادعى لهم واولى بالاتباع من الأقوال وكما يقال «مروا الناس بالمعروف وانهوهم عن المنكر بغير ألسنتكم».

فالقولة التي لا تصدقها فعلة ، قاصرة ام مقصرة ، إنها تبقى على أبواب الآذان ومشارف القلوب دون مزاج معها الا شذرا وسطرا في قلة قليلة ، وهذه تناحر الدعوة العالمية. وهكذا يجب ان يكون كل قائد ، ان يتكون من نفس الوسط الذي يقوده ، عائشا معاشيهم ، ذائقا مذاقهم ، وضائقا بمضايقيهم ، وليقودهم عارفا متطلبا وحالاتهم.

لذلك كله ، وتكرما لقبيل الإنسان يبعث الله رسلهم من أنفسهم

فيجري عليهم كل ما يجري على أنفسهم من ولادة وحياة وموت ، ومن عواطف ونزعات وانفعالات ، ومن آلام وآمال ومن كل ما هو آت من الطبيعة البشرية ، اللهم إلا أخطاء هي لزام عدم العصمة حيث يعصمها علمية وأخلاقية وعملية ودعائية لتتم حجة الله على الناس ، ولا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

هكذا أرسلنا رسلا تترى ، حاملين الحجج البالغة الاهمية ، واعدتهم لإنجاحها في الدنيا

والآخرة :

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ ٩ .

صدق الوعد هو وفقه للواقع حاليا واستقباليا ، فمن الحال : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ

وَعْدَهُ إِذْ أَخَذْتُم مِّنْهُ بِذُنُوبِكُمْ...﴾ (٣ : ١٥٢) ومن الاستقبال : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا

وَعْدَهُ...﴾ (٣٩ : ٧٤) .

وقد يجمعها ككل ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الْأَشْهَادُ﴾ (٤٠ : ٥١) .

وقد تعني هنا «ثم» المراجعة لصدق الوعد . فيما عنت . الصدق اللائح في عواقب

الرسالات هنا ، ومن ثم في البرزخ والأخرى .

وهنا ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ بيان لصدق الوعد في خاتمة الاولى ، ثم الاخرى هي

أحق بالصدق وأخرى : ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي

مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ . ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠ : ١٠٣)

١٠٣) .

وهنا العوان بين المؤمنين الناجين والمسرفين الهالكين ، هم غير مذكورين ، وقد تعنيهم

«من نشاء» مع المؤمنين ، متعة الحياة الدنيا ، ثم لا نجاة لهم كالمؤمنين في الاخرى .



ام ان «من نشاء» هم المؤمنون ، و «المسرفين» يعم غير المؤمنين ككل ، المختلفين في دركات الهلاك كاختلاف إسرافهم ، ومن أسفلها العذاب المستأصل لهم يوم الدنيا ، ومن سواهم من المسرفين هالكون في دركات اخرى هنا ، غب ما تصلهم دركات الاخرى بالاولى.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٠.

«إليكم» في وجه خاص تعني العرب فيأثم الحطة الاولى لنزول القرآن ، ف «ذكركم» كما تعني هنا تذكركم عن غفلتهم ، كذلك تعني ذكرهم بين الأمم حيث نزل القرآن منذ البدء فيهم وبلغتهم ، فالقرآن أينما حلق يذكرهم لمن به تعلق وتحلق ، فلم يكن قبله لهم ذكر وشرف به يذكرون ، إلا عارات وغارات وسرقات وقتلات ودعارات وافتخارات بنكبات!.

فما تملك العرب طول تاريخهم من زاد يقدمونه للبشرية والعالمين أجمعين سوى ذلك الزاد العظيم المكين ، فلو تقدموا بعروبيتهم فحسب ، لا تتقدم عند احد بل وتتهدم ، فما قيمة العروبة دون القرآن ، فلا كلمة لها ولا مدلول في تاريخ الإنسان إلا بما يحملون القرآن ، الذي يتبناه حضارة الإنسان كإنسان!.

فالعروبة فيما سوى القرآن لا تحسب بشيء في تاريخ الحضارات بل هي في دار البوار ، وغير العروبة قد تحسب بشيء فيما سوى القرآن في حضارات زمنية ، مهما كانت خلوا من الروحية ، ثم ومن يحمل القرآن عربيا كان ام أعجميا يملك الحضارتين ، دون تقدم لقبيل على آخر إلا قدر ما يتقدم في حمل القرآن ، وقد سبق العرب طول التاريخ الاسلامي سباقون كثير من غير العرب ومنذ بزوغ الوحي حتى الآن ، ولا شرف هنا وهناك الا على ضوء شرف القرآن تفهما وتعلما وتحلقا وتطبيقا ونشرا.

ومن ثم «إليكم» في وجه عام وكما هو طبيعة الحال في الدعوة القرآنية العالمية ، فيه  
 «تعني ذكركم» التذكر بالقرآن على طول خط الزمان والمكان ﴿وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾  
 (٤٣ : ٤٤) وقوم الرسول كرسول هم العالمون أجمعون : ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾  
 (٤٥ : ٥٠) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٥ : ٩).

ثم القرآن هو ذكر الشرف والمنزلة لمن به تذكر ، وببصائره تبصّر واعتبر وتشرف.  
 فلو نزلت عليهم آية كما أرسل الأولون بديل هذا القرآن ، لم يكن فيها ذكر شرفاً  
 وذكرى ، بل كان لهم في تكذيبها الهلاك كما أهلك الأولون :  
 ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ ١١.

القسم هو كسر الشيء الصلب ، والمترفون الجبارون في هذه القرى كانوا أصلب شيء  
 عيادنا وأمنعه أركاننا!.

وهكذا يتهدد المسرفين الظالمين قصما وهي أشد حركات القطع ، و «من قرية» هي  
 بعض القرى الظالم أهلها المترفون : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ  
 عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١٧ : ١٦).

ثم «قرية» هي الديار والديار ، وهم الأصل في الدمار والقسم يشملهما ، كما  
 الإنشاء هي انشاءهما ابتداء بالديار ثم الديار ، وبالتالي نشهد مشهد حراكهم في القرى  
 المقصومة ببأس الله وهم كالفتران في المصائد :

﴿فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ ١٢.

«يركضون» وأنى لهم ركضة بغير ركزة؟ «يركضون» ﴿سَرَّاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى

**نُصِبِ يُوفِضُونَ** ﴿١٣﴾ وقد تبين لهم بأس الله بما أحسّوه ، ولكن ركضة الياس اركض واركز من ركضتهم فاني يركضون؟.

**﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾** ١٣ .

وهذه مهزلة لهم ومهزلة في تهكم مريّر ، سلبا لركضهم حيث لا ينفعهم ، وإيجابا لرجعهم الى ما أترفوا فيه حيث يسألون تساءل التبكيت من قبل الله ، ام سؤال الحاجة من قبل المستضعفين حيث كانوا يتهاجمون عليكم بالسؤال فتستكبرون عليهم وتحتالون ، ام ليتساءلوكم عما جنيتم عليهم ، ومثلث السؤال تأنيب لهم وتعذيب ، وتعجيز لهم بموقفهم الكئيب .

ولكن اين المجال لجواب وسؤال حين لا مهرب من بأس الله ولات حين مناص؟ فيلجئون . إذا . إلى الاعتراف بما ظلموا :

**﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ١٤ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾** ١٥ .

«قالوا» ولكن الأوان فائت ، والبأس ماقت ، والأمان منه ساقط ، حيث الرب عليهم ساخط **﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾** المظلمة التي بها يعترفون «دعواهم» في تلك الزجاجة المدمرة ما لهم حراك ونفس **﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾** حصادا فيه كل كساد «خامدين» عن نيرانهم التي أججوها مضطربة على المستضعفين .

ويا له من حصيد انساني ليس له رصيد إلا محق وخمود لهم دون إبقاء إلا خامد الحصيد ومن وراءهم عذاب شديد! «وايم الله ان هذه عظة

لكم وتخويف إن اتعظتم وخفتم»<sup>(١)</sup>.

وما الطفح تشبيها ان شبه همود أجسامهم بعد حراكها بخمود النار بعد اشتعالها ، او النبات الحصيد المحرق بالنار ، الخامد بعد الاشتعال ، وهو ابلغ في وصفهم بالهلاك والبوار وانحاء المعالم والآثار لاجتماع وصفي الحصد والإحراق ، و «خامدين» وصف لهم دون الحصيد ، فهم . إذا . حصيد وهم خامدون!.

فكما تحتلى الزروع بالمنجل ، ثم تحرق بعد البيوسة ، ﴿جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدين﴾ .  
وصحيح ان «كم قصمنا» . ﴿فَلَمَّا أَحْسُوا﴾ تعطفان الى ما مضى ، إلا ان لهما مصاديق مستقبلية من أصدقها زمن الدولة الاسلامية العالمية بقيادة الإمام القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف<sup>(٢)</sup>.

(١) نور الثقلين ٣ : ٤١٤ في روضة الكافي كلام لعلي بن الحسين (عليهما السلام) في الوعظ والزهد في الدنيا يقول فيه : ولقد أسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من اهل القرى قبلكم حيث قال : ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ وانما عني بالقرية أهلها حيث يقول : وانشأنا من بعدها قوما آخرين فقال عز وجل : فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون يعني يهربون . قال : ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ . فلما أتاهم العذاب ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدين﴾ وایم الله ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤١٤ الكافي علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون عن بدر بن الخليل الأسدي قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول في قول الله عز وجل : فلما أحسوا بأسنا . الى . «تسألون» قال : إذا قام القائم وبعث الى بني امية بالشام هربوا الى الروم فتقول لهم الروم لا ندخلكم حتى تنتصروا فيعلقون في أعناقهم الصلبان فيدخلونهم فإذا نزل بحضرتهم اصحاب القائم طلبوا الامان والصلح فيقول اصحاب القائم : لا نفعل حتى تدفعوا إلينا من قبلكم منا فيدفعونهم إليهم فذلك .

وذلك من قبيل الجري والتطبيق على المشابه وبأحرى الأشبه.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ١٦.

ان اللعب هو من الباطل للحكيم العليم ، اللهم للجاهل الغافل كالطفولة وسائر المجاهيل ، فانه ما لا حكمة ولا غاية صالحة فيه : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ . أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٣٨ : ٢٨).

فلو انه لم يبعث رسلا مبشرين ومنذرين لكان الخلق لعبا وباطلا ، ولو انه لم يستأصل الظالمين المستأصلين صالح الحياة الدنيوية لكان الشرع باطلا ، حيث هم يظلمون الجو بما يظلمون ، فلا يفسحون مجالا للذين يهتدون او يهدون ، نقضا مستأصلا لدعوة الداعية ، وإبطالا لفاعلية حجج الله البالغة.

فتطبيق توحيد الله بشرعة الله في واقع الرسالة الفعالة ، والجزاء العدل يوم الاخرى . وشذر منها هنا . يبقى مجال الدعوة في الأولى ، كل ذلك من مخلفات ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾.

فالجدّ الجادّ أصيل في خلق الكون وفي تدبير الكون وفي سنّ القوانين كونية وشرعية ، وفي الحساب الدقيق الذي يؤخذون به هنا أحيانا وبعد الموت تماما ، دون اية مساححة ولا لعب باطل.

---

. قوله : ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْتَئَلُونَ﴾ قال : يسألهم الكنوز وهو اعلم بما ، قال فيقولون : ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ بالسيف وهو سعيد بن عبد الملك الاموي صاحب نهر سعيد بالرحبة.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَؤُلَاءِ لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُتَّا فَاعِلِينَ﴾ ١٧ .

فالقصد من اللعب . وهو امر منتظم لفائدة خيالية لا واقع لها . القصد منه هو اللهو وهو الانتهاء عما يحق وله واقع صالح ، وهو الاستيناس عما يزعج ، وذلك حرام في الشريعة الإلهية ككل <sup>(١)</sup> .

ف «لو» على فرض المحال ﴿أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَؤُلَاءِ﴾ لعبا وباطلا ، لم نحتج ان نتخذه في الخلق ، حيث الخلق محتاجون إلينا ، ولسنا بحاجة الى الخلق في هو وسواه ، ف ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَؤُلَاءِ لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ في نفس الذات ، لا من لدن خلقنا ، اكتفاء بالأقل باطلا ﴿إِنْ كُتَّا فَاعِلِينَ﴾ لهوا وباطلا .

فالقائد اللاهي ان امكنه اتخاذه من لدنه ، لا يتخذه من شعبه مخافة العار والدمار ، بل يتخذه من لدنه ، فضلا عن الله الحكيم الغني العليم ، غير المحتاج ان يلعب او يتخذ لهوا من لدنه فضلا عن خلقه ، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ فإنهم بنكرانهم يوم الجزاء يطلون الشريعة الإلهية ابطلا لخلق الكون اجمع ، وان الله اتخذ لهوا من خلقه .

فلسنا نعمل باطلا من لعب ولهوايا كان وأيان :

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ ١٨ .

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ﴾ (٣٤ : ٤٨) قذفا مطلقا

(١) نور الثقلين ٣ : ٤١٥ في الكافي بسند عن عبد الأعلى قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الغنا وقلت : انهم يزعمون ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رخص في ان يقال : جئناكم جئناكم جيئونا جيئونا فقال : كذبوا ان الله عز وجل يقول : وما خلقنا السماء والأرض ...

ومنه ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ فالمحور للقذف الرباني قذف بالحق تكويننا وتشريعنا وجزاء بالعدل وفاقا ، فإذا عارضه باطل قذف به على الباطل ، دمغا له ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ودجما لمنظومة الحق «ولكم» الناكرين ليوم الدين «الويل» كل الويل «مما تصفون» الله خلاف وصفه ، ام شرعة الله خلاف وصفها.

ولان حقيقة القذف هي للأشياء الثقيلة التي يرجم بها على الخفيفة ، والحق ثقيل في ميزان الله والواقع ، فقذفه على الباطل يرض ما صكّه ويدمغ ما مسّه ، إصابة دماغ الباطل فيأهلاكا عن بكرته ، حيث الدماغ هو أهلك مقتل.

فالحق . إذا . قذيفة في يد القدرة الإلهية . على طول الخط . يقذف بها على الباطل فيشق دماغه ، وهكذا مجيء الحق وزهوق الباطل ، هنا حجة بالغة في صراع ، وفي الأخرى تماما دون إبقاء ف «ليس من باطل يقوم بإزاء حق إلا غلب الحق الباطل» <sup>(١)</sup> و «ما من أحد الا وقد يرد عليه الحق حتى يصدع قلبه قبله ام تركه» <sup>(٢)</sup> ، فان الله الحجة البالغة . ذلك ! طالما يبدو الباطل أحيانا منتفشا فاشيا فاحشا كأنه غالب ، ويبدو فيها الحق منزويا خاويا كأنه مغلوب ، ولكنها ما هي إلا أياما قلائل إملاء لأهله . واملا لا ، ليزداد وإثما ولهم العذاب اليم.

فإذا وصل الباطل حيننا الى قمة الزهو والإضلال فهنالك دمغ بالحق

(١) نور الثقلين ٣ : ٤١٦ في محاسن البرقي بسند عن أبي عبد الله (عليه السلام) : .... وذلك قول الله : بل نقذف ...

(٢) المصدر عنه (عليه السلام) يا أيوب ما من احد .... وذلك ان الله يقول في كتابه : «بل نقذف ...».

دون إمهال ف ﴿كَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ..﴾ والى ان تؤسس الدولة الاسلامية الكبرى بقيام القائم بالعدل المهدي من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وخسر هنا لك المبطلون : «إنا للنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد» ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٢١ : ١٠٥).  
﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ١٩.

وإذا كان له من فيهما فباحرى له ما فيهما ، و «له» تعني انحصار الملك والملك الحقيقين الدائبين فيه ، وانحسارهما عن سواه.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ هم المقربون إليه معرفيا وعباديا دون قرب زماني ولا مكاني ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ بل يستحسرون فيها ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ عينا وكالا.  
﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ وهذه العندية لا تختص بالملائكة ، فأحرى منهم فيها الرسل الكرام ولا سيما اولوا العزم منهم ، وامامهم العظيم اقرب المقربين عند الله وأسبق السابقين وأول العابدين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم المحمديون من عترته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين.

وتلك السلطة المطلقة المستغرقة لكل كائن ، تحيل اي تفلت عن ارادته ، واي تلفت عن مشيئة في أية نشأة من النشآت ، ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ (٥٣ : ٢٥).

ولماذا المقربون هنا يختصون بالذكر؟ لأنهم نبراس العبودية والخنوع لمن سواهم ، حيث ينيرون الدرب عليهم ، فهم الأدلاء الى الله ، المكرمون عند الله.



ثم وطبيعة الحال فيمن عند سائر الملوك ان يسمح له في بعض التخلفات خوفا منهم او إكراما لهم حيث التقرب فيهم تقارب وتجارة بين الملوك وإياهم. ولكن «من عنده» يزدادون له طوعا كلما تقربوا ، وتزداد مسئولياتهم عنده ، دون تسامح عنهم في صغيرة او كبيرة ، حيث الحاجة هنا هي من ناحية واحدة ، وليست مزدوجة تجارية.

فكل عبد من العبيد يستحسر لوقت ما عن الخدمة ، منقطعا بالإعياء ، وعباد الله الذين هم عنده انما يستحسرون عن ترك العبادة ، ولا يستحسرون على أية حال عن عبوديته تعالى ، حيث الشغف البالغ والهيمان الخالق حصراهم طول الحياة في العبودية دون تكلف فيها ولا تخلف عنها :

### ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ ٢٠.

فهم مستيقظون لتسبيحه وان كانوا نوما فضلا عن يقظتهم ، ف «لا يفترون» فتورا وإن لفترة قصيرة ما داموا هم احياء ، ثم في البرزخ والاخرى تقوى تسبيحاتهم وتزداد حيث الموانع زائلة والدوافع كاملة فهم «مسبحون لا يسأمون ولا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان» (١).

---

(١) نهج البلاغة السيد الشريف الرضي عن الإمام علي (عليه السلام) وفي نور الثقلين ٣ : ٤١٧ عن كتاب إكمال الدين وتمام النعمة عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه سئل عن الملائكة أينامون؟ فقال : ما من حي الا وهو ينام خلا الله وحده والملائكة ينامون فقلت : يقول الله عز وجل : ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾؟ قال : أنفاسهم تسبيح.

وترى كيف «لا يفترون» عن تسبيحهم ولهم اقوال واعمال دون ذلك ، فإنهم رسل  
﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا﴾ برسالات تكوينية وتشريعية عدة؟.

علّه لان لهم مقام جمع الجمع كما لسائر الرسل بما جمع الله لهم الشتات ، وان  
رسالاتهم كلها تسبيحات لله قالوا وحالا وافعالا ، فليس «يسبحون» تختص بالقول فقط ،  
بل هو ادنى درجاته ، حاكيا عن حالهم وفعالهم ، فالمسبح بهما دون قال مسبح لله ، والمسبح  
بالقال دونهما غير مسبح لله ، والجمع بين الثلاث أجمل وأكمل ، أن يخلق تسبيح الله كل  
كيان الكائن فيصبح بكنهه تسبيحا لله.

وليس فقط «يسبحون» الله تنزيها في لفظة قول وحال وعمل ، بل ويسبحونه عن ان  
تليق تسبيحاتهم لساحة قدسه معرفة وعبودية وكما يروى عن أفضلهم وأعلاهم الرسول محمد  
(صلى الله عليه وآله وسلم): «ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك» معترفين  
بالتقصير القاصر عن بلوغ تسبيحه!.

اتخذوا آلهة هم يخلقون ويدبرون أمورهم فيعبدون؟ :

﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ ٢١.

الإنشاء هو الإحياء بعد الموت ، كما هو إحياء بدائي لا عن موت ، و «من  
الأرض» كما تتعلق ب «ينشرون» احياء منها كما خلقوا منها ، كذلك تتعلق بمقدّر ككائن  
: آلهة كائنة من الأرض ، هم أنفسهم منها ومنها ينشرون الأموات ، وتعلق ثالث ب  
«اتخذوا» و «آلهة» في هذا التعلق هي الأصنام والأوثان ، فمن ذا الذي ينشرهم أنفسهم ،  
وحين لا يقدر على نشر أنفسهم فكيف ينشرون سواهم.

فكما الله إله الإنشاء ، كذلك إله للإنشار وبأحرى ، فلتقطع آمال المشركين الذين يحسبون لهم آلهة من الأرض هم ينشرون ، فيسأخونهم فيما يعلمون ، ف ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .

ولئن سئلنا : كيف ينكر عليهم إنشارا هم ناكروه قائلين ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ مستبعدين ان يحيها الله وهو الخالق لها ، فكيف يعتقدونه في أصنام ما هي الا جمادات بلا أرواح؟ .

والجواب : عليها حجة إلزامية عليهم بما التزموا من عبادتهم لهذه الأوثان ، ولزامها الثواب عليها فعلا والعقاب تركا ، وليس شيء منهما في هذه الحياة الدنيا ، فلتكن حياة اخرى فيها الجزاء ، فهل ان آلهة من الأرض هم ينشرونهم فيجزون بما ينشرون؟ . وكيف «هم ينشرون» وهم يعجزون عن إنشار أنفسهم فأئى تؤفكون؟ . ام كيف «هم ينشرون» والله خلقهم ومن يعبدون ، أليس الذي بدء الخلق بأحرى ان يعيده : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾؟! .

ومن الدليل . القاطع القاصع القامع ، المستمد من جوهرة الكون وواقعه . على وحدة الالهية في كافة الحقول إنشاء وإنشارا :

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢٢ .

آية منقطعة النظير في برهنتها الكاملة الشاملة ، الماحقة كل فروضات تعدد الآلهة ، نقدّم تفسيراً لمفردات لها ، ثم نخوض في البحث عن مدلولها .

ف «لو» تحيل مدخولها وبأحرى في المسائل العقلية ، إحالة جوهرية

لا تقبل تحولاً الى غير المحال على أية حال.

و «كان» تامة تعني اصل الكينونة ، ضاربة الى اعماق الماضي ، أزلية لا أولية ، فإذا لم تكن فيهما آلهة إلا الله منذ الأزل ، فباحرى بعده حتى الأبد ، إذا فهي حجة لسرمدية الإله الواحد دون شريك ، ثم «إلا» هنا تعني الغير لا الاستثناء ، حيث يعني . إذا . «لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله لفسدتا» والنتيجة «لو كان معهم الله لم تفسدا»!.

فانما هي بمعنى «الغير» فتعني «لو كان فيها آلهة غير الله ..».

ومن ثم «فيهما» هنا لا تعني مكاناً من السماوات والأرض لله والآلهة إلا الله ، فان الله هو الذي مكّن المكان فليس له مكان ، وكان إذ لا كان ، فلا تعني «فيهما» إلا ما عنته ﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ ان يكون الكون ظرفاً لفاعلية الألوهية دون ذاتها. وهنا حوار حول هذه الحجة الباهرة نطرحها بكل دقة وإمعان ، لكي نحصل على حق

المعنى منها دون تزعم وتلكع :

١ . المشركون لم يكونوا يدعون ان هناك آلهة غير الله كما الله ، يخلقون كما يخلق ويميتون كما يميت ، فما هي المغزى من ذلك التنديد الشديد وعرض الاستحالة في فرض مرفوض عند المشركين؟.

هذه الآية تحلّق . حجة بارعة . على غير الموحدين أيا كانوا ، من مشركين وثنوية وثالوثية يعدّون ذات الإله بكل شؤون الألوهية.

٢ . فرض ﴿إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ انما يفرض «لفسدتا» من فساد السماوات والأرض ، إذا كانا مختلفي العلم والحكمة ، واما الالهة المتوافقة في الحكمة والتدبير فلا اختلاف في ربوبياتهم ، فوحدة النظام في واقع الكون لا تدل إلا على وحدة التنظيم ، وهي أعم من وحدة الناظم ، ام تعدده بوحدة

التنظيم ، ف ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ لم تفسدا الا على فرض الاختلاف بينهم في التنظيم!.

ولا يرده ان الحكمة هي الموافقة للقوانين العقلية المأخوذة من واقع الكون ، التابعة له ، لكن الرب المدبر فعله هو نفس نظام الواقع ، المتبوع للقوانين العقلية والعلمية ، فكيف يكون فعله تابعا لتلك القوانين؟.

حيث يرده ، ان صالح الحكمة الالهية هو الذي يصلح واقع الكون ، وصالح الكون آية لتلك الحكمة ، وليس من المفروض ان تكون هذه الحكمة الصالحة من اله واحد ، فقد تكون من آلهة متوافقة في صالح الحكمة ، وكما ان المدبر الواحد فعله نفس النظام ، كذلك غير الواحد!.

فاحتمال تعدد الآلهة لا يجتثه واقع النظام في الكون عقليا وعلميا ، إذ يحتمل ان يكون من منظمين كثير ، متوافقين في حكمة التنظيم ، كما يحتمل انه من منظم واحد. والجواب الصالح عن هذه المشكلة الشائكة أن «لفسدتا» لا تعني فقط فساد السماوات والأرض بفساد التدبير نتيجة الاختلاف والتناحر ، بل وكذلك «لفسدتا» الآلهة إلا الله ، وهي فساد الألوهية فيهم كلهم ، ام فساد تعددهم!.

فلا يخلو تعدد الألوهية عن فساد في زاوية الكون ، او المكوّن ، ام تعدد المكون والمدبر ، إذا فهو ثالث الفساد تحليقا على كافة فروض التعدد ، في اصل الذات ام في ربوبيات ، ام في الخلق والأمر ، ام ضغث من هذا وضغث من ذلك ، فان وحدة النظام بهذه البراعة والبراعة تشي بوحدة المنظم ذاتيا وصفاتيا وفعاليا.

فلو تعددت الذوات لتعددت الإرادات فتعددت النواميس وتناحرت و «فسدتا»!.

ولو اتحدت الإرادات رغم تعدد الذوات ، فلا تخلو هذه الذوات من كونها مشتركة في كافة الذاتيات والصفات؟ فقضيتهما إذا وحدة الإرادات! فأين التعدد إذا لا مايز بين هذه الذوات ، فإذا «لفسدتا» عن تعددها ، فلا الوهية في هذا البين صالحة لأصل التكوين فضلا عن نظامه!.

ولو اتحدت فيما قضيته وحدة الإرادات ، واختلفت فيما لا رباط له بها ، اختلافا ذاتيا ام صفاتيا ، فلنتساءل ، هل ان هذه الذاتية او الصفاتية المائزة بينها هي كمال مطلق ، ام محدد ، ام هي نقص؟ فليكن كل فاقدا لبعض ما يجده الآخر أيا كان ، وهذا تخلف عن اللامحدودية في الكمال التي هي لزام الألوهية ، فالكل - إذا - محدود مركب مما به الاشتراك وما به الامتياز ، والكل يفقد ما يجده الآخر من كمال ، او يجد ما ليس في الآخر من نقص ، إذا فكلّ منهم محدود ناقص ف «لفسدتا» فسادا في ذات الألوهية وصفاتها! ففسادا في الكون وكسادا عن بكرته حيث الناقص في ألوهيته مألوه وليس خالقا ، إذا فلا خلق ، وواقع الخلق المنتظم دليل ان لا اله الا الله ، ففرض آلهة الا الله يفرض فساد الكون في أصله او نظامه ، وفساد كل الآلهة او فساد التعدد ، فينقلب فرض التعدد الى حتمية الوحدة ام الفساد في الكون في بعدية وفي الآلهة.

وتأنيث ضمير التشنية إنما هو باعتبار شموله للسموات والأرض كما يشمل الالهة إلا الله.

ذلك وكما نجد على ضوء هذه الآية روايات محكمة حكيمة فيها سرد شامل لم احتملات تعدد الآلهة والقضاء الصارم الحاسم عليها :

فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) في حوار مع الزنديق قوله : لا يخلو قولك انهما اثنان من ان يكونا قديمين قوين او يكونا ضعيفين ،

أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا ، فان كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه وينفرد بالتدبير؟ .

وان زعمت ان أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت انه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني ، وان قلت إنهما اثنان لم يخلو من ان يكونا متفقين من كل جهة او مفترقين من كل جهة ، فلما رأينا الخلق منتظما والفلك جاريا واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على ان المدبر واحد .

ثم يلزمك ان ادعيت اثنين فلا بد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما فليزملك ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهما فرجتان فيكون خمسة ثم يتناهى في العدد الى ما لا نهاية في الكثرة ... (١).

وفي رواية اخرى «وإذا بطل هذا ولم يكن بينهما اختلاف بطل الاثنان وكان واحدا ..» (٢).

فلان فساد الألوهية يقتضي نفي الإله ، وصالح الكون المنسق المنتظم بتنسيق واحد دليل صالح الألوهية ، إذا فليس فيهما آلهة الا الله الواحد القهار.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ فالله الذي هو صاحب عرش الخلق والتدبير واحد لا شريك له ، كما تدل عليه وحدة النظام من ناحية ،

(١) بحار الأنوار ١٠ : ١٩٤ . ١٩٥ عن التوحيد باسناده الى هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله (عليه السلام) وكان من قوله (عليه السلام) : ....

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤١٨ عن تفسير القمي واما الرد على الثبوتية ...

وفساد التعدد من ناحية الذات والصفات من اخرى.

ومما يصفون «ربّ العرش» بجنب ان له شركاء ، انه جالس على عرشه كسائر الجلوس على العروش ، ولكن الألوهية نفسها ثم الربوبية للعرش ، هما يزيغان هذه القولة الزائفة ، فهو الذي يربي العرش ويحملة دون ان يحمله العرش!.

ومن ذلك سؤاله عما يفعل كأنه يخطل او يجهل او يغفل ولكنه :

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ٢٣.

طالما اصحاب العروش من الخلق يسألون عما يفعلون لنقص في التقدير والتدبير بقصور او تقصير ، حيث تملكهم العروش ويملكهم سوء التدبير ، ولكن رب العرش وهو رب كل شيء ، انه عليم حكيم قدير ، لا يفعل ما يفعله إلا عن حكمة وتدبير ، رحمة ناصعة بارعة على كل صغير وكبير ، فلما ذا يسأل إذا؟ سبحان العلي الكبير! اجل ، ان رب العرش ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ .

«لأنه لا يفعل إلا ما كان حكمة وصوابا وهو المتكبر الجبار والواحد القهار فمن وجد في نفسه حرجا في شيء مما قضى كفر ومن أنكر شيئا من أفعاله جحد» <sup>(١)</sup>.

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٤١٩ في كتاب التوحيد باسناده الى عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد الجعفي قال قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) يا بن رسول الله انا نرى الأطفال منهم من يولد ميتا ومنهم من يسقط غير تام ومنهم من يولد أعمى وأخرس وأصم ومنهم من يموت من ساعته إذا سقط الى الأرض ومنهم من يبقى الى الاحتلام ومنهم من يعمر حتى يصير شيخا فكيف ذلك وما وجهه؟ فقال (عليه السلام) : ان الله تبارك وتعالى اولى بما يدبره من امر خلقه منهم وهو الخالق والمالك لهم فمن منعه التعمير فانما منعه ما ليس له ومن عمره فانما أعطاه ما ليس له فهو .



ففيما يسأل لأي علة صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن (عليهم السلام) فالجواب : لأن الله تعالى جعلها في ولد الحسين ولم يجعلها في ولد الحسن والله لا يسأل عما يفعل <sup>(١)</sup> وكما «جعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى ولم يكن لأحد أن يقول لم فعل الله ذلك فإن الإمامة خلافة الله عز وجل ليس لأحد أن يقول : لم يجعلها في صلب الحسين دون صلب الحسن ، لأن الله هو الحكيم في أفعاله ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

فمن الهراء هذه وتلك ، وفي العراء قبلة من قال : قطع الله النبوة عن صلب يوسف لأنه لم يحترم أبويه ولم ينزل من العرش حتى خروا له سجدا ، تقدما لإخوته الحساد الفساق عليه وهو نبي مرسل من المخلصين!.

وعلى أية حال فسؤال المسؤولية التجهيل والتخجيل منفي عن ساحته ، طالما سؤال التعلم والتبجيل مرضي عند سماحته وقد أمر أول العابدين ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ويؤمر كل عبد من عباد الله ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾.

ليس هناك ضابطة عادلة حاکمة على الله تنضبط بها افعال الله تعالى ،

---

. المتفضل بما أعطى وعادل فيما منع ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال جابر فقلت له يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف لا يسأل عما يفعل؟ قال : لأنه ...

(١) المصدر في عيون الاخبار باسناده الى محمد بن أبي يعقوب البلخي قال سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) فقلت : لأي علة ...

(٢) المصدر في كتاب الخصال عن المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) حديث طويل وفيه فقلت يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد الحسن وهما جميعا ولدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسبطاه وسيدا شباب اهل الجنة؟ فقال (عليه السلام) ان موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين فجعل الله النبوة في صلب هارون ....

فيخضع لها في أفعاله حتى يسأل ، فانه الضابط لكل ضابطة عادلة وفاضلة ، وكل أفعاله صادرة عن حكمة وفضيلة متعالية.

فطالما النبيون وهم معصومون يسألون هل طبقوا واجباتهم الرسالية وماذا أجيبوا : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ (٥ : ١٠٩) ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧ : ٦) فليس الله ليسأل عما يفعل وهم يسألون سؤال عدل ، ف «إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق سألهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم»<sup>(١)</sup>.

وترى «هم يسألون» هم الذين يعبدون من دون الله؟ ومنهم الأصنام والأوثان ، لا حول لها ولا حيلة فيما يفعل بها! طالما المسؤولية الكبرى على طواغيتهم.

بل هم المكلفون أجمعون ، المرسل إليهم والمرسلون ، طالما السؤال يختلف حسب اختلافهم عصمة او قصورا او تقصيرا ، وهذا هو الصحيح ، فان ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ هي من اختصاصات الربوبية ، فكل من يؤهل للسؤال سواء يسأل دون إبقاء ، هل كان فعله موافقا للحكمة والمصلحة الواقعية؟.

ولكن الله . وهو خالق الحكمة والمصلحة . هو فعله حكمة ومصلحة ، نبراسا ومقياسا لكل فعل من كل فاعل ، فلا يسأل . إذا . هل إن فعله يوافق الحكمة والمصلحة ، فانه هو الفاعل فيها والحاكم بها وليس

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٢٠ في ارشاد المفيد قال رحمه الله وقد ذكر أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) ومما حفظ عنه (عليه السلام) من موجز القول في العدل قوله لزرارة بن أعين : يا زرارة أعطيك جملة في القضاء والقدر ، قال له زرارة نعم جعلت فداك قال : إذا كان يوم القيامة ....

محكوما بما كأنها من فعل غيره إلها أو مألوها.

فالحق الصالح في فعله ليس لموافقته الواقع ، حيث الواقع الصالح هو من فعله ، بل الحق في اي واقع انما يقاس بفعله او قوله ، دون ان يقاسا بواقع هو من فعله!.

فمن هذا الذي يسأله عما يفعل ، أإله معه ام فوقه؟ وهو الله الواحد القهار! ام مألوه مسئول عن فعله؟ ولماذا يسأل ، اللهم الا تعلمنا وتفهما ، لا تعنتا وتجهيلا!.

وفي «لا يسأل» إنشاء حاسما بصيغة الإخبار استئصال لكل سؤال عن جناب قدسه على اية حال ، فهم بين ساكت مستسلم ، وسائل فاشل قاحل.

كما «وهم يسألون» تحلق المسؤولية على كل من يصح عنه سؤال مهما كان من اقرب المقربين واسبق السابقين.

ثم السؤال «عما يفعل» قد يكون سؤالاً عن سببه؟ وهو خالق الأسباب ومسببها ،

ف ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

او سؤالاً عن غايته؟ وهو مغيي الغايات! ولا غاية له من فعله ترجع الى صالحه ذاتيا

ام صفاتيا! بل ان فعله غاية لكل صالح من افعال العباد! وغايته هي الرحمة على العباد!.

او سؤالاً عن حكمته ومصلحته؟ وهو خالقهما ومقررهما بفعله وقوله!.

او سؤالاً عن «كيف فعل» اكتناها لواقع فعله واراوته؟ وهو سؤال ساقط لاي سائل

إذ لا يحيطون به علما وهو بكل شيء محيط!.

وعلى أية حال فكل سؤال «عما يفعل» غير مسموح «فويل لمن قال

## كيف وكيف»<sup>(١)</sup> ، اللهم الا سؤال التفهم فيما يصح ، وسؤال الحاجة كما

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١٦ . اخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان في بعض ما انزل الله في الكتب : اني انا الله لا اله الا انا قدرت الخير والشر فطوبى لمن قدرت على يده الخير ويسرته له وويل لمن قدرت على يده الشر ويسرته له اني انا الله لا اله الا انا لا أسأل عما افعل وهم يسألون فويل لمن قال كيف وكيف» .

أقول التقدير لا يعني التسيير ، بل هو تقدير لكل حسب ما يناسب عقيدته وطوبته وفعلته بمشيئة . وفيه . اخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ميمون بن مهران قال لما بعث الله موسى وكلمه وانزل عليه التوراة قال : اللهم انك رب عظيم لو شئت ان تطاع لأطعت ولو شئت ان لا تعصى ما عصيت وأنت تحب ان تطاع وأنت في ذلك تعصى فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله اليه اني لا اسأل عما افعل وهم يسألون .

وفيه اخرج ابن أبي حاتم والبيهقي عن نوف البكالي قال قال عزيز فيما يناجي ربه يا رب تخلق خلقا تضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال له يا عزيز اعرض هذا فأعاد فقليل له لتعرضن عن هذا والا محوتك من النبوة اني لا اسأل عما افعل وهم يسألون وفي لفظ آخر : ان عزيزا سأل ربه عن القدر فقال سألتني عن علمي عقوبتك ان لا أسميك في الأنبياء

أقول وكما نراه غير مذكور في القرآن الا ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ...﴾!

وفي آخر يذكر القصة عن موسى وفي آخرها «فانتهى فلما بعث الله عزيرا وانزل عليه التوراة بعد ما كان رفعها عن بني إسرائيل حتى قال من قال انه ابن الله قال : اللهم انك رب عظيم ... فأوحى الله اليه اني لا اسأل عما افعل وهم يسألون فأبنت نفسه حتى سأل ايضا فأوحى الله اليه : اني لا اسأل ... فأبنت نفسه حتى سأل ايضا فقال : أفتستطيع ان تصرصره من الشمس قال لا قال أفتستطيع ان تحيي بمكيال من ريح ، قال لا قال أفتستطيع ان تحيي بمثقال من نور قال لا قال أفتستطيع ان تحيي بقرط من نور قال لا قال فهكذا ان لا تقدر على الذي سألت اني لا اسأل عما افعل ، وهم يسألون اما اني لا اجعل عقوبتك الا ان أمحو اسمك من الأنبياء فلا تذكر فيهم فمحي اسمه من الأنبياء فليس يذكر فيهم وهو نبي فلما بعث الله عيسى ورأى منزلته من ربه وعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل .. قال اللهم انك رب عظيم ... فأوحى الله اليه .

يصح فانه ممنوح ، وهذا الأخير سؤال ان يفعل لا عما يفعل ، والاول سؤال عما يفعل لصالح التفهم الذي يصح.

و «عما يفعل» يعم كل أقواله وأفعاله تكوينية وتشريعية ، فلو انه لم يبعث رسلا واهلكهم بظلمهم لكانت لهم عليه سؤال وحجة : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٤ : ١٦٥) ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (٢٠ : ١٣٤) ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٧ : ١٥).

فقد قطع بعده وحكمته وفضله كل سؤال عنه عن كل سائل ، فليس ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ استبدادا واستكبارا أعمى ، هو في العين قذى وفي الحلق شجى.

وما أسئلة الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ والنبين كنوح ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ إلا استفهاما دونما استفحام وإلا لكان فسوقا منهم او كفرا ، اجلهم الله من ذلك إجلالا كريما.

اجل ! وان ارادة الله طليقة لا يحدها تحدّد أم تحدّد إرادة اخرى ، لأنها منطلقة من قدرة قاهرة حكيمة ، فهو الذي يضع الحدود بتلك الارادة الطليقة فكيف تحدّد إذا او تحدّد ، اللهم إلا تحديدا من عنده كما يناسب ساحة الربوبية.

---

. اني لا اسأل عما افعل وهم يسألون وأنت عبدي ورسولي وكلمتي ألقيتك الى مريم وروح مني خلقتك من تراب ثم قلت لك كن فكننت لئن لم تنته لا فعلن بك كما فعلت بصاحبك بين يديك اني لا اسأل .. فجمع عيسى من تبعه وقال : القدر سرّ الله فلا تكلفوه!

لا نقول ما يتقوله شذر من الناس النسناس ، انه طليق الارادة حتى في الظلم ، فينكرون وجوب العدل عليه بما كتبه على نفسه ، ام واقعه في فعله.

انما نقول انها طليقة عن دوافع ونوازع خارجية فانها كلها من فعله ، ولكنه لا يفعل إلا الصالح لساحة الربوبية باختيار ، دون منعة عليه باضطرار ، سبحانه العلي الحكيم الجبار!.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ٢٤.

فواقع الكون ببرهانه الساطع على وحدة الإله ، خلو عن آلهة إلا الله ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً...﴾ اتخذوا جارفا ، اختلاقا لما لا يكون ولن يكون.

فالبرهان على اصل وجود الإله وعلى وحدته قاطع قاصع ، ولا ينازعه اي برهان ينقضه او ينقصه ، ف «قل» للذين يتخذون من دونه آلهة ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

وقد قيل للإمام الرضا (عليه السلام) أتقول ان الله واحد؟ قال : قولك انه اثنان دليل على انه واحد ، لأنك لا تدع الثاني إلا بعد إثباتك الواحد ، والواحد متفق عليه والثاني مختلف فيه» (١).

وما أحلاه برهانا على من ليس له على الثاني برهان ، اضافة الى سائر البرهان عقليا وكونيا وفطريا على التوحيد ، كما و «هذا» الحق الحقيق بالاتباع ﴿ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين بالله الموحدين ﴿وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾ رسلا

(١). التوحيد للصدوق عن الامام الرضا (عليه السلام) انه سئل : أتقول : ...

ومؤمنين ، فلم يأت رسول ثابت الرسالة يقول غير ما نقول ، اجماعا نقليا رساليا هو من اعمق الادلة العقلية على التوحيد ، فان كان في الكون إله آخر ام الهة اخرى فمن هو رسولهم ، وما هي آثارهم الربوبية بجانب هذه الربوبية الشاخصة الشاملة المحلقة على الكون كله! و «ذكر» في «من معي . و . من قبلي» يعم كتاب الذكر ، ونفسه في أنفسهم الناتج عن ادلة انفسية وآفاقية ، والذكر الاول من الثانية ، وبصيغة اخرى تعمهما «يعني بذكر من معي ما هو كائن ويذكر من قبلي ما قد كان»<sup>(١)</sup>.

وقد يعني «هذا» : القرآن ، فانه يحمل ذكر ال «من معي» وهم المسلمون اجمع «من قبلي» حيث يذكر ذكري سائر كتب السماء دون إبقاء وكلّ محتمل والجمع أكمل وأجمل. إذا ف ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ طلب لبرهان على ما يدعون بعد البرهان على توحيد الله ، ولأنهم ليس لهم برهان ينقضه أصبح توحيد الله مزوّدا بعدم برهان على التعدد بعد البرهان على التوحيد ونفي العدد!.

وهو الأصل في حوار الامام الرضا (عليه السلام): «قولك انه اثنان دليل على انه واحد لأنك لا تدعو الثاني إلا بعد إثباتك الواحد والواحد متفق عليه والثاني مختلف فيه»! ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ : دليلا ومدلولا ، فلا يميزون برهانا عن ادعاء ولا ادعاء عن برهان ، وهو جهل الجهالة المقصرة ، لا قاصرة غير مسئولة ، وهناك قلة مضللة يعلمون الحق وهم منكرون ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ وهم حملة مشاغل الضلالة والمتاهة.

(١). المجمع في الآية قال ابو عبد الله (عليه السلام) : ....

فالأكثرية من المشركين ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ جهلا فاتكا ، والأقلية المسيرة لهم ﴿يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ، واين اعراض من اعراض؟! .  
وليس عدم العلم بالحق يدفع جاهله الى الاعراض عنه إلا إذا تعرّق فأصبح كأنه علم ببطلان الحق ، حيث «يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجئان معا فهنا لك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى» <sup>(١)</sup> ثم ومن ذكر من قبلي :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ٢٥ .  
﴿وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٤٣) :  
٤٥) فالرسالة الإلهية الموحدة تخلق على تاريخ الرسالات كلها دونما استثناء ، أفلا يكفي ذلك الوحي المتواتر المتواصل من عند الرحمن أنه لا إله إلا هو تصديقا لوحيه ، ام لا يكفي عدم إرسال رسول من قبل من يتخذونهم آلهة من دون الله ان ليسوا هم بآلهة إلا في خضم الخيال والادعاءات الجوفاء الخواء؟ .

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ ٢٦ .  
وهذه القولة الجاهلة نجدها بين فريق من اهل الكتاب هودا ونصارى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ

(١) خطبة لعلي (عليه السلام) بدايته : «انما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا فلو ان الحق خلص لم يكن للباطل حجة ولو ان الباطل خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ... (اصول الكافي . وفي النهج باختلاف لفظي يسير).



بِأَفْوَهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُمْفَكُونَ ﴿٩ : ٣٠﴾.

كما ونجدها بين أقوام من المشركين ، بل وقد انتقلت هذه المزعمة منهم الى جماعة من الكتابيين كما إشارات له «يضاهئون» ، والجواب هنا كلمة واحدة إضرابا عما يقولون ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ وهي تحصر مزعمة اتخاذ الولد بالعباد المكرمين ، دون سواهم مثل الجنة وسواهم : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (٣٧ : ١٥٨) وكذلك مثل سائر أبناء الله عند المشركين في ثلوثهم المرتسم عندهم برسومات عدة.

ف ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ وهم المخلصون المخلصون من عباد الله الصالحين ، ملائكة أو نبيين أو أئمة معصومين»<sup>(١)</sup>.

---

(١). نور الثقلين ٣ : ٤٢١ في تفسير القمي في الآية قال : هو ما قالت النصارى ان المسيح ابن الله وما قالت اليهود عزيز ابن الله وقالوا في الأئمة ما قالوا فقال الله عز وجل : سبحانه . انفة له . بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» يعني هؤلاء الذين زعموا انهم ولد الله ....

وفيه في الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل وفيه : والزعم الحجة بان خاطبهم خطابا يدل على انفراده وتوحيده وبأن لهم اولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله فهم العباد المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامرهم يعملون ، قال السائل من هؤلاء الحجج؟ قال : هم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن حل محله أصفياء الله الذين قالوا : ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ الذين قرعهم الله بنفسه وبرسوله وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منا لنفسه.

وفيه في الخرائج والجرائح في أعلام امير المؤمنين في روايات الخاصة : اختصم رجل وامرأة اليه فعلا صوت الرجل على المرأة فقال له علي (عليه السلام) اخسأ . وكان خارجيا . فإذا رأسه رأسه الكلب فقال له رجل يا امير المؤمنين صحت بهذا الخارجي .

«الدعاة الى الله والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»<sup>(١)</sup>.

وقد يروى عن أكرم عباد الله المكرمين بعد أول العابدين «ان الله اختص لنفسه بعد نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) من بريته خاصة علاهم بتعليته ، وسما بهم الى رتبته ، وجعلهم الدعاة بالحق اليه ، والأدلاء بالرشاد عليه ، لقرن قرن وزمن زمن ، انشأهم في القدم قبل كل مذرو ومبرو أنوارا أنطقها بتمجيده بتحميده ، وألهمها شكره وتمجيده ، وجعلها الحجج على كل معترف له بملكة الربوبية وسلطان العبودية ، واستنطق بها الخرسات بأنواع اللغات بخوعا له بانه فاطر الأرضين والسموات ، واشهدهم خلقه ، وولاهم ما شاء من أمره ، جعلهم تراجمة مشيئته ، وألسن إرادته ، عبيدا : ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْضَىٰ وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

. فصار رأسه رأس الكلب فما يمنعك من معاوية؟ فقال ويحك لو أشاء ان آتي بمعاوية الى هاهنا على سريره لدعوت الله حتى فعل ، ولكن لله خزان لا على ذهب ولا فضة ولا انكار على اسرار هذا تدبير الله اما تقرأ ﴿يَلْعَنُ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ وفيه روى الأصمغ بن نباتة قال كنا نغشي خلف علي (عليه السلام) ومعنا رجل من قريش فقال يا امير المؤمنين قد قتلنا الرجال وأيتممت الأطفال وفعلت وفعلت فالتفت (عليه السلام) اليه وقال : اخسأ فإذا هو كلب اسود فجعل يلود به ويصبص فرآه (عليه السلام) فرحمه فحرك شفتيه فإذا هو رجل كما كان فقال رجل من القوم يا امير المؤمنين أنت تقدر على مثل هذا ويناويك معاوية؟ فقال : نحن عباد مكرمون لا نسبقه بالقول ونحن بأمره عاملون.

(١). من زيارة الجامعة الكبيرة.

(٢). نور الثقلين ٣ : ٤٢٢ في مصباح شيخ الطائفة في خطبة مروية عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال : ...

اجل «سبحانه» ان يتخذ هؤلاء ولدا «بل» هم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ بما أكرمهم الله بالعبودية بعد ما أكرموا أنفسهم بها ، فلا كرامة للعبد مهما بلغ الذروة ، إلا كرامة العبودية ، فلا يزال العبد يكرم ربه بعبوديته ، كرامة لنفسه ان يعبد قدر مقدرته ، ثم المعبود يكرمه بكرامة على كرامته ان يخلصه لنفسه ، بعد ما أخلص هو نفسه لربه ، واين إخلاص من إخلاص ، إخلاص من العبد وإخلاص من المعبود.

فليس من إكرام الله لهم ان يتخذهم له ولدا سبحانه ، فان الولادة التشريعية مستحيلة كما الحقيقية ، حيث التشريف مجاز وهو لا يجوز في الأمور المستحيلة ، وانما هو جواز عن الحقيقة الكائنة او الممكنة.

فقد يصح لعالم رباني ان يتخذ تلميذا له صالحا ولده تشريفا له وذلك مسموح ، دون معنى النبوة الحقيقية او التبني ، ولكنه لا يصح او يمكن بحق الله ، قضية الإمكانية في حقيقته هناك واستحالته هنا.

وحتى لو أمكن ذلك الاتخاذ لم يكن فيه تشريف ، إذ لا شرف للعبد اشرف من شرف العبودية ولا يساميهما اي شرف ، وكما التشريف بالربوبية له مستحيل كذلك النبوة.

ومن مواصفات هؤلاء العباد المكرمين التسليم السليم لرب العالمين :

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ﴾ ٢٧.

ليس هنا لك اي سبق لهم على ربهم فيما امره اليه ، ارادة ام قولة ام فعلة ﴿لَا يَعْصُونَ

الله﴾<sup>(١)</sup> ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦٦ : ٦).

وعلى «القول» هنا يعم الأولين كما تدل عليه ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ثم الثالثة

تخصها ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ﴾ وهذه عصمة كاملة شاملة كل كيانهم دون إبقاء.

وفي تقديم «بامر» على «يعملون» حصر وتحتيم لاختصاص اعمالهم بأمر الله ، فلا يعملون عن امر أنفسهم ولا سواهم ، إلا الله.

وليس ذلك الأمر تكوينيا يسيّرهم دون اختيار منهم ، حيث «لا يسبقونه . و . يعملون» ينسبان السلب والإيجاب إليهم ، والعمل المسير لا طاعة ولا معصية! ثم امره يعم الفعل والترك ، ف «يفعلون» تعم فعل الفعل وفعل الترك ، تدليلا على ان ترك الحرام ممدوح فيما لك فيه الاختيار كفعل الواجب ، فكما الفعل الممدوح هو المختار كذلك تركه.

فهم بكل إراداتهم وأقوالهم وأفعالهم يعملون امر الله ومشيتته ، حيث هم اداة مشيئته وولاية امره دونما حاجة منه إليهم.

وتراهم . إذا . كيف سبقوه سبحانه في القول ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وقد جمعوا فيه الى سبق القول وسؤال الفعل و ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾؟

علّه يستثنى من ذلك الإطلاق تفلتا عما هم عليه ، ام انما قالوا ما قالوه وسألوا ما سألوه بأمره تعالى لكي يكونوا على ضوء جوابه ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عارفين مدى جهلهم فيزدادوا منه تعلما ولديه تسليما! :

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٨).

فمن ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مستقبلهم وحاضرهم ، ومن ﴿مَا خَلْفَهُمْ﴾ غابره ، ام كل مستقبل وحاضر وغابر مما يعلمون وما لا يعلمون ، فهو يحيط بهم ومن سواهم علما ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾! .

ثم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الله من المشفع لهم ، وقد كان

فريق من المشركين يعبدونهم قائلين : ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

فتزييفا لهذه المزعمة الخاطئة يحصر شفاعتهم لمن ارتضى الله دينه ، دون المشركين بالله ، المتخذين عباد الله المكرمين أبناءه سبحانه ، فغير الموحد لا تناله شفاعتهم لو شفَعُوا لهم ولن يشفعوا ف ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ و ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾. فالموحد مرضي عند الله كأصل وضابطة في قبول الشفاعة على شروطها المسرودة في الذكر الحكيم ، دون الملحد والمشرِك والمنافق والمكذب بآيات ربه ف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٤ : ٤٨).

والشفاعة هي آخر المطاف لمرتكبي الخطيئة ، ومرتكبي الضلالة إن ظلوا على توحيد الله ، دون ان يضلوا عنه ، فليست إذا الا لمرتكبي الكبيرة التي بقيت حتى القيامة غير مكفرة بتوبة في الاولى ، ام بعذاب في البرزخ ام في جحيم القيامة ، فمنهم من هم يخرجون من النار قبل توفية العذاب ، بالشفاعة ، وقد تلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الآية فقال : إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي<sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١٧ . اخرج الحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن جابر ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تلا قول الله : ولا يشفعون ... فقال : .... وفي نور الثقلين ٣ : ٤٢٣ في عيون الاخبار باسناده الى الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن أبيه عن آبائه عن امير المؤمنين (عليهم السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا انا له الله شفاعتي ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) انما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فاما المحسنون فما عليهم من سبيل قال الحسين بن خالد .

وترى الموحد مشفع له مهما تعمد في المعصية ولم يحن قلبه الى التوبة ولم تحسنه حسنته ولا ساءته سيئته؟ وذلك نكران ليوم القيامة ، وللشريعة الإلهية!.

كلا فهكذا موحد غير مرضي دينه وعليه سخط الله ، أترى من غضب الله عليه لنكرانه يوم القيامة ، او تشككه فيها ، سوف يرضى الله عنه فتشمله الشفاعة؟!.

فالشافعون . إذا . لا يشفعون إلا لمن ارتضى «الله دينه ، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات ، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة»<sup>(١)</sup> ، وان لم يقم بشروطات

---

. فقلت للرضا (عليه السلام) يا ابن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾؟ قال : لا يشفعون الا لمن ارتضى الله دينه .

وفيه عن الخصال عن الأعمش عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : واصحاب الحدود فساق لا مؤمنون ولا كافرون لا يخلدون في النار ويخرجون منها يوما والشفاعة جائزة لهم وللمستضعفين إذا ارتضى الله دينهم.

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٢٣ في كتاب التوحيد بإسناد متصل عن محمد بن أبي عمير عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) حديث طويل وفيه قلت له : يا ابن رسول الله! فالشفاعة لمن تجب من المذنبين ، فقال : حدثني أبي عن آباءه عن علي (عليهم السلام) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : انما شفاعةي لأهل الكبائر من امتي فاما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل ، قال ابن أبي عمير فقلت له يا ابن رسول الله كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ومن يرتكب الكبيرة لا يكون مرتضى؟ فقال (عليه السلام) : يا أبا محمد ، ما من مؤمن يرتكب ذنبا الا ساءه ذلك وندم عليه وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كفى بالندم توبة وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) من سرته حسنته وساءته سيئة فهو مؤمن فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالما والله تعالى ذكره يقول ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فقلت له : يا ابن .

التوبة ، ام سوفها حتى قضى نجه.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ٢٩ .

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ على فرض المحال حيث المعنى من «هم» العباد المكرمون ، ام كواقع إذا عني من «هم» كل من اتخذ الله ولدا او اتخذ نفسه ولده ، ام ادعى الألوهية ، كما الشيطان وكل فراعنة التاريخ.

«إني آله من دونه» رفضا لألوهية الله ، ام إشراكا لنفسه بالله «فذلك» البعيد البعيد

﴿نَجْزِي جَهَنَّمَ﴾ وكضابطة عامة ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بحق الربوبية.

وأما من لم يقل منهم «إني آله من دونه» مهما اتخذ إلها من دونه وهو رافضه ، فذلك

يبقى على كرامته : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾ (٥ : ١١٧) ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوها وَكُلَّ فِيهَا

. رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف لا يكون مؤمنا من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال : يا أبا محمد ما من احد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم انه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب ومتى ندم كان تائبا مستحقا للشفاعة ومتى لم يندم عليها كان مصرا والمصر لا يغفر له لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب ولو كان مؤمنا بالعقوبة لندم وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ، واما قول الله عز وجل ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فإنهم لا يشفعون الا لمن ارتضى الله دينه ....

خَالِدُونَ .. إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٢١ : ١٠١﴾ .  
﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ خُلْدًا أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْحَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ كَافِرُونَ (٣٦) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ



آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ  
 بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٤٠) وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ  
 فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١) قُلْ مَنْ يَكْلُوكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ  
 الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ  
 أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا  
 يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤) قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا  
 يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ (٤٥) وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا  
 إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦)

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠).

.. الم ير الذين كفروا آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ...﴾ عطفاً على ما أراهم الله تعالى ولم يروا ولم يتبصروا.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ او منهم هنا هم المشركون المقسمون الخلق والتدبير بين الله والآلهة ، لا الماديين او والكتابين مهما شملهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هامشياً حيث الحوار كان مع المشركين دون سواهم.

والرؤية المستأهل عنها هي العلمية رأياً كأنها رؤية بصر ، وهي الاكثرية الساحقة من إطلاقات الرؤية ، ولا سيما المقرونة بما هنا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فأين كانوا هم ومن قبلهم حتى ينظروا الى فتقهما بعد رتقهما ومنهما خلقهما؟ ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾ (١٨ : ٥١).

وذلك الرتق والفتق في بناية الكون ، وهما متواصلان بمختلف الصور على طول الخط ، انه نقض صارم على خرافة التفرقة بين الخلق والتدبير ، فإنهما مجموعان لصق بعض في كل رتق وفتق ، فهما - إذا - فعل واحد من فاعل واحد ، وحتى إذا كانا منفصلين فتناسق الخلق والتدبير في كل رتق

وفتق دليل وحدة الناسق ، المدبر الخالق ، وكما وحدة الخلق دليل وحدة الخالق.

ثم الرؤية العلمية ، عقلية او تجريبية ، بالنسبة للفتق بعد الرتق ، منها ما هي حاصلة عبر القرون البشرية لكل راء مراغ صالح الرؤية ، ف ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ هنا استفهام إنكار ، انهم رأوا ثم حكموا بخلاف ما رأوا ، سواء الماديين منهم استدلالا بالتحويلات المتواترة عبر الكائنات على المكوّن ، او المشركين استدلالا بوحدة الخلق والتدبير على وحدة الخالق والمدبر ، او الكتابيين ، حيث تضاف الى رؤيتهم العلمية الرؤية الكتابية القائلة بفتق بعد رتق ، فليوحدا الفاتق الراتق ، وليؤمنوا بالشرعة القرآنية الفاتقة لما رتق قبلها ، الفاتحة لما انغلق.

ومن ثم رؤية اخرى يدفعون إليها على مرّ الزمن ، فالاستفهام . إذا . استنكار لمن لا يتدبرون حتى يروا فتقا بعد رتق اكثر مما رأوا ، حيث هما بعد بدايتهما مستمران مع الزمن في كافة اجزاء الكون.

إذا ف ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ غابر يخلق على المستقبل والحاضر ، حيث الرؤية الحاضرة والمحضرة تعم عامة المكلفين دون إبقاء واستثناء.

فكما اختصاصها بالماضين تضيق لنطاق الدعوة القرآنية ، كذلك . وباحرى . اختصاصها بالآيتين من العلماء الغربيين ، اختلافا من بعض المفسرين المتفرنجين المتأرجفين ، انهم هم المفترضون فرضية انفصال الأرض من الشمس ، تأويلا عليلا ل ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ الى «أولا يرون» و ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بهؤلاء فقط ، و «السماوات» بالشمس «والأرض» هي الأرض ، ف ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ انهما كانا جرما واحدا ، ثم «ففتقناهما» بفصل

الأرض عن الشمس»!!!<sup>(١)</sup>.

تخريجات فيها تخريجات وتخريجات كأنها خدمة غالية للقرآن ، وفقا بينه وبين هذه الافتراضية غير القانونية ولا الثابتة ، المقبورة . أخيرا قانونيا علميا . مع الأبد.

ولقد فصلنا في فصلت على ضوء الآية ﴿قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ فصلنا هناك مدى خرافة هذه القبلة الغائلة الغيلة ، وانها تفسير للقرآن عن ساحته وسماعته وليس تفسيراً له ، فانه المحور في كل صغيرة وكبيرة عبر القرون ، وليس حائراً حول الافتراضات التي لا سند لها علميا فضلا عن الواقعية المسنودة الى قوانين تجريبية. فكيف يعبر عن مستقبل خاص بماض عام؟ وعن الشمس وهي قطرة صغيرة من خضمّ يَمّ السماء الدنيا بالسموات؟ وعن انفصال الأرض عن الشمس بفتقهما عن رتقهما وهو يعم المعاكسة أولا ويخص الانشقاق لا الاشتقاق ثانيا؟.

(١) تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوي ١٠ : ١٩٧ تحت عنوان : القرآن إذ اخبر بأمر لم تعلم الا في القرن التاسع عشر يقول : ثبت عن اهل اوربا في هذه العصور إذ هم الذين قرروا هذا العلم وقالوا ان الشمس كانت كرة أشبه بالنار دائرة ملايين من السنين ، والأرض والسيارات وتوابعها كانت معها ، ثم ان أرضنا انفصلت كما انفصل غيرها من السيارات انفصلن جميعا من خط الاستواء الشمسي أثناء سرعة سير الشمس وجريها حول نفسها فتباعدت أرضنا والأرضون الاخرى وهي السيارات فان شمسنا والسيارات الاخرى كلها سيارات وكلها أرضون وهكذا كل الشموس التي نراها كأنها كواكب ثابتة على هذه الحال لها سيارات وقد اشتقت منها وقد قدروا على سبيل الظن ان الأرضين في العوالم كلها لا تنقص عن ثلثمائة مليون ارض مسكونة ... فثبت ان أرضنا مشتقة من الشمس والشمس ايضا من شمس اكبر .. منها أقول وفي كل ذلك اسئلة ولا جواب له عنها!.

كلا! وآيات «فصلت» توخر خلق الشمس عن الأرض بمرحلتين اثنتين حيث ﴿خَلَقَ  
 الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .. ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ .... فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ  
 ... وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ..﴾ والشمس هي من مصابيح السماء الدنيا ، فكيف  
 تسبق أرضنا السابق عليها وعلى تسبيح السماء؟!.

فإليكم تفسيراً لآية الفتق جديراً بما حسب المستطاع دونما تحميل عليها ما ليس منها  
 ولا إليها ، ودون ان نحاول حمل النص او الظاهر القرآني على افتراضات خاوية او غير  
 مستيقنة تقبل اليوم وترفض غدا ، فانه إمام العلم وأمامه ، خالدا عبر كافة التقديمات العلمية  
 وكشوفها المتعالية ، فليطلق سراحه أينما انطلق دون أسر له بنظريات أسيرة محصورة محسورة! .  
 هنا ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ هي السبع الطباق ، أولاها هي السماء الدنيا حيث هي الأقرب  
 إلينا ، والشمس بمنظومتها جزء ضئيل من أوليات هذه الاولى.

و «الأرض» عليها فقط هذه الأرض ، فالأرضون الست الاخرى معنية في نطاق  
 السماوات ان كانت مقسمة بينها ام هي في الاولى ، ام هي جنس الأرض الشامل للأرضين  
 السبع.

وعلى أية حال ف ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ هنا وفي غيره هما عبارة اخرى عن الكون  
 كله.

﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ والرتق لغويا هو الضم والالتحام خلقيا ام خالقيا ، والمعني هنا هو الثاني ، وانما  
 أفردت «رتقا» مصدرا وهو يثنى ويجمع كما الفاعل والمفعول؟ علّه للعناية الى حالة الوحدة  
 حيث لم تكونا حين الرتق الاول لا سماء ولا أرضا فضلا عن سماوات وارضين ، وانما كانتا  
 المادة الفردة الاولى المعبر عنها بالماء : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي

سِتَّةَ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴿١١ : ٧﴾ وطبعا قبل خلق الأرض والسماء.

فقد كانتا حينذاك رتقا في المادة الأم ، ففتقت الأم في تفجيرة هائلة فانقسمت الى دخان السماء وزبد الأرض ، كما تفصله آياته في فصلت ، بعد إجماله في هود : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

ف «رتقا» هنا دلالة أولى على هذه الوحدة السابقة ، فلو كان المعني منه التصاقهما ، ام فقط فتق كل عن رتقة ، لكانت الصيغة السائغة له «رتقين» ولكن «رتقا» تعم الرتقات الثلاث ابتداء من هذه الرتقة البدائية وانتهاء الى فتق السماء بالماء وفتق الأرض بالنبات. ففي آية هود ﴿كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ يتبين باجمال انهما كانا في الأصل ماء وهو عبارة اخرى . وأخرى من غيرها . عن المادة الأم.

وفي فصلت يفصل ذلك ورتق ثان : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٤١ : ١٣).

فدخان السماء هو اصل ثان لعالم السماء ، وقد فتق عن الماء ، ثم فتق الى سبعها بمصاييحها ، وكما زبد الأرض للأرضين السبع : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (٦٥ : ١٢)<sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١٧ . اخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ في العظمة عن مجاهد في الآية قال : فتق من الأرض ست ارضين معها فتلك سبع ارضين بعضهن تحت بعض ومن السماء سبع سماوات منها معها فتلك سبع سماوات بعضهن فوق بعض ولم تكن الأرض والسماء مما ستين ومثله عن أبي صالح.

ومن ثم فتفت الأرض بالإنبات بما فتقت السماء بانزال الماء ، فتقا ثالثا بعد رتق ثالث كما هنا ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ . ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ (٨٠ : ٢٧) ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (٨٦ : ١٣).

وفي رواياتنا تصریحات وإشارات الى هذه الفتقات بعد الرتقات كما وتستنكر الفتق المختلق من اصحاب فرضية الانفصال : «فلعلك تزعم انهما كانتا رتقا متلازمتين متلاصقتين فتفتت إحدهما عن الاخرى ..؟»<sup>(١)</sup>.

ثم تثبت سائر الفتقات ولا سيما المستفاد من ذيل الآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وهي الفتقة الثالثة.

ومن جماع الدلالة على كلها ام جلها مقتطفات من خطب الامام امير

---

(١) المصدر في روضة الكافي في سؤال الشامي أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن هذه الآية قال (عليه السلام): فلعلك ... فقال نعم فقال ابو جعفر (عليه السلام) استغفر ربك فان قول الله عز وجل ﴿كَانَتْ رَتْقًا﴾ يقول : كانت السماء رتقا لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقا لا تثبت الحب فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبث فيها من كل دابة فتق السماء بالمطر والأرض بنبات الحب ...».

أقول : هذا تفسير بأظهر مصاديق الفتق بعد الرتق كما يبينه ذيل الآية ، دون حصر فيه ، وقد قدم الامام (عليه السلام) خلق السماء والأرض من الماء وفي نفس الحديث بقوله : وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء الذي خلق الأشياء منه فجعل نسب كل شيء الى الماء ولم يجعل للماء نسبا يضاف اليه وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء فشقت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء ان يثور فخلق من ذلك الزبد أرضا بيضاء نقية .. ثم خلق الله النار من الماء فشقت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء ان يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ... وذلك قوله : والسماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها واخرج ضحاها ... قال له الشامي يا أبا جعفر قول الله عز وجل : أولم ير الذين كفروا ؟... قال : فلعلك ..

المؤمنين علي (عليه السلام): «وناداهما بعد إذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتناق صوامت أبوابهما». «وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعه ان جعل من البحر الزاخر المتراكم المتقاصف ييسا جامدا ثم فطر منه اطباقا ففتقها سبع سماوات بعد ارتناقها» كما «وكانتا مرتوقيتين ليس بينهما أبواب ولم يكن للأرض أبواب وهو النبت ولم تمطر السماء عليها فتنبت ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات»<sup>(١)</sup>.

وليس الحصر في بعضها بالفتقة الأخيرة إلا نسبيا لاستنكار الفتقة المختلقة ، بإثبات ما يصدقها ذيل الآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. إذا ف ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ تخلق على كل فتق بعد رتق السماء والسماوات

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٢٥ في تفسير القمي في سؤال الأبرش أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية «فما كان رتقهما وما كان فتقهما؟ فقال (عليه السلام) يا ابرش هو كما وصف نفسه كان عرشه على الماء .. فلما أراد الله ان يخلق الأرض امر الرياح فضربت الماء حتى صار موجا ثم ازبد فصار زبدا واحدا ... فلما أراد ان يخلق السماء امر الرياح فضربت البحور حتى أزبدت فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء وجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر وأجراها في الفلك وكانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب وكانتا مرتوقيتين ليس بينهما أبواب ولم يكن للأرض أبواب وهو النبت ولم تمطر السماء عليها فتنبت ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات وذلك قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فقال الأبرش : والله ما حدثني بمثل هذا الحديث احد قط أعده علي فأعاد عليه وكان الأبرش ملحدا فقال : وانا اشهد انك ابن نبي ثلاث مرات.



والأرض والأرضين ، اجماعا دلاليا بين الآيات والروايات ولا ينبئك مثل خبير .  
وما تدبير الخلق تكوينيا وتشريعيا إلا فتق الرق ، وهو مزيج مع كل خلق ، إذا فالخالق  
هو المدبر والمدبر هو الخالق دون اي فرق ولا فراق بين خلق وتدبير سبحانه العلي القدير ! .  
**﴿فَفَتَقْنَا هُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾** .

فمن ذلك الفتق فتق الماء عن رق ، إذ فتق عن أصله في السماء ، ثم فتق السماء عنه  
إلى الأرض ، ثم فتقت الأرض به بإخراج نباتاتها <sup>(١)</sup> نباتية وحيوانية وإنسانية أما هيئه من حي  
، كما فتقت سائر الكرات الحية بذلك الماء حيث لا يختص . ولم يكن يختص . بهذه الأرض .  
ف **﴿كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾** تعم كل حي في السماوات والأرض ، فكما ان كل شيء حي  
او ميت فتق من المادة الاولية الأم <sup>(٢)</sup> : **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ  
عَلَى الْمَاءِ﴾** كذلك جعل من أفضل ولأئدها : الماء . كل شيء حي ، حياة ثانية بعد الاولى  
التي هي اصل الكون ، ف **﴿كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾** يخرج عن هذا المسرح الثاني كل شيء ميت

(١) ومن الدليل على شمول «حي» للنبات : انزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها . واضرابها .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٣١٧ . اخرج احمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في  
الأسماء والصفات عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اني إذا رأيتك طابت نفسي  
وقرت عيني فانبئي عن كل شيء ، قال : كل شيء خلق من الماء .

أقول : الماء هنا غير الماء المشروب ، بل هو المادة الام كما في آية هود **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** .

وهو كل جماد ، فالماء الثاني . إذا . هو مادة كل حياة في ﴿كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ دون إبقاء ، سواء كانت حياة انسانية ام ملائكية ام جنية <sup>(١)</sup> اما هي ، وما دونها من حياة نباتية وحيوانية.

«وقد يعم «الماء» اضافة الى أصله السائر في كل حي كضابطة كونية لأية حياة ، قد يعم كل ماء متولد من ذلك الماء بخليط ام دون خليط ، كما النطفة الجرثومية المخلوق منها كل دابة : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٤ : ٤٥)

فحين يخرج غير الدواب من الأحياء عن ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ فليس يخرج عن ﴿جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ مثل الملائكة والطير وحيوان البحر ، بما يوجد في الأخيرين من ماء النطفة أحيانا ، فمهما كانت الملائكة مخلوقة من ماء ولكنه ليس ماء النطفة إذ لا تزواج بينهم <sup>(٢)</sup>.

ثم «الماء» النطفة يعم المني الدافق وسواه كما في الإنسان وسواه.

---

(١) ولا ينافي خلق الجن من نار جعله من ماء ف «وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ» هو أصلهم الأولى كما خلق آدم من تراب ، فنسل الجان من ماء النطفة ومن اصل الماء ، كما ان أصله النار فيه الماء.

(٢) ولا ينافيه خلق الملائكة من النور كما في بعض الأحاديث ، حيث النور كما النار من اصل الماء ، ام خليطه ، ام ان الجعل هو جعل بقاء الحياة الملائكية والجنية بالماء وان لم تكن أصولهم من هذا الماء ، فلذلك لم يقل «خلقنا» والجعل يعم الخلق بداية ، وبقائه واستمراره ، فطائفة من الأحياء مثل الإنسان مجعولة من الماء خلقا وبقاء ، وثانية بقاء كالملائكة . والله اعلم بما قال.

ولأن الماء هو اصل الحياة ف «طعم الماء طعم الحياة» <sup>(١)</sup> وقد يكون بنفس السند شفاء من بعض الأدواء <sup>(٢)</sup>.

ولماذا هنا «جعلنا» دون خلقنا؟ علّه حيث المقصود أعم من الخلق بداية ، ومن استمرارية المخلوق منه حيوية ، فكما خلق كل حي من ماء كذلك تستمر حياته بماء ، دون إبقاء.

فهناك فتق أول للخلق عن رتق الماء الأوّل وهو المادة الأولية ، وفتق ثان هو خلق هذا الماء المشروب مما خلق منه ، وفتق ثالث هو خلق النطف الجرثومية عن الماء الثاني ، إذا فدور الماء في اصل الخلق وفرعه دور فعال

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٢٧ عن الجمع وروى العياشي بإسناده الى الحسين بن علوان قال : سئل ابو عبد الله (عليه السلام) عن طعم الماء ، فقال : سل تفقها ولا تسأل تعنتا ، طعم الماء طعم الحياة قال الله سبحانه **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾** ورواه في قرب الاسناد مثله.

(٢) المصدر في كتاب طب الأئمة عبد الله بن بسطام قال حدثنا ابن إسحاق ابن ابراهيم عن أبي الحسن العسكري (عليه السلام) قال : حضرته يوما وقد شكى اليه بعض إخواننا فقال : يا ابن رسول الله ان اهلي كثيرا يصيبهم هذا الوجع الملعون ، قال وما هو؟ قال : وجع الرأس ، قال : خذ قدحا من ماء واقراء عليه هذه الآية ثم اشربه فانه لا يضره ان شاء الله تعالى.

وبإسناده الى حماد بن عيسى يرفعه الى امير المؤمنين (عليه السلام) قال : إذا شكى أحدكم وجع الفخذين فليجلس في تور كبير وطست في الماء المسخن وليضع يده عليه وليقرأ هذه الآية وفيه عن سيف بن عمير عن شيخ من أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال كنا عنده فسأله شيخ فقال : بي وجع وانا اشرب له النبيذ ووصفه له الشيخ فقال له : ما يمنعك من الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي؟ قال : لا يوافقني ، قال : فما يمنعك من العسل قال الله فيه شفاء للناس ، قال : لا أجده ، قال : فما يمنعك من اللبن الذي نبت لحمك واشتد عظمك؟ قال : لا يوافقني قال (عليه السلام) له : أتريد ان آمرك بشرب الخمر؟ لا والله لا آمرك!

منقطع النظر . :

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ بذلك الخالق المدبر ، المدبر الخالق ، الذي بيده كل رتق وفتق ، وبالنسبة للآلهة المختلفة ومختلفيها ، حيث فتقها الله بعد رتق.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٣٢.

هنا عرض لفتق بعد رتق في الأرض ، وآخر في السماء ، هما من طيات الفتقات الثلاث للسموات والأرض ، والرواسي المجعولة في الأرض . لا المخلوقة . هي الجبال الراسية الموتدة في أعماقها ، الشاهقة رءوسها ، وعمل المفعول الاول ل «لجعلنا» هي الجبال قبل رسوها وقد خلقت من الأمواج السطح الأرضية ، كما سئل الامام علي (عليه السلام) مم خلقت الجبال؟ قال : من الأمواج.

ولماذا جعلت الرواسي؟ ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ حفاظا عن الميدان وهو سرعة الدوران ، و «عدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها ... فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع أديمها» «فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها او ان تسيخ بحملها» : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٦ : ١٥)<sup>(١)</sup> فللرواسي علاقة عريقة بتوازن الكرة الارضية في سبوحها الدائب بيم الفضاء ، فلا تميد بهم وتضطرب بل هي مهد ومهاد!.

هذه رواسي الأرض ان تميد بهم في رجفاتها ، وتلك فجاجها السبل

(١) راجع تفسير آية النحل في النحل ففيها تفصيل أكثر مما هنا ، وكذلك ... وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ».

بينها لعلكم تهتدون ، وبأحرى منها الرواسي القيادية الروحية ، الراسية في اعماق ارض الحياة الإنسانية ، عن ان تميد بكم من ضربات ورجفات ، وهم الرعيل الأعلى الرساليين ، ثم الفجاج السبل هم العلماء الربانيون ، الوسطاء بينهم وبين الناس.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ عن التساقط من عليها الى دنياها ، إذ ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٢٢ : ٦٥) ومحفوظا عن تسمع الجن الى الملا الأعلى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَا الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (٣٧ : ١٠) ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥ : ١٨).

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ : . ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠ : ١٠١) فهم يعرضون عن آياتها كونية وشرعية. ومن السماء السقف المحفوظ بآياتها ، سماء الوحي بآياته ، إذ لا تدخل فيها من الشياطين وسواهم من المتسمعين.

فالسقف ما يظل الإنسان من عل والسماء هي أعلى السقوف ، ولكنها خلاف سائر السقوف فانها دون عمد مرئية ، وكذلك سماء الرسالات غير مرئية العمد ، وهي أعمدة الوحي ورباطاته الإلهية محفوظة عن كل انفراج وانهدام وتشعث واسترمام ، كما هي محفوظة من مسارق السمع ، محصنة بمقاذف الشهب.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٣.

هنا تعرفنا الى سباحة الشمس والقمر ، كل في فلكه الخاص به ، فما هي سباحة الليل والنهار وهما من مظاهر سباحة الأرض والشمس دونما استقلال عنها؟.

ان لها ثانية في يس تعني في «يسبحون» الأرض والشمس والقمر : ﴿... لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠) حيث تسبقها الأرض ، فهي - إذا - معنية في هذه السباحة العاقلة مع النيرين.

فكذلك الأمر في هذه حيث تسبقها الأرض كما هناك ، وهنا زيادة «آياتها» ومنها نجومها بمجراتها ف «كل» من هذه الثلاثة آياتها ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ دون حاجة الى حمل التوجيه ل ﴿اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وهما ظاهرتان من سبح الأرض بواجهتها الخاصة للشمس!. وقد نتلمح من هنا ان لا ثوابت في آيات السماء ، فكلها سيارات ، فردية في أفلاكها ، وجماعية في مجراتها وجزائرها في خضم الفضاء!.

هذا وقد تعني «يسبحون» فيما عنت ﴿اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ والمعني من سباحتهما في فلكهما مدار كل تبعا لدوران الأرض حول نفسها وشمسها ، ولكن الليل والنهار مسبح لسابح الأرض وهما لا يسبحان ، وهنا نتأكد ان «يسبحون» تشمل «آياتها» كلها ، وهي الكواكب كلها.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ٣٤.

«الخلد» هنا هو البقاء في الحياة الدنيا ، وهي زائلة بمن فيها وما فيها ، فلا خلد لها فضلا عن موالدها! ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ حيث قضوا نحبهم ومنهم من ينتظر كالمسيح والخضر وسائر الأحياء.

وقد تلمح الآية انه (صلى الله عليه وآله وسلم) تمنى بقاء ، ام اكثر

فما كان كما يروى «لما نعى جبريل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه قال : يا رب فمن لأمتي؟ فنزلت ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ...﴾»<sup>(١)</sup>.

وبذلك تستأصل منية الخلود حتى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مهما هرف فيه هارف وخرف وخارف رغم نص القرآن<sup>(٢)</sup>.

ولحظة ثانية تستأصل أمنيات المشركين ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّبِ الْمُنُونِ﴾ (٥١ : ٣٠) إذ كانوا يتربصون به الموت فيتخلصوا منه وكأنهم بعده باقون<sup>(٣)</sup> ﴿أَفَأَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾؟ كلا إلا متعة الحياة عاجلا أو آجلا

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١٨ . اخرج ابن المنذر عن ابن جريح قال لما نعى ...

(٢ ، ٣) المصدر . اخرج ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ابو بكر في ناحية المدينة فجاء فدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل يقبله ويكي ويقول باي وامي طبت حيا وميتا فلما خرج مر بعمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول : ما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين وحتى يخزي الله المنافقين ، قال وكانوا قدر استبشروا بموت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرفعوا رؤوسهم فقال ايها الرجل اربع على نفسك فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد مات الم تسمع الله يقول : انك ميت وانهم ميتون ، وقال : وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ، قال : ثم أتى المنبر فصعده فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلهكم الذي تعبدون فان محمدا قد مات ، وان كان إلهكم الذي في السماء لم يمت ثم تلا : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ... ثم نزل واستبشر المسلمون بذلك واشتد فرحهم وأخذت المنافقين الكتابة قال عبد الله بن عمر : فو الذي نفسي بيده لكأنما كانت على وجوهنا اغطية فكشفت ...

أقول وابشر بأدب الخليفة عمر كيف يقول متغيظا «ان كان محمد إلهكم» ثم ابشر بمعرفته بالله كيف يمكّنه في السماء!.

أقول وابشر بأدب الخليفة عمر كيف يقول متغيظا «ان كان محمد إلهكم» ثم ابشر بمعرفته بالله كيف يمكّنه في السماء!.

في بلوى الخير والشر ، كما الرسول لهم بلوى.

وقد تلمح «لبشر» ان الخلد جائز لغير البشر كما الملائكة هم خالدون مدى الحياة الدنيا فلا يموتون ، ولا يعني الخلود الأبدية اللانهائية ، إذ لا يزعمها اي عاقل ولا مجنون ، وانما هو البقاء مدة طويلة ومنها طول الحياة الدنيا ، فذلك الخلود منفي عن كل بشر ، مهما ثبت لغير بشر.

فالموت شامل كل بشر ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٩ : ٣٠) مهما كان انتقالا من حياة إلى أخرى ، ومن نشأة إلى أخرى دون موت الفناء ، اللهم إلا في صعقة إلا مائة حيث لا يستثنى منها إلا من شاء الله : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٩ : ٦٨).

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمُ بِالْإِثْمِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ٣٥.

أترى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ هنا تشمل كل نفس حية وسواها ، إلهية وسواها حيث اطلق على ذاته تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٣ : ٢٨) ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (٥ : ١١٦) ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (٢٠ : ٤١) ؟ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (٦ : ٥٤) ؟

كلّا! حيث النفس فيها وفي اضربها لا تعني إلا نفس الكائن وذاته فلا تأتي إلا مضافة الى نفس الكائن ، حيا وسواه ، إلهيا وسواه ، فكما ﴿يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كذلك : ﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ (١٢ : ٥٤) ورأيت الدار نفسها ، ووقع الجدار نفسه ، فبين النفس الذائقة الموت وهذه النفس الذات عموم من وجه تفترقان في الجماد ، إذ لا حياة له حتى يذوق



الموت ، وفي الله فانه الحي الذي لا يموت ، وتجتمعان في الأنفس الحية التي تذوق الموت.  
فالنفس الذات لا بد لها من اضافتها الى الذات فلا تشملها غير المضافة ك ﴿كُلُّ  
نَفْسٍ﴾ مهما شملت المضافة غير الذات : ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾  
(١٢ : ٥٤) ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ (٢٠ : ٩٦).

فالذات المقدسة الإلهية خارجة عن ﴿كُلِّ نَفْسٍ﴾ كما الأنفس غير الحية ، حيث ان  
ذوق الموت ليس الا عن حياة ، والاضافة فيها تعني النفس الذات.

والنفس غير المضافة ، أو المضافة إلى غير ذاتها كاملة ، هي الجزء الحي من الكائن  
المركب من نفس وسواها ، سواء الروح ككل ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾  
(٩١ : ٧) أو الروح بخاصة من أوصافه ، كالنفس الامارة ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (١٢ :  
٥٤) واللوامة ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٧٥ : ٢) والمطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ  
الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٨٩ : ٢٦) ولان ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ غير مقيدة بواحدة من هذه الثلاث ، وان ذوق  
الموت هو لأصل النفس مصحوبة بهذه الثلاث ، فهو إذا كل نفس حية ، وهي هنا المكلفة  
المبتلاة بالشر والخير ، الراجعة الى ربها ، فخاصة بالمكلفين من الملائكة والجنة والناس أجمعين  
، مهما خصّت الملائكة بالبقاء مدى الحياة الدنيا ، ولكنها قد تعرضها الصعقة إلا من شاء  
الله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (٣٩ : ٦٨)  
والصعقة بين موت وذوق الموت.

ثم «ونبلوكم» لا تنافي عصمة الملائكة وكما ابتلوا في قصة آدم ، ام انها خصوص بعد  
عموم ، ف «نبلوكم» تخص غير الملائكة المعنيين بعموم

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ والاول اولى ولا سيما لشموله من هم اعصم من الملائكة وأعظم.

فلا تختص ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ بالنفس الإنسانية بشاهد اطلاق النفس عليها دون سواها ، فانها تشمل كل نفس مكلفة مبتلاة راجعة إلى الله ، وذوق الموت أعم من الموت نفسه ، فقد تذوقه ولا تموت موت الفوت ككل من يموت عن هذه الأدنى ، حيث الأرواح لا تموت فوتاً ، وانما تذوق موت أبدانها ، وفراقها عنها ، وقد تموت ردحا ثم تحيى كما في صعقة القيامة  
﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

اجل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ﴾ .. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢٩ : ٥٧) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٣ : ١٨٥).

ثم الموت قد يعني ذوقه نفسه ، كما في كل مودة عن الحياة الدنيا ، ام هو الفوت ردحا قبل قيامة الإحياء ، أم يعنيهما ولا خارج عن هذه الثلاث اللهم إلا موت الآبدن في النار مع النار ، حيث لا نار ولا اهل نار فانه موت الفوت ، دون الجنة فانها دار القرار.  
﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتْنَةً﴾؟

ذلك الخير حيث الخير كله بيديه ، فما هو . إذا . الشر ، والشر ليس اليه؟.

فتنة الشر قد تكون جزاء وفاقا لشر قبلها كما فتن بنو إسرائيل : ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٢٠ : ٨٥) فهذه شر بشر وهو خير في ميزان العدل مهما سمي شرا في ميزان الخلق لمكان ابتلاءهم فيها ﴿كَذَلِكَ نَبَلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٧ : ١٦٣).

وأخرى هي فتنة ملتوية صعبة ، لا تلائم النفوس في البداية ، ولكنها تبوء الى خير في النهاية كما يفتن المؤمنون بفقد الأحبة أمّا هيه مما هم متعلقون به ، مفتاقون اليه والعون فيه كما ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ (٢ : ٢٤٩) ولقد مرض امير المؤمنين (عليه السلام) فعاده إخوانه فقالوا : كيف نجدك يا امير المؤمنين (عليه السلام) قال : بشرّ ، قالوا : ما هذا كلام مثلك؟ قال : ان الله تعالى يقول : ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً...﴾ فالخير الصحة والغنى والشر المرض والفقر»<sup>(١)</sup>.

ومن البلاء الحسن نصر من الله ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٨ : ١٧).

ثم وفي واجهة عامة شاملة ، الدنيا بجزايفها فتنة وبلوى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (١٨ : ٧) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٥ : ٤٨) ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٦ : ١٦٥) ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِنَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٦٧ : ٢) ﴿وَنَبْلُونَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧ : ١٦٨).

فلا كرامة في بلوى الخير ولا مهانة في بلوى الشر ، اللهم إلا بلوى العقوبات : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ، كَلَّا...﴾ (٨٩ : ١٥ - ١٦) وبلوى المثوبات ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾.

(١) نور الثقلين ٣٠ : ٤٢٩ في مجمع البيان عن أبي عبد الله (عليه السلام) ان امير المؤمنين (عليه السلام) مرض

وترى الابتلاء بالشر ابلى او الابتلاء بالخير ، حقا ان الابتلاء بالخير أشد وطأة وإن خيّل للبسطاء عكسه ، فهنا لك كثيرون من المؤمنين يصمدون في فتنة الشر ، واما فتنة الخير فقلة قليلة تصمد لها ، فمن هذا الذي يصمد على قضية الإيمان في جماع القدرة الهائلة والسلطة المائجة إلا السابقون والمقربون ومن ثم اصحاب اليمين؟ حيث الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء ويستحث المقاومة ويجند الأعصاب ، ولكنما الرخاء ترخي الأعصاب وتفقدتها القدرة على اليقظة والمقاومة.

لذلك ترى هؤلاء الذين يجتازون الكثير من عقبات الشر والضرر ، هم أنفسهم ليسوا ليجتازوا عقبات فتن الخير ، فيسقطون في هَوَات الرعونات ، ويتساقطون في مجالي الثروات والفرعنات ، وكما نراهم طوال التاريخ ، أعاذنا الله من تلك الفتن العضال.

وكما نرى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعجب من هؤلاء المؤمنين القلة قائلا :  
«عجبا لأمر المؤمن ان امره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له» (١).

﴿وَالْيُنَا تُرْجَعُونَ﴾ كما منا تبدءون ف ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فقد كنا قبل عالم الاختيار في خيرة الله ، إذ كنا أجنّة في بطون أمهاتنا ، ثم حللنا عالم الاختيار ثم التكليف الاختبار ، ومن ثم نرجع الى ما كننا دون خيرة فيه منا اللهم الا ما قدمناه لأنفسنا ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَدُنَا يُصَدُّوا عَنْكَ إِلَّا هَزُوا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ أَهْتَكُمْ وَهُمْ يَدُكِرُ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ٣٦.

(١) رواه مسلم بسنده في كتاب الزهد والرفائق.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا. إِنَّ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ  
 آهِنَاتِنَا لَوْ لَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ (٢٥ :  
 ٤٢).

رجعة الى ما بدء به في هذه السورة من : كيف كان المشركون يستقبلون الرسول وبه  
 يستهزؤون؟ وذلك بعد شوط بعيد في سنن الدعوات ومصائر الغابرين ومصارعهم في صراع  
 الحق.

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا﴾ دون أن يحسبوا لك حسابا آخر ، كأنك مهزئ لهم  
 وملعب يتخذونك هزوا لأنك أنت ، وانك تذكر آلهتهم بسوء ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ  
 كَافِرُونَ﴾ حال انهم . وهم معترفون بالإله الرحمن . هم بذكر الرحمن هم كافرون ، ايماننا  
 واحتراما بالآلهة الفروع ، وكفرا واحتراما بالإله الرحمن» <sup>(١)</sup>.

وذكر الرحمن ، وجاه ﴿يَذْكُرُ آهَتَكُمْ﴾ هو الذكر اللائق بالرحمن : ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ  
 فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (١٧ : ٤٦) كفرا بالرحمن ، ولكنهم بذكر آلهتهم  
 مؤمنون ، وحين تذكر كما هي فهم مستاءون ومستهزؤون.

و ﴿يَذْكُرُ الرَّحْمَنِ﴾ اضافة للمصدر الى مفعوله هو ان يذكر الرحمن ، وهو بتقدير  
 اللام له مصداقان آخران ، القرآن وني القرآن فإنهما أفضل ذكر

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١٩ . اخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال مر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أبي  
 سفيان وأبي جهل وهما يتحدثان فلما رآه ابو جهل ضحك وقال لأبي سفيان هذا نبي بني عبد مناف فغضب ابو  
 سفيان فقال : ما تنكرون ان يكون لبني عبد مناف نبي فسمعها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرجع الى أبي  
 جهل فوقع به وخوفه وقال : ما أراك منتهيا حتى يصيبك ما أصاب عمك وقال لأبي سفيان اما انك لم تقل ما  
 قلت إلا حمية فنزلت هذه الآية.

للرحمن ، ثم وسائر الذكر آفاقية وانسية حيث تذكّرنا الرحمن.

و ﴿هُم كَافِرُونَ﴾ تأكيد في تأنيب ، انهم الذين يستاءون من ذكر آلهتهم بالحق تزييفا لأنهم بهم مؤمنون ، كيف هم يكفرون بذكر الرحمن وحده وهم به مصدقون : ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٢٩ : ٦١).

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ ٣٧.

أترى ما هو العجل المخلوق منه الإنسان ، وعلى أيّ كان فلما ذا يندد به الإنسان وهو من خلق الرحمن؟ فهل انه مبالغة في مواصفته كأنه مخلوق من عجل؟ والمبالغة فيها شطر من الكذب وكلام الله منه براء! ثم وكيف ينسب الله الى نفسه ما هو فعل الإنسان! .  
ام هو على القلب ان خلق العجل من الإنسان؟ وهو قلب لكلام الله! وتغلّب على ما رسمه الله! اضافة الى مبالغة كاذبة!.

«عجل» هنا هو المعجول به في نشأته إذ ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ معجول به في إنزاله وكما أب الإنسان الأول استعجل حيث خلق من عجل ، وهو ترابه وروحه المستعجل في نضوجه <sup>(١)</sup> ، فالعجل . إذا . في نشأته وذاته ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (١٧ : ١١) منذ كان ماء دافقا ، فهو

(١) المجمع عن أبي عبد الله (عليه السلام) ان آدم لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادرا الى ثمار الجنة وهم بالوثوب وفي تفسير القمي ل ما اجري في آدم الروح من قدميه فبلغت الى ركبتيه أراد ان يقوم فلم يقدر فقال الله ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وفي الدر المنثور عن مجاهد في الآية قال : آدم . حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق فلما اجري الروح في عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس.

مستعجل بطلب ما يؤثره واستطراف ما يحذره ، والله سبحانه يعطيه ما طلب ويصرف عنه ما رهب على حسب ما يعلمه من المصالح ، لا ما يهواه من المطالح.

فالعجل في أصله خير تحريضا له على الاستعجال في مسارح الخيرات ، كدحا منه في الطلب ، وكبحا بلجام الصبر في مسارح الوقفة او الهرب.

فلا مأخذ على الله في خلق الإنسان من عجل وفي عجل تضمينا للنجاح في طلبات الخير ، بل هو على الإنسان الكادح غير الكابح في مجالاته الحيوية حيث يدعو بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا.

ومن ذلك العجل الطالح غير الصالح استعجال المكذبين بآيات الله بعذاباته ، ولها اجل مسمى : «ولولا اجل مسمى لقضي بينهم» ومن قبلهم لهم آجال في الحياة الدنيا مستأجلة امهالا واملا لا وهم يستعجلونها!.

﴿سَأَرْيَكُم آيَاتِي﴾ لوقتها ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ حينها بل وتستأجلونها ولات حين مناص ، إذ قد مضى يوم الخلاص.

فالإنسان بطبعه يمد ببصره ويده الى ما وراء اللحظة الحاضرة استعجالا لكل اجل وان كان فيه ضره ، الا ان يتصل برحمة من الله ، ويكل امره الى الله ، ويستسلم في كل عاجل وآجل لله ، ابتغاء مرضات الله.

ف «إياك والعجلة بالأموال قبل أوانها ، والتساقط فيها عن إمكانها ، او اللجاجة فيها إذا تنكرت ، او الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل امر موضعه ، وأوقع كل عمل موقعه» ف «مع الثبوت يكون السلامة ، ومع العجلة يكون الندامة ، ومن ابتدأ العمل في غير وقته كان بلوغه في غير حينه».

ثم ومستأجل المستعجل هو كمستعجل المستأجل ، فليكن التعجيل والتأجيل كل لوقته المؤجل.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٣٨.

وترى ما هي الرباط بين صدق الوعد ومثاه وهم يرددون هذه القولة أمام الداعية كأهم بذلك هم الغالبون!.

و ﴿هَذَا الْوَعْدُ﴾ قد يعم عاجله وآجله في عاجل الحياة وآجلها ، وعلى أية حال فهو وعد مجهول الأمد ، معلوم البدء.

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ٣٩ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ٤٠.

«لو» قد تعني هنا استحالة علمهم بالزمن المحدد للوعد ، فالجواب مقدر ، لو يعلمون لكان شأنهم غير شأنهم المستهزء الشائن ، ام تعني تمنى علمهم عرضا لحالهم الظاهر من قالمهم ، و «حين» على الوجهين مفعول «يعلم» فلو يعلمون وقد ناشتهم النار من وجوههم وظهورهم ، في هذه المباغته لوعدهم ، حيث تلقفهم النار وهم يلعبون : ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ (٧ : ٩٨).

وانها مباغته تشل الارادة وتذهل العقول ، فلا هم يكفون عن وجوههم النار او عن ظهورهم ولا هم ينصرون في ذلك الكف ، إذا فتبهتهم النار التي أحاطت بهم سرادقها ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ بقوة ذاتية ام نصرة ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ تأجيلا وقد كانوا بما يستعجلون. ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٤١.

تسلية لخاطر الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لست بدعا من الرسل في هزئك ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ثم باغتهم



العذاب في الاولى قبل الاخرى ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ نزولا وحلولا ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ﴾ وهو العذاب الموعود ، وهو نفس استهزاءهم ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (٤٣ : ٣٥).

﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ٤٢ .  
الكلاءة هي الحفظ للشيء وتبقيته ، فمن ذا الذي يحافظ عليكم من الخطرات الناجمة لكم الهاجمة عليكم إلا الرحمن الذي خلقكم ، ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ . ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (٦ : ٦١) ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (١١ : ٥٧).  
ف ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ .. مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ الا الرحمن وكما يقال : أعوذ بك منك! آمن يلكؤكم من بأس الرحمن .. ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ (٦ : ١٧) فلا كالى إلا الرحمن ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ فهم غافلون ألا كالى لهم من الرحمن إلا الرحمن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾!

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ ٤٣ .  
تلك الآلهة الواهية ، الجاهلة العاجزة الكالحة ، إذ لا يستطيعون نصر أنفسهم من بأس الرحمن ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ ويجارون ، افهم ﴿تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ وهم «آلهة من دوننا»؟ آلهة من دوننا ، تمنعهم من دوننا!

فحين لا كالى لهم في الاولى وهي دار الأسباب والبلوى ، فكيف . إذا . بالأخرى وقد تقطعت الأسباب ، وحارت دونها الألباب؟.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ٤٤.

انه ليس لهم حول ولا قوة في منعمهم من دون الله ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ متاع الحياة الدنيا وزينتها فأتروا فيها ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ في متعمهم واطرافهم في كل أطرافهم ، فنسوا ذكر الله ، وذلك هو الابتلاء البعيد السحيق بالمتعة النعمة ، حيث تبدل نعمة ونقمة ، فقد بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار .

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾. ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوْفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ. أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٣ : ٤١).

ذلك الإتيان الرباني هو إتيانه بالقوة القاهرة ارض الإنسانية لينقصها من أطرافها بعد إكمالها بأطرافها ، نقصانا لناسها النسناس <sup>(١)</sup> وهو من كمالها ، ام لناسها الناس كالعلماء الربانيين <sup>(٢)</sup> وهو من نقصها ، وعلى اية الحالين فهو انتقاص من ارض عن ساكنيها قلة ام ثلة ، كما ومن نقصانها الزلازل والبراكين المدمرة المزججة لاطراف منها ، حيث تعني الأطراف محيطاتها الحائطة بها فهي . إذا . كلها ، وذلك المثلث من نقصانها تهدد بمن يتمتعون كما الانعام ولا يروعون ، فأوسطه للمسلمين الذين لا يسمعون ولا يعون من علماءهم والآخران للمكذبين بآيات الله الذين بدلوا نعمة الله كفرا.

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١٩ عن الحسن يقول في الآية : ظهور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على من قاتله أرضا أرضا وقوما قوما.

(٢) في الجمع : وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : نقصانها ذهاب علمها.

وذلك من مسارح الغلبة الربانية على الذين هم عن ذكر ربهم معرضون ﴿أَفَهُمْ  
الْغَالِبُونَ﴾؟ كيف ، ونحن نرى الأرض طول تاريخها الانساني تطوى فيها رقعة الدول المتغلبة  
المتألبة فتتحسر وتتقلص وتتنگس ، فإذا هي ويلات في دويلات بعد ما كانت امبراطوريات  
كالروماني والایراني ، وإذا هي مغلوبة على أمرها وقد كانت غالبية على آخرين .  
﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ ٤٥ .

إنذار رسالي ليس إلا بالوحي ، دعاء لمن يسمع الدعاء ، فاحذروا أن تكونوا من  
الصَّم الذين لا يسمعون الدعاء فتطوى الأرض تحت أقدامكم ، وتقص يد القدرة الربانية  
اطرافكم ، فتصبحون جيفة جيفة بعد ما كنتم . كما تزعمون . في حياة ناعمة شريفة .

فلا قصور ولا تقصير في الإنذار بالوحي ، وانما ذلك فيمن يندرون ولا يسمعون ﴿إِنَّ  
شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ﴾ (٨ : ٢٢) حيث تنازلوا عن السمع  
والعقل انسانيًا ، فأصبحوا شر الدواب ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا  
وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (٧ : ١٧٩) :  
﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٤٦ .

«نفحة» فقط دون زيادة ، وهي النفحات الدنيوية بمختلف العذابات مستأصلة  
ودونها ، وهي على أية حال نفحة من العذاب واصابة اليسير منه القصير ، دون نفسه  
الطويل العسير ، يدل واقعه على عظيم متوقعه ،

وشاهده على فظيع غائبة.

وهنا لك الويل والاعتراف ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ولات حين مناص ،! وقد مضى يوم الخلاص.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٤٧.

الموازين هي جمع الميزان : ما يوزن به ، و «القسط» عطف بيان للموازين ام وصف لها ، وانما أفردت تأشيراً الى وحدة الموازين في كونها قسطاً ، مهما كان لكل حالة وقالة وفعالة ميزان من نوعها هو القسط المعني ، منها ، كما ﴿الْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقَّ﴾ حيث الحق هو الوزن ، فحق الصلاة وزن لها ، كما حق الايمان ام أيا كان هو حقه المرام ، كتاباً ونبياً هما الجناحان المحلقان على الحق المرام الطائران بنا الى الحق المرام.

فلذلك يجمع الوزن الحق بعده مفرعاً عليه : ﴿وَالْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقَّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ..﴾ (٧ : ٩).

ولان القسط هو فوق العدل فهو أحق الحق ، فقد تلمح ان الله يثيب الصالحين أكثر مما عملوا قسطاً ، ويعاقب الطالحين اقل مما عملوا للحد الذي لا ينافي العدل.

فالحق القسط هما الموازين وهما متمثلان في كتابات الوحي ورجالاته<sup>(١)</sup> ولكل جنبات من الميزان ، توزن بها الأقوال والأحوال والأعمال ثم لا وزن كما لا ميزان للباطل : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٣٠ في معاني الاخبار باسناده الى هشام قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الآية قال : هم الأنبياء والأوصياء.

أَعْمَاهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٨﴾ (١٠٥ : ١٨) ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (١٠١ : ٧) وكما يروى «الحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان».

فليس . إذا . الميزان ما له كفتان ام أيا كان من وزن نتعوده ف «ان الأعمال ليست بأجسام انما هي صفة ما عملوا ..» <sup>(١)</sup> فانما هو القياس للحسنات على الحق والقسط ، فعلى قدر تمثلهما فيها يكون الوزن ، ثم لا وزن للسيئات <sup>(٢)</sup> اللهم إلا قياسا على سيئات غير من خفت موازينه كأهل الإسلام <sup>(٣)</sup>.

(١) البرهان ٣ : ٦١ في الاحتجاج عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث له مع سائل يسأله قال : او ليس توزن الأعمال قال ان الأعمال .. وانما يحتاج الى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها وان الله لا يخفى عليه شيء قال فما الميزان؟ قال : العدل ، قال : فما معناه في كتابه : فمن ثقلت؟ قال : فمن رجع عمله.

(٢) المصدر في روضة الكافي كلام لعلي بن الحسين (عليهما السلام) في الوعظ والزهد في الدنيا في الآية اعملوا عباد الله ان اهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنصب لهم الدواوين وانما يحشرون الى جهنم وانما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام فاتقوا الله عباد الله.

(٣) الدر المنثور . اخرج جماعة عن عائشة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني واضربهم واشتمهم فكيف انا منهم؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم ، فان كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل ، فجعل الرجل يبكي ويهتف فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اما تقرأ كتاب الله ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا...﴾ فقال الرجل يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئا خيرا من مفارقتهم أشهدك أنهم أحرار.

ومن قسط الموازين . حيث « لا تظلم » ﴿نَفْسٌ شَيْنَاءٌ﴾ : ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ تصويرا لا صغر ما تلحظه العيون ، تمثيلا ماثيلا لأقل الحسنات ، واما السيئات فلا يؤتى بصغائرها لمن ترك كبائرها : ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (٤ : ٣١) وكذلك الكبائر المعفوة بتوبات ، وعله كذلك صغائر السيئات لمقترفي في الكبائر ، فلا تكفيهم كبائرهم بأسا ، وذلك قضية الحق القسط لمقترفي في السيئات<sup>(١)</sup> .

فلا يفلت عن الوزن ماله وزن ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ حيث الحيلة العلمية والقدرة الآ محدودة وهو سريع الحساب .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ

(١) البرهان ٣ : ٦١ عن الطبرسي في الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) في حديث له مع زنديق في جواب مسأله قال (عليه السلام): واما قوله : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْنَاءٌ﴾ فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة يدين الله تعالى بعضهم من بعض ويجزيهم بأعمالهم ويقتص للمظلوم من الظالم ومعنى قوله : فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه فهو قلة الحساب وكثرته والناس يومئذ على طبقات ومنازل فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا ، ومنهم من يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لم يتلبسوا من الدنيا بشيء وانما الحساب هناك على من تلبس منها هاهنا ومن يحاسب على التقير والقطمير ويصير الى عذاب السعير أئمة الكفر وقادة الضلال فأولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزنا ولا يعبأ بهم لأنهم لم يعبتوا بامرهم ونهيهم يوم القيامة فهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها طالحون .

وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا  
 إِبْرَاهِيمَ رُسْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا  
 عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ  
 مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ  
 تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا  
 بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَاتُوا بِهِ  
 عَلَى أَغْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ  
 فَعَلَهُ

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ  
 (٦٤) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)  
 قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ  
 (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا  
 لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً  
 يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)  
 وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَاثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ



سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

سرد لقصص من بعض المرسلين وما لا قوة وذاقوه من بأس المكذبين ، وما نصرهم الله عليهم والعاقبة للمتقين ، تسلية لخاطر الرسول الأقدس تأسيا بسنن المرسلين.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ٤٨ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ ٤٩ .

«الفرقان» هو آية الرسالة الحقة المعبر عنه هنا في التورات ب ﴿ضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ : ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢ : ٥٣) فليست التوراة بنفسها آية وفرقانا بين حق الدعوى وباطلها ، وانما هو القرآن الذي هو بنفسه فرقان وضياء وذكر للمتقين ، ولذلك يعقبها كلها ب ﴿هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ ، وفرقان موسى هو ثعبان العصا واليد البيضاء واضراهما من آيات الله الكبرى ، وفرقان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو القرآن : ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (٣ : ٤) . ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٢٥ : ١) .

ثم ﴿وَضِيَاءٌ وَذِكْرٌ﴾ يتمثلان في التوراة ورسول التوراة ، فليسا هما الضياء والذكر ككل ، وانما ﴿ضِيَاءٌ وَذِكْرٌ﴾ ولكنما القرآن الفرقان هو الضياء والذكر ككل ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ كما هو الفرقان ككل.

و ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ..﴾ مواصفتان للمتقين المستضيئين بضياء والمتذكرين بذكر ، ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ وهو «بالغيب» و ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ وهم «بالغيب» عن المشاهد» ام ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ بالغيب في قرارة أنفسهم ، ام بسبب الغيب وهو الآخرة التي هم منها مشفقون ، محتملات اربع تحتملها كلها «بالغيب» باختلاف الجار والمجرور صدقا ومصداقا (١).

﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ القيامة «مشفقون» خوفا تشوبه الهيبة والعظمة.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ٥٠.

﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ يحمل كل فرقان وضياء وذكر دون إبقاء ، فالبركة هي الرحمة الواسعة المباركة «أنزلناه» بعد كتابات السماء وآياتها كلها ، وهي تشملها وزيادة قضية الخلود «أفأنتم» المألوفون بمرور الضياء وكرور الذكر والفرقان «له» الشامل لها كلها «منكرون» فباحرى ان تنكروها إذا «أنتم» ﴿لَهُ مُنْكَرُونَ﴾.

فنكران القرآن الفرقان نكران لكل فرقان لاي نبي كان ، ولا مجال لنكرانه لكتابي حيث الالفه بوحى الكتاب تلزمه على الايمان به ولا سواه ، فانه آية بينة الهية تدل على وجود الله لناكريه ، وعلى وحدته لمشركيه ، وعلى وحيه الرسالي القمة للمتريدين فيه ، فهو الفرقان الضياء الذكر المبارك

(١) فالياء على الثلاثة الاول بين ظرفية وسببية ، وعلى الاخيرة سببية ، والغيب على الترتيب غيب الله . غيبهم عن الناس . غيبهم في أنفسهم . غيب الآخرة.

الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .  
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ ٥١ .

«من قبل» هنا قد يعني . فقط . من قبل موسى وهارون ، ولكنه إيضاح للواضح  
حيث القبلية الزمنية لإبراهيم واضحة لدى الكل ! .  
فقد تعني . فيما عنت . القبلية الترتيبية وأوليتها بالنسبة لموسى مهما شملت الزمنية ،  
وكما عبر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأول العابدين فقد «أوجس ﴿فِي نَفْسِهِ  
خِيفَةً مُوسَى﴾ ولم يوجس إبراهيم حين وضع في المنجنيق <sup>(١)</sup> وابتلي بابتلاءات لم يتل بها  
موسى ، وهذه من قبلته الترتيبية على موسى .  
أم وقبلية في حياته ، ان رشده في الدعاية الصامدة التوحيدية كان قبل إمامته ورسالته  
، حيث كان في حضانة آزر وهو بعد طفل ، لم يبلغ مبلغ الرجال ولا الشباب ، فقد بزغت  
دعوته هذه منذ بزغت حياته العقلية الطفولية ، وذلك الرشده هو من عطيات الله .  
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ ولم تكن عطية مجانية فوضى ، بل ﴿وَكُنَّا بِهِ  
عَالِمِينَ﴾ انه يوفّي ويكفّي أمانة الله .

---

(١) بحار الأنوار ١٢ : ٣٥ عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال سألت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) عن  
موسى بن عمران (عليه السلام) لما رأى حبالهم وعصيتهم كيف أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها إبراهيم (عليه  
السلام) حين وضع في المنجنيق وقذف به في النار؟ فقال : ان إبراهيم (عليه السلام) حين وضع في المنجنيق كان  
مستندا الى ما في صلبه من أنوار حجج الله عز وجل ولم يكن موسى (عليه السلام) كذلك فلهذا أوجس في نفسه  
خيفة موسى ولم يوجسها إبراهيم .

إذا فليس رشده المؤتى من لدنا «من قبل» فوضى جزاف ، بل انه حلّ محلّه اللائق الالابق ، وذلك هو الرشد الرشيد لمن يتبعته الله رسولا الى خلقه ، انه يصنعه بعينه ورعايته ، ما يعبد طريقه الى الرسالة ، منذ أصلاّب الآباء وأرحام الأمهات حتى الولادة والطفولة والغلمة البالغة والكهولة والشيخوخة ، فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ، ولكي يأهل حمل الامانة الكبرى ، متعبا نفسه فيها.

وهذه الآية بما بعدها حلقة رسالية شاخصة في ميادينها تحلّق على تاريخها مقسّمة الى مشاهد متتابعة بينها فجوات ، بادئة بسابق الرشد لإبراهيم في ذلك المسرح الصريح الجريء ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ وباستعداده لحمل الامانة الكبرى التي حملها المرسلون ، وهو صاحب الراية في الطليعة :

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ ٥٢.

وان بين قاله لأبيه آزر وقاله لقومه ربح من الزمن ، إذ قال لأبيه وهو تحت حضانته وكفالتة ولما يبلغ مبلغ الرجال والشباب ليخوض خضمّ المجتمع حتى يكون له قوم ، مهما كان القال نفس القال ، لوحدة المجال ، وداء الشرك العضال.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (١٩ : ٤٣). ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٦ : ٧٤). والتماثيل هي الأشباه ، إذ كانوا يعملون الصور المجسمة الشبيهة بذوات الأرواح ، وهي أشباح بلا أرواح ، وكيف يعكف ذوو الأرواح لما يصنعونه من غير ذوات الأرواح ، وهم لأن يعبدوا لها أخرى من أن يعبدوها ، لأنهم أولاء صانعوها.

وفي إنجيل القديس برنابا الحواري حوار بين ابراهيم وأبيه آزر نذكر منها هنا مقتطفات<sup>(١)</sup>.

و ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ استجواب فيه تزييف آلهتهم التماثيل ، أجسادا بلا أرواح يعكف لها ذوو الأرواح؟!.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ ٥٣.

قالوه عذرا لعكوفهم القاحل الجاهل على هذه التماثيل كسنة قومية محترمة بين الأقوام ، وذلك تحجّر عقلائي داخل القوالب التقليدية الميتة ، وتنازل عن العقلية الانسانية بل والحيوانية ، التي لا ترضى تذلا أمام الأذل الأردل ، المصنوع للعابد نفسه وأضرابه.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٥٤.

فالضلال المبين ، الذي يبين انه ضلال انه ليس ليتبع مهما كان سنة الآباء ، وليست عبادة الآباء لأنهم آباء بالتي تكسب هذه التماثيل قداسة

---

(١) الفصل ٢٦ : ٢٥ « كان ابراهيم ابن سبع سنين لما ابتدأ ان يطلب الله فقال يوما لأبيه يا أبتاه من صنع الإنسان .. (٤٦) : اي شيء تشبه الآلهة (٤٧)؟ أجاب يا غي اني كل يوم اصنع إلها أبيعها لآخرين لاشترى خبزا وأنت لا تعلم كيف تكون الآلهة (٤٨) وكان في تلك الدقيقة يصنع تماثلا (٤٩) فقال هذا من خشب النخل وذلك من الزيتون وذلك التمثال الصغير من العاج (٥٠) انظر ما أجمله الا يظهر كأنه حي (٥١) حقا لا يعوزه إلا النفس (٥٢) أجاب ابراهيم إذا يا أبي ليس للآلهة نفس فكيف يهبون الأنفاس (٥٣) ولما لم تكن لهم حياة فكيف يعطون إذا الحياة (٥٤) فمن المؤكد يا أبي ان هؤلاء ليسوا هم الله .. (٥٧) ان كانت الآلهة تساعد على صنع الإنسان فكيف يتأتى للإنسان ان يصنع آلهة (٥٨) وإذا كانت الآلهة مصنوعة من خشب فان إحراق الخشب خطيئة كبرى (٥٩) ولكن قل لي يا أبت كيف وأنت قد صنعت آلهة هذا عديدها لم تساعدك الآلهة لتصنع أولادا كثيرين فتصير أقوى رجل في العالم ... ».

وقيمة ، حيث القيم تنبع من الواقع المتحرر الطليق ، سواء عرفها الآباء ام جهلوها ، وليست مفتعلة تصبح سننا متبعة مهما تواترت بين الآباء.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ ٥٥.

ومجرد استفهامهم هذا دليل تجردهم عن الحق ، وعن اي برهان لما هم عليه ، فانه سؤال المزعزع العقيدة ، حيث لا يطمئن الى ما هو عليه ، تيه يتخبط فيه من لا يدينون دين الحق ، انحسارا وتحلفا عن حكم الفطرة ، وانحصارا بالاحكام التقليدية القالحة الجاهلة.

﴿أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ الناصع كما تدعيه ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ بعقائدنا ، تبديلا لها الى اخرى من اضربها ، ام من اللاعبين بالحق حيث تظهر الباطل بمظهر الحق.

وقد يعنى من الحق فيما يعنى «الجد» بقرينة اللاعبين ، هل أنت مجد فيما تقول ام لاعب ، حيث الجد خلاف الآلهة بعيد عنم يعيش جوّ الإشراك.

﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾

٥٦.

بل جئت بالحق ﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ لا هذه التماثيل التي أنتم خلقتموهن ، وقد فطر الله الخلق كله بفطرة التوحيد ، ومنه الإنسان المفطور على ذلك «وانا» المفطور على ما فطرهن «على ذلكم» الحق الناصع ﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ والسماوات والأرض هي كلها بمن فيهما وما فيهما ﴿عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ شهادة فطرية وعقلية وكونية اما هي ، ولا تملك اية حقيقة هكذا شهود في كمها وكيفها ، ما يملكه التوحيد من شهود ، حيث الكون كله شهوده دون إبقاء ، الا من

تنازل عن فطرته وعقليته.

وعلى «فطرهن» جمعا دون فطرهما ، لكي تشمل معهما هذه التماثيل ، فهو - إذا -  
رب للعابدين والمعبودين سواء ، فكيف يعبدون سواء؟.  
فلست انا - فقط - الذي جاء بالحق في التوحيد ، بل الكون كله ، ولست أقوله دون  
إيمان كالذين ﴿جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ بل اشهد به كما يشهد الشاهدون ،  
فلست انا من اللاعبين ، بل جئكم بحق مبين.  
هذه شهادة ابراهيمية على التوحيد وانه الحق الجّد ، وبالتالي يثنّيها بالواقع الذي  
توعده.

﴿وَتَاللّٰهِ لَآكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ ٥٧.

موقف جريء ما أجرأه وأجره على يديه ، أمام تلك الحشود المحتشدة المشركة ، تاركا  
ما اعتزمه من كيد الأصنام ، الأكيد ، مبهما دون إفصاح ، مما يضخم أبعاد الوعيد ، وكأنهم  
نظروا الى وحدته دون ناصر فوهده لو اعتزم ، فلم يأخذوا وعيده بعين الاعتبار ، سنادا الى  
قوتهم وضعفه ، لذلك لم يرجعوا له جوابا ، فلو كان لبان حيث الموقف موقف البيان.  
كيد مؤكد لأصنامكم ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ كما ولّوا وتركوه ، تهوينا لكيدة المعتزم  
وتهوينا لحقه المخترم وقبولا لعذره الكائد المكتتم ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ. فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ.  
فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٣٧ : ٨٩) :

فلما هموا بالذهاب الى عيد لهم ، طلبوا اليه ان يرافقهم فأبى عن الانسلاك في سلكهم  
بعذره العاذر : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ دونما سقم ظاهر ، إلا سقم النفس واضطراب الحال وكسوف  
البال ، حيث كان يتقطع حزنا على اشراكهم ، ويتميز غيظا لأنهم لم يلبوا ندائه ، وقد عقد  
عزمه ان يهدم صرح آلهتهم التي ألهتهم ويقوّض عرشهم ، لما رأى الحجة القولية لا تنفع

فأراد ان يشرك أبصارهم ببصائرهم ، وحواسهم مع افئدتهم علّهم الى رشدهم يثوبون وعن غيهم يتوبون :

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ٥٨ .

خلى الجو من رصد العيون ، فدلف الى أصنامهم فوجد باحة قد اكتظت بالتماثيل وانتشرت في ارجائها الأصنام فخاطبها محتقرا لشأنها «ألا تأكلون! ما لكم لا تنطقون» وأتى للحجارة ان تأكل او تنطق ، فأخذ يلطمها بيده ويركلها برجله وتناول فأسا وهوى عليها يكسرها ويحطمها حتى جعلها جذاذا الا كبيرا لها في أجسادها ، ليجعلها جذاذا في قلوب عابديها بذلك الواقع ، بعد ان جعلها جذاذا من ذي قبل ب ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ جذاذات ثلاث تحت جذور الخرافة الشركية لو كانوا يعقلون.

فلقد كاد أصنامهم ب ﴿إِنِّي سَقِيمٌ. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ حي خلى الجو لما اعتزم ، ثم جعلهم جذاذا : قطعاً مكسورة مفتتة مهشمة ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ يرأسهم كأنه إله الآلهة ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ حيث الموقف يتطلب رجوعاً الى كبيرهم كمتهم في جعلهم جذاذ فيسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة ، ام هو الذي جعلهم جذاذا ليبقى في الميدان وحده كما هو قضية الحال في تعدد الآلهة لو كانوا يشعرون : «ولعلى بعضهم على بعض»! ثم رجوعاً الى ابراهيم الذي تركوه لحاله وهو المتهم الثاني إذ لا حول ولا قوة لكبيرهم ، ومن ثم رجوعاً الى الله بعد انتباهة هنا وهناك ، وضمير المفرد الغائب في «اليه» يتحمل الرجوع الى كل من الثلاثة على الأبدال ، حيث الكل من بنود الرجاء لإبراهيم وقد حصل على الأولين تماماً ، وعلى الأخير بعضاً حيث زلزل اركان تقاليدهم العمياء.



وبالفعل رجعوا إلى المعبد ، وبدل ان يرجعوا إلى أنفسهم ان الآلهة لا تغلب ، إذا فما هي بآلهة ، حيث الخرافة قد عطلت أنفسهم عن انسانية التفكير ، وبدل ان يرجعوا إلى كبيرهم ثم إلى ابراهيم فالى الله ، فإذا هم يتساءلون فيما بينهم حائرين.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٩.

حكما على من فعل هذا أيا كان ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بلا اي عذر ولا عاذر ، حيث التغلب هكذا على الآلهة ، وكسرها عن آخرها إلا .. ان ذلك هو الظلم العظيم والضميم الحطيم فلنفتش عن الظالم أيا كان اهو كبيرهم ام هو ابراهيم؟

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠.

وهنا «سمعنا» دون : رأيناه او سمعناه و «فتى» دون رجلا ، ثم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ دون ابراهيم ، هي توهينات ثلاث لكاسر الأصنام ، تجهيلا لأمره وتصغيرا لشأنه وتعريضا به انه «فتى» شاب وهذه الجرأة الظالمة هي من فعل الشباب ، مجهولا لا يعرف ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ كأنه أسمعته المستعار ، او ان معرفة اسمه عار ، ام انه في الأصل مجهول الاسم والرسم ليس له اي مقدار حتى يعرف بيننا باسم او رسم ، فانه مجهول حيثما دار.

وهي هي دأبة دائبة عاثبة لمن يراد توهينه وتهوينه مهما كان فعله عظيما ، اشعارا بانه في نفسه صغير صغير ، مهما ارتكب الكبير الكبير.

﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ بسوء ، وانه سوف يكيدهم فقد كادهم بالفعل ، و «ابراهيم» رفعا

فاعل «يقال» ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ٦١.

فلقد تقاطرت الوفود ، وتكاثرت الجموع إلى أجساد الآلهة وأجداثها ،

كلّ يرغب في القصاص من ابراهيم ، فجاءوا به وسط الجمع الزاخر بالقمع القاهر ، وأخذوا يحاكمونه استجوابا عن الطامة الواقعة ، أمام الجماعة المتغيّظة التي تحرق الإرم حنقا وغيظا.

﴿فَاتُّوا بِهِ﴾ إتيانا جاهرا ﴿عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ حيث يعاينونه في نفس المشهد وقبل ان تتفرقوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ يشهدونه من هو هذا الجريء ، ويشهدون عليه انه الفتى الذي كان يذكرهم ، ف «يشهدون» إقراره على فعلته ، ثم «يشهدون» نكاله بفعاله ، كيلا يطمع طامع بعد في فعلته ، اجتثا لجذور هذه الضغينة الشكيمة بالآلهة ، ولكي يرتاح عابدها بما يشهدون من نعمته.

شهادات اربع علّها معنية كلها حيث يتحملها اللفظ والمعنى ، فإن «يشهدون» الأجرد عن متعلقات ، نعم كافة المتعلقات من شهادة نفسه وإقراره وعذابه والشهادة عليه انه هو لا سواه.

﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٢.

استفهام استنكار للأخذ بالإقرار حتى يشهدوا إقراره ، ليكون في عزمهم على تحريقه إعذارهم ، و «آلهتنا» دون «الآلهة» كاعتراف منهم انه كان ينكرهم. وابراهيم الذي اصطنع ذلك الجو الحاشد ، والمسرح السائد ، تراه ماذا عليه في الاجابة عن ذلك السؤال العضال ، حتى يحقق مأموله؟.

فهل يصارح بالواقع كما وقع : «أنا فعلت» وفي ذلك تهديم لصرح الحجاج ، وتعجيل منهم لكل عقوبة ولجاج ، فيصبح ما صنعه باطلا يرجع الى بوار ، فلا حجة تحصل ، ولا الرسول يبقى بل ينكل ، حتى ان بقي فما فائدة بقية في حياة الرسول دون تحقيق لحجته ، بل والناكرون للتوحيد يزدادون لجاجا حين يرون آلهتهم جذاذا دونما حجة ، تجعلها جذاذا بها بعد

جذاذها في أجسادها!.

أم يقول كذبا ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ باتا في قوله ، والكذب فشل وخلل في الرسالة ، وسوء سابقة للرسول ، فلا يعتمد على أقواله وان كان الكذب مصلحيا ، ولماذا يكذب والحق يملك كل حجج الصدق دونما حاجة الى أي كذب! والرواية القائلة انه كذب مطروحة او مؤلّفة ، لمخالفتها الآية ومسها من ساحة الرسالة الصادقة <sup>(١)</sup>.

عليه في ذلك المسرح المصروع ان يأخذ امرا بين أمرين تكون فيه نبهتم بحجة قارعة قاصعة في عاجله ، قبل ان يعزموا عليه نقمة لأجله ، وقد فعل فنسب الفعل في ظاهر الحال الى كبيرهم لكيلا يهجموا عليه دون امهال ولا مجال ، ثم جعل هذه النسبة في شرطية مشتملة على حجتين :

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ٦٣.

ليّ في الصدق ما أحراه بساحة الرسالة الصادقة ، حجة تجعلهم في لجة ، ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا .. إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ . ﴿فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فقد «والله ما فعله كبيرهم وما كذب ابراهيم ، انما قال فعله

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٢١ عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكذب ابراهيم في شيء قط الا في ثلاث كلهن في الله : قوله اني سقيم ولم يكن سقيما ، وقوله لسارة أختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا وفيه عن أبي سعيد ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : يأتي الناس ابراهيم فيقولون له اشفع لنا الى ربك ، فيقول : اني كذبت ثلاث كذبات فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما منها كذبة الا حل بها عن دين الله ، قوله : اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها أختي.

أقول : لقد صدق في : اني سقيم كما بيناه في آيته ، حيث سقم روحه في ضلالهم ، ثم في الحديث الثاني تضاد ، فان لم يصلح ابراهيم للشفاعة لأنه كذب ، فهو كذب غير معذور ، وان كان معذورا في كذبه فتركه للشفاعة غير مشكور!.

كبيرهم هذا ان نطق وان لم ينطق فلم يفعل كبيرهم هذا شيئا»<sup>(١)</sup>.

وهذه طبيعة الحال في الآلهة الناطقة الحية ان كبيرهم يصرع شركاءه ليتوحد هو بالآلهية : ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٣٣ : ٩٤).

ثم ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فهم أخرى ان يسألوا من فعل بهم هذا ، إذا ﴿فَسأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ولا تسألوني أنا ، شرطية صادقة باهرة تحمل حججا قاهرة : فأسئلوهم هل قتلهم كبيرهم ام سواه ، ولا بد لهم من اجابة ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فإذا لا ينطقون فما هم بآلهة ، ولو نطقوا فليس إلا كبيرهم فعله قضية التغالب في آلهة عدة ، دون عبيد كأمثال ابراهيم.

فعدم نطقهم ، وجعلهم جذاذا بفعل ابراهيم ، هما برهانان اثنان انهم أضعف من احد من العباد فكيف يعبدهم العباد.

فلقد فسحت هذه الشرطية المجملة الجميلة تلك المجالات الفاسحة لاحتجاج ابراهيم على من حضر من عبدة الأصنام ، ولا شك ان اجتماع القوم في صعيد واحد كان أمنية ابراهيم التي طالما جاشت نفسه بها وتوخاها ليقم عليهم الحجة جميعا.

ويا لها من تحكم ساخر يهزئهم هزء ويهزئهم هزءا ، حيث يحمل برهانا صارحا صارخا في الحشد انها ليست بآلهة إذ لا تنطق ولا تحافظ على أنفسها ، فضلا عن أن تنطق بصالح عبادها ، والحفاظ على مصالحهم.

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٣١ عن تفسير القمي في الآية : فقال الصادق (عليه السلام) والله ....

فقل كيف ذلك؟ فقال : انما قال ... أقول : ان كانوا راجع الى كلتا الجملتين : فعله فأسألوهم ..

وهنا نرى تلك الأنفس الفالسة عن عقولها ، المتخبطة في كل حقولها ، ترجع الى أنفسها عند الجواب الحاسم القاصم :

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٦٤ .

بادرة خير في أنفسهم الخاوية ان يحكموا بظلمهم أنفسهم دون ابراهيم ، حيث «أنتم» تحصر «الظالمون» فيهم ، تبرئة لساحة ابراهيم عن الظلم فيما فعل ، بل هو العادل فيما فعل حيث رجّعنا إلى أنفسنا واشعرنا بظلمنا أنفسنا .

فاتحة فيها بارقة الأمل كما تفأل : ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ تفتحا لبصائرهم لأول مرة في حياتهم المشتركة ، وتدبرا في ذلك السخف الذي كانوا عنه صادرون ، والظلم الذي كانوا هم فيه سادرون ، وقد قالوا من قبل ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فما مضى إلا آونات حتى حكموا على أنفسهم : ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وما أحلاه كلمة حق على لسان المبطل بحجة رسالية وامضة كهذه ، تجعل حجتهم داحضة وتراهم «فقالوا» كل لآخر؟ والكل غرقى في لجة الحجة! ولم يكونوا ليصارحوا بهذه النكسة أمام ابراهيم! ام كل لنفسه في نفسه؟ وهذه قضية الموقف ، و «أنفسهم» دون «بعضهم الى بعض» كما «اقبل بعضهم على بعض يتلأومون» . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴿٦٨ : ٣١﴾ دون ﴿على أنفسهم﴾ .

وقد تعني «أنفسهم» هنا ما عنته ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ رجوعا لكل الى نفسه ، ثم الى الآخرين دون مصارحة تعرف ، في لمحات وإشارات فيما بينهم ، ولكن ابراهيم وهو شيخ العارفين عرف رجوعهم الى ذات أنفسهم فضلا عن اشاراتهم لمن سواهم ، ومن ثم أدركتهم الحيرة وعقد الحصر ألسنتهم فأطرقوا برؤسهم منكبين واستجمعوا شارد عقولهم :

﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ﴾ ٦٥ .

ويا لها من نكسة على الرؤوس بعد رجعة الى النفوس ، ثم قاله صارخة بتأكيد الخطاب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ ارتكاسة مثلثة الزوايا بحجة واحدة في المسرح كان فيها مصرعهم لو ظلوا منتبهين ، وهذا وصف ما لحقهم من الخضوع والاستكانة والإطراق عند لزوم الحجة وقد شبهوا بالمرتدي على رأسه ، تدويحا بنصوع البيان ، وإبلاسا عند وضوح البرهان.

وهنا ينتهز الداعية الواعية بكلمتين كالميتين كحجة اخيرة فيها كل تأنيب على ضاللتهم :

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ٦٦ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٧.

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ. وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣٧ : ٩٦) فعبادة الإله ، اما هي لاستجاء نفع وليست هي نافعة لأنفسها فضلا عن عابديها ، ام لاستدفاع ضرر ، وليس هي ضارة ، بل متضررة كما جعلت جذاذا ، ام لكمال ذاتي وان لم تنفع او تضر ، وهي ميتة لا تشعر ، أم وحتى لو كانت تشعر فكيف تعبد وهي لا تنفع ولا تضر ، «أف لكم» تضجرا وتبرما لصنيعكم ، ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فقد ضعف الطالب والمطلوب ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ ،

وانها قاله في حالة تقتضيها قضاء حاسما ، استعجابا من السخف الذي يتجاوز كل مألوف ويتجاهل كل معروف ، فضربة صارمة قاضية علهم يفيقون ، ام يفعلون كما يشتهون.

هنا لك احترقوا بما فعل ، فاخذتهم العزة بالإثم ، تجاهلا عما قالوه ، وتغافلا عما فعلوه ف :

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٦٨.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (٣٧ : ٧٩) تحريقا عريقا كما احرق أكبادهم حيث جعل آهتهم جذاذا كونا وكيانا ، وجعلهم جذاذا فيما كانوا يعتقدون ، فلم يجدوا بدا إلا ان يؤمنوا وهم لا يؤمنون ، او يعكسوا امر الحرق عليه وقد فعلوا زعم انهم قاهرون.

ويا لها من آلهة كالحة ينصرها عبادها بعد جذاذها! وذلك التحريق هو في الحق تحريق لأحداث الآلهة بعد جذاذها ، ان لا حول لها ولا قوة ، حيث هي بحاجة الى نصره عبّادها ، وليسوا لينصروها ولو احرقوا ابراهيم!.

«قالوا» وافتعلوا ما بمكانتهم من بنيان الجحيم ، فلما القوه في الجحيم أصبحت جنة بقالة تكوينية :

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩.

وهنا يطوي السياق الحال بين القالين ، مما يلوح ان لم يكن لإبراهيم مقال آخر معهم ، ولا مقال مع آخر ، وإنما هي الحال والله يرى الحال على أية حال.

في هذه الحالة المخرجة يروى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جبرئيل (عليه السلام) قال : لما أخذ نمrod ابراهيم ليلقيه في النار قلت يا رب عبدك وخليلك ليس في أرضك احد يعبدك غيره ، قال الله تعالى : هو عبدي آخذه إذا شئت ، ولما ألقى ابراهيم (ع) في النار تلقاه جبرئيل (عليه السلام) في الهواء وهو يهوي الى النار فقال : يا ابراهيم لك حاجة؟ فقال : اما إليك فلا ، وقال : يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد نجني من النار برحمتك ، فأوحى الله تعالى الى النار : كوني بردا وسلاما على ابراهيم<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار ١٢ : ٣٩ بسند عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال .

اجل «اما إليك فلا واما الى رب العالمين فنع»<sup>(١)</sup>.

«قلنا» هنا وفي اضربها من الأمور التكوينية هي الارادة القاطعة الإلهية ، فالذي قال للنار كوني حرقا وايلاما ، هو القائل هنا ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ والنار هي النار ، وقد تلمح له ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ إذا فلم تبرد النار حتى تتحول عن ماهية النار ، بل بقيت نارا حارة إلا على ابراهيم ، ولو لم يقل «سلاما» بعد «بردا» لأثلجت ابراهيم ببردها ، ولكنها البرد السلام فأصبح ابراهيم كأنه في روضة خضراء معتدلة الهواء ، اصطيفائية الفضاء<sup>(٢)</sup>.

. اختبرني أبي عن جدي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جبرئيل قال : ... وفيه (٣٥) عن الرضا (عليه السلام) قال : ان ابراهيم لما وضع في كفة المنجنيق غضب جبرئيل (عليه السلام) فأوحى الله عز وجل : ما يغضبك يا جبرئيل! قال : يا ربّ خليلك ليس من يعبدك على وجه الأرض غيره سلطت عليه عدوك وعدوه فأوحى الله عز وجل اليه : اسكت انما يعجل العبد الذي يخاف الفوت مثلك ، فاما انا فانه عبيدي آخذه إذا شئت قال : فطابت نفس جبرئيل فالتفت الى ابراهيم (عليه السلام) فقال : هل لك حاجة ، فقال : اما إليك فلا ، فاهبط الله عز وجل عندها خاتما فيه ستة أحرف «لا اله الا الله . محمد رسول الله . لا حول ولا قوة الا بالله . فوضت امرى الى الله . أسندت ظهري الى الله . حسبي الله» فأوحى الله جل جلاله اليه ان تحتّم بهذا الخاتم فاني اجعل النار عليك بردا وسلاما.

أقول وليس هذا الا خاتما بيد خاتم حيث ابراهيم (عليه السلام) أصبح تحسيدا لهذه الكلمات.

(١) وفيه عن تفسير القمي مثله الا فيما نقلناه وقيله : هو عبيدي آخذه إذا شئت فان دعائي أجبتة فدعى ابراهيم بسورة الإخلاص : يا الله يا واحد يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد نجني من النار برحمتك.

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٣٦ عن كمال الدين وتمام النعمة عن مفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال سمعته يقول أتدري ما كان قميص يوسف (عليه السلام) قال قلت : لا قال ان ابراهيم (عليه السلام) لما أوقدت له النار نزل اليه جبرئيل .



فما يروى انه «ما انتفع أحد بها ثلاثة ايام وما سخنت ماءهم» <sup>(١)</sup> كأنه هباء وهراء ، حيث النار الابراهيمية كانت تحرق غيره فضلا عن كل نار سواها ، ولو بردت النيران كلها لتواترات فوق كل ما حدث في تاريخ الإنسان! ثم لم يكن إذا في برد النار على ابراهيم آية معجزة لو ان النيران بردت كلها ، بما في ذلك البرد الشامل من ضرر على سكونة الأرض دونما فائدة لهذه الآية الخارقة إلا بائدة تقضي على كونها آية قضية الشراكة بينها وبين سائر النار .

هذه آية إلهية ابراهيمية دون شك ، لا تتحمل أي تأويل يجعلها خارجة عن خارقة ، مثل أن تخلي ابراهيم عن كل ما سوى الله حتى عن نفسه جعله لا يشعر بحرق النار ، حيث أحرقتة ولم يشعر أو لم تحرقه قضية الانقطاع عن

---

. بالقميص والبسه إياه فلم يضر معه حر ولا برد وفيه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان نمرد الجبار لما القي ابراهيم في النار نزل اليه جبرئيل بقميص من الجنة وطفنفسه من الجنة فألبسه القميص وأقعده في الطنفسة وقعد معه يحدثه.

(١) في الدر المنثور عن عائشة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان ابراهيم حين القي في النار لم تكن في الأرض دابة لا تطفئ عنه النار غير الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتله!.

وفي بحار الأنوار ١٢ : ٣٨ بسند عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما قال الله عز وجل : ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ما انتفع احد بها ثلاثة ايام وما سخنت ماءهم ورواه مثله عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وفيه : لم يعمل يومئذ نار على وجه الأرض ولا انتفع بها احد ثلاثة ايام ...

أقول : ويقابلها المروي فيه عن الرضا (عليه السلام) قال : لما رمي ابراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه بردا وسلاما» والمروي عن الباقر (عليه السلام) في حديث (٤٠) فنزل جبرئيل يحدثه وسط النار قال نمرد من اتخذ لها فليتنخذ مثل آل ابراهيم فقال عظيم من عظمائهم إني عزمتم على النيران ألا تحرقه قال : فخرجت عنق من النار فأحرقتة ...

حياة البدن؟.

ولكنها حالة ابراهيمية تقتضي البرد والسلام ، لا القالة الربانية ، وهي على أية حال لا تقتضي البرد مهما اقتضت زوال الحرّ ، فان قصارى هذه الحالة ألا يتأثر بحر النار ، لا ان تبدّل بردا وسلاما!.

وكالقول ان في ذلك تضادا في النار لحالة واحدة ، انها محرقة كل محترق سوى ابراهيم ، وكما أحرقت وثاقه الملقى به في النار ولم تحرق نفسه <sup>(١)</sup>.

وليس في نسبية الإحراق تضاد التناقض حتى يكون من المحال ، وما سواه ممكن بجنب القدرة الإلهية على أية حال ، كما الزمهير في النار والنار معه لا يتناحran.

أو انه ألبس قميصا من صنيع الله هو ضد الحرارة <sup>(٢)</sup> ولا بأس به حيث الخارقة الإلهية لا تحرق ضوابط العلية والمعلولية ، وانما تقفزها قفزة لا يستطيعها إلا الله ، ولكن القميص ضد الحرارة لا يمنع المواضع الخارجة عنه ، فعلى أية حال كوّنت النار على ابراهيم بردا وسلاما بما أراد الله بقميص وغير قميص!.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ٧٠.

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٢٢ . اخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن كعب قال : ما أحرقت النار من ابراهيم إلا وثاقه وفي نور الثقلين ٣ : ٤٣٩ . القمي عن الصادق (عليه السلام) في حديث النار فإذا هم بإبراهيم مطلقا من وثاقه ...

(٢) بحار الأنوار ١٢ : ٤٠ تفسير الإمام ١١٥ قال الإمام قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في احتجاجه على اليهود بمحمد وآله الطيبين نجى الله تعالى نوحا من الكرب العظيم ، وبرد الله النار على ابراهيم وجعلها عليه بردا وسلاما ومكنه في جوف النار على سرير وفرش وثير لم ير ذلك الطاغية مثله لأحد من ملوك الأرض وأثبت من حوالبه من الأشجار الخضرة النضرة النزهة وغمر ما حوله من انواع النور بما لا يوجد الا في فصول اربعة من السنة.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٣٧ : ٩٨).

هم ﴿أَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ ليحرقوه إحراقا لدعوته ، واجتاثا لدعايته ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ إحراقا لأكبادهم في ذلك المسرح الصارخ حيث يسمعه كل العالمين.  
﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ٧١.

لقد ضرب السياق عن مصير ابراهيم بعد البرد السلام صفحا ، وقضية الحال ان الطاغية لم يسطع ان ينكل به بعد حيث أرغم في أشد نكاله به ، «ونجينا» هنا إجمال عن نجاته من يد الطاغية «نجينا» من بابل نمرود «ولوطا» من سدوم وهي ﴿الْقَرْيَةُ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ (٧٤) نجينا هما ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهي القدس الشريف او فلسطين ككل وهي الشام في إطلاقها العام ، الشاملة للأردن ولسوريا ولبنان.  
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ٧٢.

هذه الوهبة المباركة بجمعية الصفات ، اللاحقة لمجموعة من الرحمات ، هي «نافلة» : زائدة على سائر هباته الموهوبة ، هبة منفصلة بعد متصلة ، هي استمرارية للكيان الابراهيمي على طول خط الرسالة العظيمة الاسرائيلية التي تضم الوفا مؤلفة من النبيين والمرسلين.  
وقد تعني «نافلة» . فيما عنت . نسبة إلى «إسماعيل» فانه أول وهبة زمنا ورتبا : «فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين. وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين. رب هي لي من الصالحين. فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعي ... وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين. وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين» (٣٧ : ٩٨ - ١١٧).

إذا ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ تحقيق لسئوله في سؤاله : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن في ذريتهم من رسل

وأئمة ونبين ، فهذه الهبة تحلق على كافة الرسالات والقيادات المعصومة منذ إسماعيل وإسحاق ويعقوب إلى كافة المرسلين الاسماعيليين والاسرائيليين ، وهاتان الرسالتان هما كل خطوط الرسالات الإلهية منذ ابراهيم الى يوم الدين.

ويا لها من هبة عظيمة قائمة الأصول ، منتشرة الفروع ، حيث تشمل كافة الرسالات والإمامات ، اصالة في الاسماعيلية المحمدية مهما كانت خاتمتها ، وفرعا في الإسحاقية الاسرائيلية ، مهما كانت من بدايتها ، هكذا :

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٧٣).

و «هم» في ذلك الجعل العظيم : ابراهيم وإسماعيل ومحمد والمعصومون من عترته ، كذلك وإسحاق ويعقوب والمرسلون من عترته ، مهما اختلفت درجات الإمامة والهداية بأمر الله بينهم ، فمنهم أئمة اربعة من اولى العزم من الرسل محمد و ابراهيم وموسى وعيسى ، ثم الاثنى عشر المحدثون ، وهم في درجته العليا إلا الوحي ، ومن ثم إسماعيل وإسحاق والرسل الاسرائيليون.

فحين يفسر «هم» بأئمتنا المعصومين <sup>(١)</sup> فهو تفسير باصدق المصاديق

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٤١ في كتاب المناقب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث طويل في فضل علي وفاطمة (عليهما السلام) وفيه قال (صلى الله عليه وآله وسلم): وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة واجعل في ذريتهما البركة ، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك الى طاعتك وبأمران بما يرضيك وفيه في اصول الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان الأئمة في كتاب الله عز وجل امامان قال الله تبارك وتعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ لا بأمر الناس ، يقدمون ما امر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم قال : وجعلناهم أئمة يدعون الى النار . يقدمون أمرهم قبل امر الله .

وأعلاها بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعدهم هم كافة

. وحكمهم قبل حكم الله يأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله ، وفيه وفي العيون عن الرضا (عليه السلام) في حديث الامامة قال : ثم أكرمه الله عز وجل يعني ابراهيم بان جعلها يعني الامامة في ذريته واهل الصفوة والطهارة فقال عز وجل : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ فلم تنزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا قرنا حتى ورثها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال الله جل جلاله : ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فكانت خاصة ...

وفي تفسير البرهان ٣ : ٦٥ ابن بابويه بسند متصل عن زيد بن علي قال كنت عند أبي علي بن الحسين (عليهما السلام) إذا دخل عليه جابر بن عبد الله الانصاري فبينما هو يحدثه إذ خرج اخي محمد من بعض الحجر فاشخص جابر ببصره نحوه ثم قال يا غلام اقبل فاقبل ثم قال أدبر فأدبر فقال شمائل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما اسمك يا غلام؟ قال : محمد قال : ابن من؟ قال ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال : اذن أنت الباقر (عليه السلام) فاتكى عليه وقبل رأسه ويديه ثم قال يا محمد ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرئك السلام ، قال : وعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل السلام وعليك يا جابر بما فعلت ، ثم عاد الى مصلاه فاقبل يحدث أبي ويقول ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي يوما يا جابر إذا أدركت ولدي محمدا فاقراه مني السلام اما انه سمي وأشبه الناس بي علمه علمي وحكمه حكمي سبعة من ولده أمناء معصومون أئمة ابرار السابغ منهم مهديهم الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ثم تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين.

وفيه محمد بن العباس .. عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال (عليه السلام) يعني الأئمة من ولد فاطمة (عليها السلام) يوحى إليهم بالروح في صدورهم ثم ذكر ما أكرمهم الله به فقال : فعل الخيرات.

الرسول إبراهيميين.

«وجعلناهم» هؤلاء المصطفين . ككل . من ذكروا هنا ومن يذكروا ﴿أُئِمَّةٌ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فكما ﴿جَعَلْنَاهُمْ أُئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ كذلك هم ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فان «بأمرنا» متعلق بكليهما ، فالإمامة المفعولة بأمر الله ، هي الهادية بأمر الله ، هدى معصومة من امامة معصومة لا قصور فيها ولا تقصير :

فليست الإمامة الهادية بأمر الأمة شورى وسواها ، ولا بأمر الإمام معصوما وسواه ، وانما الإمامة بجعل الله ، وهدايتها بأمر الله لا سواه وحتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ لا يسمح له ان يجعل إماما معه أم يخلفه بعده.

و «يهدون» يعم التكوينية وهي الإيصال الى الهدى ، الى جانب التشريعية وهي الهدى نفسها ، فهم يهدون الناس بشرعة الله بأمر الله ، ويهدونهم توفيقا للهدى بأمر الله ، فلا هم أنفسهم يهدون تشريعا ولا تكوينيا ، وانما هم اداة رسالية بيانا لشرعة الله ، وإيصالا الى هدى الله : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢٨ : ٥٦) ف ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٣ : ١٢٨)

وكما ان كلتا الهدايتين للأئمة رسلا وسواهم ، هما بوحى الله وامره ، كذلك ﴿فِعْلُ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ حيث ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ..﴾ لا . فقط . كيف يفعلون؟ فانه وحي الشرعة ، بل نفس ما يفعلون ، فانها بوحى الله ، عصمة وتسديدا من الله ، وليس ذلك الوحي فوضى جزاف دونما صلاحية لهم مسبقة ، بل ﴿وَكُنَّا لَنَا عَابِدِينَ﴾ قبل مثلث الوحي ، حتى استحقوه فاصطفاهم الله له رساليا أم سواه.

هذه هي الامامة المعصومة لا تجعل إلا بأمر الله ، كما هدايتهم للناس بأمر الله بنص خاص ، ولتكن كذلك الإمامة غير المعصومة في أية درجة من

درجاتها بأمر الله ، ان تنطبق على النصوص الواردة في شروط الامامة ، حيث القيادة الروحية هي من اختصاصات الربوبية ، فلا تصلح لمن سواه إلا بامر.

﴿وَلَوْ طَآءَنَآهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ ٧٤.

عل «حكما» هو حكم القيادة الروحية «وعلما» علمها بماذا يقود وكيف يقود وهذه هي الإمامة و «القرية» هي سدوم و ﴿تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ مؤنثا قضية ادب اللفظ ، حيث خلقت خبائث أهلها جوها تماما لحدّ كأنها كانت تعمل الخبائث ، ثم و «انهم» مذكرا قضية المعنى وهم عاملوا الخبائث ﴿كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ ... «نجيناه الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين» فكان مع ابراهيم وفي حضن رسالته وإمامته ، مع انه ايضا كان اماما لأمته.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٧٥.

وهكذا يكون دور كل صالح في ميزان الله انه يدخله في حرمة قدر صلاحه وصلوحه ، رحمة في النشآت الثلاث ، والرحمة الأخيرة هي حق الخلاص.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ٧٦.

«ونوحا» ومن بعده عدة من هؤلاء الأئمة ، منصوبين إعرابا لأنهم منصوبون كسائر الأئمة في ﴿جَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٣٧ : ٧٥) «نادانا» بقوله «رب اني ﴿مَغْلُوبٌ﴾ فَأَنْتَصِرْ ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ

﴿كَانَ كُفْرًا﴾ (٥٤ : ١٤) و ﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ هو الغم الشديد والهم المديد من تماديهم في الطغيان ، وهو الطوفان الشامل ، كما «واهلك» أهل كقرينة على ثاني الكربين ، ومنهم من آمن معه في غير اهله ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ... (١١ : ٤٠).

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٧٧.  
ولأن نوح من اولي العزم من الرسل ، فشرعته عالمية تحلق على كافة المكلفين ، إذا  
﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يستغرق كافة المكذبين به في الكرة الأرضية كلها.  
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ  
شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ  
وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ  
(٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ  
(٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ



يَعُودُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢) وَيُؤْتِيهِمْ رِزْقًا غَيْرَ الرِّزْقِ الَّذِي كَانُوا يُعْطَوْنَ بِهِ وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَلَيْهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) وَالَّتِي

أَخَصَّنَتْ فَرْجَهَا فَتَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾  
 ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ  
 شَاهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ  
 وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾.

الحكم هنا هو القضاء فصلا لخصومة في قضية واقعة ، لا الحكم الشرعي العام من  
 الشريعة الإلهية ، فان تفهمه من لزامات الرسالة ، وذلك الحكم المختلف فيه بين داود  
 وسليمان كان مسرحا للامتحان دون امتهان لداود ، واحترام لسليمان ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا  
 وَعِلْمًا﴾ على سواء ، بل ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ ..﴾.

إنما ذلك لكي يثبت داود ويعلم معه العالمون انه خاطئ في حكم خاص لولا تفهيم  
 من الله ، فضلا عن حكم الإمامة الرسالية وهو عامة الشريعة الإلهية.

ويبدو ان داود (ع) . لأنه كان الملك النبي والحاكم المطلق في بني إسرائيل ، وقد جعله  
 الله خليفة في الأرض : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾  
 (٣٨ : ٢٦) . يبدو أنه لذلك كان هو المسؤول في تلك المنازعة. ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾  
 فأبدى ما فهمه ربه وطبعا بإذن من داود ، إظهارا للقصور الذاتي للمرسلين لولا الوحي ،  
 ولأهلية سليمان للخلافة بعده <sup>(١)</sup>.

(١) البحار ١٤ : ١٣٢ عن الكافي بسند عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان .

## ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾!

وهل ان داود حكم قبل ان يفهمه الله؟ وذلك خلاف حكم الله والحكمة الرسالية ولا سيما عند الاختلاف بين حاكمين رساليين!.

كلّا! ولا اشارة هنا انه حكم ، بل «إذ يحكمان» دون «إذ حكما» دليل انهما كانا يتشاوران ويتناظران <sup>(١)</sup> في حكم القضية ، ثم الحاكمان المتفقان فضلا عن المختلفين ليسا ليحكمما في قضية واحدة ، ولا سيما إذا كان أحدهما الحاكم

. الامامة عهد من الله عز وجل معهود لرجال مسمين ليس للإمام ان يزويها عن الذي يكون من بعده ، ان الله تبارك وتعالى اوحى الى داود (عليه السلام) ان اتخذ وصيا من أهلك ، فانه قد سبق في علمي ان لا ابعث نبيا إلا وله وصي من اهله وكان لداود (عليه السلام) أولاد عدة وفيهم غلام كانت امه عند داود (عليه السلام) وكان لها محبا فدخل داود عليها حين أتاه الوحي فقال لها : ان الله عز وجل اوحى الي ياأمري ان اتخذ وصيا من اهلي فقالت له امرأته : فلتكن ابني ، قال : ذاك أريد ، وكان السابق في علم الله المحتوم عنده انه سليمان ، فأوحى الله تبارك وتعالى الى داود ان اجمع ولدك فمن قضى بهذه القضية فأصاب فهو وصيك من بعدك فجمع داود ولده فلما ان اقتضى الخصمان قال سليمان : يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال : دخلته ليلا ، قال : قد قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك هذا ثم قال له داود فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوم ذلك علماء بني إسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم؟ فقال سليمان : ان الكرم لم يجتث من أصله وانما أكل حملة وهو عائد في قابل فأوحى الله عز وجل الى داود ان القضاء في هذه القضية ما قضى سليمان به ، يا داود أردت امرا وأردنا امرا غيره فدخل داود على امرأته قال : أردنا امرا وأراد الله غيره ولم يكن الا ما أراد الله عز وجل فقد رضينا بأمر الله عز وجل وسلمنا ، وكذلك الأوصياء ليس لهم ان يتعدوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه الى غيره.

(١) المصدر عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال : لم يحكما ، انما كانا يتناظران ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ ، وفي الفقيه بسنده الصحيح عن جميل عن زرارة مثله.

الأصل والثاني هو الفرع ، اللهم إلا تشاورا في « كيف الحكم »؟ فكل يرتأي رأيا في نقاش بينهما ، حتى تنتج الشورى حكما واحدا.

ثم ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ دليل انه كأبيه داود كان مختارا في الحكم خاطفا لولا تفهيمه.  
ثم ﴿وَكُنَّا حُكْمَهُمْ شَاهِدِينَ﴾ قد تعني احكام المرسلين ككل ، ولذلك ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ وإلا فحق الصيغة «كنا لحكمهما شاهدين» <sup>(١)</sup> ام . وباحرى . لحكمه ، والشهادة هي الحضور علميا وتعليميا ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ قبل ان يحكم أحدهما.

ام و «لحكمهم» الواحد ، حاكمين ومحكوم عليهم ، ولكنه . أن عني وحده كان خلاف الفصيح والصحيح ، والجمع اجمع وأجمل.

فلم يحكم داود . إذا . بغير الحق خلافا لأمر الله ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ إذ لم يكن الحكم بالحق في السنة الداودية إلا بالواقع المطلق ، وليس . إذا . إلا بتفهم الله وقد فهمه سليمان دونه للمصلحة.

والروايات الواردة ان داود حكم بخلاف الحق الذي فهمه سليمان ،

---

(١) البحار ١٤ : ١٤١ . عن تفسير القمي في الآية حدثني أبي عن عبد الله بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : كان في بني إسرائيل رجل كان له كرم ونفشت فيه غنم لرجل آخر بالليل وقضمته وأفسدته فجاء صاحب الكرم الى داود (عليه السلام) فاستعدى على صاحب الغنم فقال داود (عليه السلام) اذهب الى سليمان ليحكم بينكما فذهبا اليه فقال سليمان : ان كانت الغنم أكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم ان يدفع الى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها ، وان كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فانه يدفع ولدها الى صاحب الكرم وكان هذا حكم داود وانما أراد ان يعرف بني إسرائيل ان سليمان (عليه السلام) وصيه بعده ولم يختلفا في الحكم ولو اختلف حكمهما لقال : وكنا لحكمهما شاهدين.

هي مأولة ام خلاف الحق <sup>(١)</sup> ولا يصدق من سواها إلا ما يصدقه القرآن انهما كانا يحكما تشاورا غير بات ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ فرضيا به حكما ، دون ان يكون هناك نسخ فانه خلاف النص ، وان النسخ ليس إلا في شرعة لولي عزم ولم يكن سليمان صاحب شرعة مستقلة <sup>(٢)</sup>.

وعلى الجملة فالقصد من ذلك التفهيم في ذلك التحكيم للرسول الفرع أمام الرسول الإمام الأصل ليس تحطيم ساحته والمس من كرامته تقديمها للمفضول على الفاضل ، وانما هو لبيان القصور الذاتي حتى للمرسلين حتى لا يزعم زاعم انهم على شيء من عند أنفسهم ، او انهم محمولون فيما يحكمون ، بل هو فيض قدسي إلهي مستمر مع الرسالات ، وليست هذه الفلتات . ان

(١) المصدر عن الفقيه بسنده الصحيح عن الوشاء عن احمد بن عمر الحلبي قال سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن هذه الآية قال : كان حكم داود (عليه السلام) رقاب الغنم والذي فهم الله عز وجل سليمان ان يحكم لصاحب الحرث باللبن والصوف ذلك العام كله.

أقول : عل « كان حكم داود » غير حكمه البات ، وانما كان يرتأي مشورة ولكن حكم سليمان بالصوف واللبن خلاف حكمه إذ حكم بولدها كما في أحاديث اخرى.

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٤١ عن الكافي بسند عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قلت له : قول الله عز وجل ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ...﴾ قلت حين حكما في الحرث كان قضية واحدة؟ فقال (عليه السلام) : انه كان اوحى الله عز وجل الى النبيين قبل داود الى ان بعث الله داود : اي غنم نفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم ولا يكون النفس الا بالليل فان على صاحب الزرع ان يحفظ بالنهار وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم بالليل فحكم داود بما حكمت به الأنبياء (عليهم السلام) من قبله واوحى الله عز وجل الى سليمان (عليه السلام) واي غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزرع الا ما خرج من بطونها وكذلك جرت السنة بعد سليمان (عليه السلام) وهو قول الله عز وجل ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فحكم كل واحد منهما بحكم الله عز وجل.

صح التعبير . قاصدة مع المعصومين ، إلّا بيانا عن ذاتياتهم ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ .  
﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ .

اجل وان داود هو النبي المفضل في بني إسرائيل بعد موسى والمسيح فان لهما شأنهما :  
﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (١٧ : ٥٥) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ  
مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ (٣٤ : ١٠) فليس . إذا . ﴿فَفَهَّمْنَاهَا  
سُلَيْمَانَ﴾ احتراماً لداود واحتراماً لسليمان ، بل هي حكمة بالغة إلهية ولطف خفي بأمر  
جلي مهما كان ظاهره إمرأ .

ومن تسخير الجبال معه ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ أوبة منها تتبع أوبته كما يسمعها  
وكذلك الطير ، وليس ذلك بدعا منا لخصوص داود ، بل ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ في سلسلة  
الرسالات بمختلف الجملوات .

وقد عرف داود بمزاميره الرنانة الحنانة ، تسايح لله يرتلها بصوته الحنين الحزين ،  
فتتجاوب معه الجبال والطير ، وكأنما الكون كله فرقة مرتلة عازفة مسبحة معه بجلال الله  
وحمده .

صحيح انه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١٧ :  
٤٤) إلا أن داود فقه تسبيحهم بل وكان يسمعهم كيف يسبحون ربهم ، فالجبال هنا مثل  
الجوامد ، والطير مثل الحيوان وبينهما النباتات ، فعله فقه منطق كل شيء ، ام ما حوله من  
الجبال والطير دججا للجماد في الحيوان الى تسبيحه ! .

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠) .

«وعلمناه» تلمح بأن ذلك العلم المعلم بادئ من داود ، فلم يكن يصنع قبله لبوس ، وهذا يلمح انه الدرع والمغفر ام وسائر ما يلبس لخصوص البأس إحصانا منه ، و «لبوس» مبالغة «لباس» ما يبالغ في لبس الإنسان حالة البأس ، وهو الحرب ، ومما عبّد له علمها وصنعه بسهولة ﴿وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ لإلانة دون اسباب معودة ﴿... وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾. ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير» (٣٤ : ١١) والسابغة هي الدرع التام ، وتقدير السرد هو نضج الحديد فنسج الدرع «لتحصنكم» اللبوس المقدّر المسرود ، ام والمغفر وعله أخرى «من بأسكم» حربا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ ذلك الإحصان الإحسان إليكم منذ داود (عليه السلام) بما في هذه الصفة من تطوّرات حيث الحضارة البشرية سائرة في طريقها الى التقدم خطوة خطوة وراء الكشوف المتجددة يوما فيوما دون قفزة ولا طفرة ، ولكن صنعة لبوس لكم بإلانة الحديد وعمل السابغات كانت قفزة وطفرة تحترق العادة المألوفة.

﴿وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ٨١.

﴿وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ...﴾ (٣٤ : ١٢) ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٨ : ٣٦) ، والريح منصوب حيث هو معطوف على مفعول التسخير «وسخرنا لسليمان الريح ..».

ريح عاصفة غدوها شهر ورواحها شهر ، تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، الى الأرض التي باركنا فيها وسواها حيث أصاب <sup>(١)</sup> «وكنا» من قبل ومن بعد وفي ذلك الذي علمناه وسخرناه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾.

(١) راجع تفسير الآيتين في سبأ وص تجد فيهما تفصيل جريان الريح حيث أصاب.

وليس فقط تسخيرا لمن لا يعقل وليس له اختيار ، بل وسخرنا له ﴿مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ...﴾ :

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ ٨٢ .  
 ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾ وهم بعضهم الذين استخدمهم لشاقة الأعمال ﴿مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في البحر لاستخراج متاع منه ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ حيث ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ..﴾ (٣٤ : ١٣) ام ودون ذلك مما لا نعلمه والله يعلمه ﴿وَكُنَّا لَهُمْ﴾ الشياطين العاملين له «حافظين» عن شيطنتهم وتحلفاتهم في اعمالهم لسليمان ، حفظا عن الهرب وأي إفساد وجرب ، لصالح الخدمة السليمانية.

وعلى الشياطين هنا تعم شياطين الجن والانس ، وقد لا ينافيه ﴿... وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ...﴾ (٣٤ : ١٣) فالشياطين نص في الكفار ظاهر في شياطين الجن والانس ، والجن نص في الجن ظاهر في كفارهم وسواهم ، والنصان متوافقان في شياطين الجن ، فهم القدر المعلوم من عماله ، ثم يخرج مؤمنوا الجن والانس ، ويبقى شياطين الانس في الظاهر الاول ، ولا ينافيه نص الجن لعدم الحصر.

«ولو ان أحدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود الذي سخر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت وأصبحت الديار منه خالية والمسكن معطلة ، ورثها آخرون»<sup>(١)</sup>.

(١) نخب البلاغة ١ : ٣٤١ - ٣٤٢.



ويا لها من نعمة سابعة لسليمان حيث يسخر له الشياطين رغم أنوفهم ، ولكي تظهر  
رحمة الله وعنايته الخاصة لسليمان النبي الملك ، حيث يخلق في سلطته على الجبال والطيور  
والشياطين ، لا فقط على الانس المؤمنين ، ولكي نعلم ان العاقبة للمتقين ، وانه يأتي على  
العالم زمان يسيطر فيه من يصطفيه الله حاكما وقائدا على كل العالمين ، وهو الإمام القائم  
المنتظر المهدي من آل محمد (عليهم السلام).

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ٨٣ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا  
مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ ٨٤.

وقصة أيوب مفصلة في «ص» ومجملة هنا ، وقد فصلناها هناك كما فصلت ،  
ونجملها هنا كما أجملت ، وهي دعاء واستجابة ومزيد ، وما الطفه وانظفه دعاء لا يتطلب  
فيه المبتلى كشف بلاءه ، وانما هو عرض بلاءه : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ وعرض الرب بعليائه  
﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فلا يدعو بتغيير حاله ، ولا يقترح شيئا على ربه ، تأدبا معه وتوقيرا  
وصبرا على بلائه ، فهو من أفضل النماذج للعبد الصابر في بليته ، دون اي تملل!

ثم نرى الاستجابة ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ سؤله المعلوم عن عرضه وسؤاله ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ  
مِنْ ضُرٍّ﴾ والضر ضما يختص بما يمس غير الروح ، وليس للشيطان سبيل الى أرواح النبيين  
﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (٣٨ : ٤١) وهي فتحا يعمهما ، وضما كما هيه  
يخص غير الروح ، وعلّ العذاب عبارة عنه اخرى.

وعلّ «اهله» يعم زوجه وولده ، أم وكل من كان يعوله من أقربائه وانسبائه ، سواء  
الذين هلكوا في ضره ، ام تفرقوا عنه ، ف «آتيناه» تعم

إحياء من هلك ، ورجوع من سلك ، ثم ﴿وَمِنْهُمْ مَعَهُمْ﴾ قد تعني مماثلة الكم والكيف ، والمعية وهي الملازمة الموافقة ، قد تلمح ان الزوجة الثانية انضمت الى الاولى بكل وئام واحترام ، وكل ذلك ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ لأيوب الصابر في محنته ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ على مر الزمن ليقتفوا اثره في الصبر على الضرر لله وفي الله ، دونما شكوى على الله! وهنا اللامعة ان العبودية كلما ازدادت وتقدمت ازداد العبد بلاء ، ولكي يرتقي العابد بذلك المرقى ما لا يرتقي بسواه.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ٨٥ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦﴾

واذكر «إسماعيل» ابن ابراهيم ﴿وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ في حياتهم الرسالية ف ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ولا سيما إسماعيل إذ قال له أبوه ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. فلذلك الصبر البالغ ذروته ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فالصبر الصالح والصالح الصابر داخل في رحمة الله ، والصبر مفتاح الفرج <sup>(١)</sup>.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ٨٧ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ٨٨﴾

«ذا النون» هذا وهو يونس بن متى النبي ، يضرب هنا مثلاً مذكراً

(١) راجع تفسير قصة إدريس في «مريم» وإسماعيل في «الصفات» وذو الكفل في «ص».

لنقصور الصبر اللائق في تطبيق الرسالة ، بعد التذكير بأنبياء صابرين ، وكما يلح في «العلم» : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ. لَوْ لَا أَنَّ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٦٨ : ٥٠) والقصة مذكورة فيها وفي يونس والصفات ، وفي كل تفصيل كما تعنيه آيتها ، وهنا كما هيه ، دون اعادة شاملة للثلاثة الباقية.

وتراه هنا ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ ممن؟ أمن ربه؟ وهو كفر به ، واين يذهب مغاضبا من ربه وليس له مكان ، فانه محيط بكل كائن ومكان ، وهو مع كل انس وجان! ثم «مغاضبا» تعني غضب المتناولين ، فليس غضبانا حتى يعنيه هو على ربه وسبحانه ، وانما «مغاضبا» وطبعا مع من كانوا معه في قريته ، فقد غضب عليه قومه لكرور دعوته وصموده في دعايته ، فأيس منهم وغضب عليهم ف ﴿ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ غضبا على قومه في ذات الله إذ غضبوا عليه لدعوته الدائبة الى الله ، فأيس من ايمانهم بالله ، ولكنهم كان لهم استعداد للإيمان ما كان يعلمه يونس ولا رجاء : ﴿فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١٠ : ٩٨).

فلان الموقف كان موقف الإياس من ايمانهم ، فلم ير . إذا . بأسا من الذهاب عنهم مغاضبا ، ولان ذهابه كان ذهاب المغاضب دون فرار عن الدعوة ام تمهل فيها «فظن» حسن ظنه بره ﴿أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ تضيقا في ذلك الذهاب ، فليس «نقدر» من القدرة ، بل هو القدر الضيق كما ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ في آيات عدة <sup>(١)</sup> ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ

(١) وهي ١٣ : ٢٦ و ١٧ : ٣٠ و ٢٨ : ٨٢ و ٢٩ : ٦٢ و ٣٠ : ٣٧ و ٣٤ : ٣٦ و ٣٩ : ٣٩ و ٥٢ : ٥٢ و ٤٢ : ١٢ ، ثم لا نجد «لا يقدر» بمعنى القدرة الا في .

رَزَقَهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴿٦٥ : ٧﴾.

فقضية الموقف الحاسم ، ان لن يضيق عليه بذهابه عنهم مغاضبا ، فلم يكن يرى في ذلك الذهاب بأسا ، بعد ما استعصى عليه قومه وهو مستقص في دعوتهم ، فغادرهم مغاضبا ولم يصبر على معاناتها بمماداتها وعرقلاتها ، ظانا ان الله لن يضيق عليه الأرض ، فهي فسيحة والقرى باقوامها كثيرة ، وانه لن يضيق عليه توبيخا لذهابه عنهم ، إذ رأى نفسه معذورة في ذهابه.

هذا الذي ظنه ذا النون ، ولكن الرسالة الإلهية لها مسئوليتها الخطيرة ، المحلقة على سائر المسئوليات ، فليس لصاحب الدعوة الرسالية ان يتركها ، او يترك جو الدعوة بسند الإيلاس عن تأثيرها ، فانها ليست . فقط . نذرا ، بل ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ فحتى إن أيقن الداعية بعدم تأثير الدعوة فعليه المواصلة فيها حتى النفس الأخير ، ولا يسمح له بالذهاب عنهم إلا إذا خاف على نفسه عذابهم الناكل ام عذاب الله عليهم ، ام مسا من كرامة الدعوة ، فهناك المهاجرة حفاظا على الدعوة والداعية ، لا إراحة لنفسه عن الدعوة غير المؤثرة.

إذا فقد كان من ذا النون بعض التقصير في الدعوة الصامدة ، مهما يعذره بعض الإعذار ظنه ان لن يضيق عليه ربه في ذهابه عنهم مغاضبا ، ولكنه كان ظنا بغير حساب ولا صواب ، حيث الموقف الصالح لذلك الظن او اليقين بعدم التضيق هو تمام الدعوة ، ولا تتم بنفس الإيلاس الا إذا واجه امرا أهم إمرا من واجب الدعوة العاذرة غير المؤثرة ، كالخطر

---

٢٠ : ٢٦٤ و ١٤ : ١٨ و ٥٧ : ٢٩ ، مما يجعل الترجيح للمعنى الاول عند التردد ، فضلا عن موضع اليقين كما في ذا النون.

على الدعوة او الداعية ، وقد هاجر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أرض الدعوة الاصلية الى اخرى لما هجروه وأرادوا ليقتلوه ، فانقلب واجبه المقام الى المهاجرة الى المدينة ، حتى أسس فيها دولة الإسلام ورجع في نهاية امره الى مكة فاتحا محبورا مشكورا.

وهاجر موسى ومن معه فرارا من بأس فرعون وملئه ، وابراهيم ولوط حيث نجا هما الله الى الأرض المباركة ، ولوط حيث نُجِّيَ باهله عن قومه المهاجم عليهم الخطر الناجم عن تكذيبهم ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾!.

واما ان يذهب الداعية عن جو الدعوة بمجرد انهم بالفعل لم يتأثروا بها ، فلا ، عليهم يتأثرون في المستقبل ، ام تلزمهم الحجة الدائبة عليهم إذا كانوا ممن ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولكن الدعوة المتواصلة ليست سواء عليك وانما عليهم.

فأصحاب الدعوات رسولية ورسالية لا بدل لهم ان يتحملوا تكاليفها ، صبرا على التكذيب بها والإيذاء من أجلها ، ومهما كان تكذيب الصادق الأمين مريرا عليه ولكن الصبر عليه هو بعض تكاليف الرسالة.

لا يجوز للداعية ان ييأس من إصلاح النفوس المتمردة ، فإذا كانت المئات لم تصل الى القلوب فلتكن ألفا وآلاف ، فقد تصل مرة الى القلب مهما كان كرور الدعوة المستمرة مرة ، وحتى إذا أيقن . وكيف له ذلك وأتق . انه سواء عليهم الإنذار وتركه ، فليواصل في دعوته عذرا ، كما كانت قبل نذرا.

اجل ، وان طريق الدعوات ليست هينة ولا استجابة النفوس يسيرة ، فهناك ركام من مختلف الشبهات والشيطانات تحثم على القلوب لا بد من إزالتها بكرور الدعوة ، باية وسيلة ممكنة ، تلمسا لكافة المراكز الحساسة ، محاولة العثور على العصب الحساس ، وقد تصادف إحدى اللمسات ذلك

العصب فيتحول تحولا ، وكما قوم يونس آمنوا لما رأوا بأس الله ، إيماننا صالحا لدفع العذاب ، رغم ان الايمان عند رؤية البأس لا يفيد : ﴿ فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ فَنَنفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١٠ : ٩٨). ان الدعوة هي الأصل ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ لا شخص الداعية ام شخصيته ، اللهم الا فيما أصبحت الدعوة في خطر بالقضاء عليها ام على الداعية ، فالى المهاجرة حفاظا على أصلها واستمراريتها في مجالات اخرى.

لقد سجن ذا النون في بطن الحوت النون تأديبا له أديبا لماذا استعجل عن قومه ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر» <sup>(١)</sup> ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ إقرارا بالتوحيد «سبحانك» تنزيها لله عن كل ما يحس من كرامته وعن ان يظلم عبده في ظلماته ، ثم إقرارا بظلمه : انتقاصا عن واجب الدعوة ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ظلما بنفسى لمكان نقصي كرسول.

وتراه كيف ناله عهد من الله رسالة ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ إذا كان ظلما قبل الرسالة ، وهو ظالم حين الرسالة؟ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (٣٧ : ١٤٠)!

ان «عهدي» الذي لا ينال الظالمين هو عهد الإمامة دون مطلق الرسالة ، والظلم الذي ينافي الرسالة هو المعتمد الخائن في حمل الرسالة او أدائها ، دون الانتقاص عن كمالها ، المجبر بتأديب الله ، ولا سيما إذا كان الله يمتحن الرسول بذلك الانتقاص ، تنبيهها له انه ليس على شيء لولا

(١) البحار ١٤ : ٣٨٣ في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) قال في تفسير الظلمات ... وفي ٣٨٧ روى مثله عن الإمام الرضا (عليه السلام).

رحمة من الله وعصمة وتسديد ، وقد يصدق فيه ما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعائه «اللهم ولا تكلني الى نفسي طرفه عين ابدًا» فسألته ام سلمة في ذلك فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) يا ام سلمة وما يؤمنني وانما وكل الله يونس بن متى الى نفسه طرفه عين فكان منه ما كان»<sup>(١)</sup> وقد يشبهه ظلمه هذا ظلم موسى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ (٢٨ : ١٦) مهما كان ذلك قبل رسالته ، وهما

(١) البحار ١٤ : ٣٨٤ عن تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن عبد الله ابن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت ام سلمة في ليلتها فقدته من الفراش فدخلها من ذلك ما يدخل النساء فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت اليه وهو في جانب من البيت قائما رافعا يديه يبكي وهو يقول :

اللهم لا تنزع مني صالح ما اعطيتني ابدًا ، اللهم ولا تكلني الى نفسي طرفه عين ابدًا ، اللهم لا تشمت بي عدوا ولا حاسدا ابدًا ، اللهم لا تردني في سوء استنقذتني منه ابدًا ، قال : فانصرفت ام سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبكائها فقال لها ما يبكيك يا ام سلمة؟ فقالت : يا بني أنت وامي يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم لا ابكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، تسأله ان لا يشمت بك عدوا ابدًا وان لا يردك في سوء استنقذك منه ابدًا وان لا ينزع منك صالح ما أعطاك ابدًا وان لا يكلك الى نفسك طرفه عين ابدًا فقال يا ام سلمة ... (نقلناه بكامله عن الهامش نقلا عن الأصل).

وفيه (٣٨٧) عن الكافي ٢ : ٥٨١ عن ابن أبي يعفور قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول . وهو رافع يده الى السماء . رب لا تكلني الى نفسي طرفه عين ابدًا» لا اقل من ذلك ولا اكثر ، قال : فما كان بأسرع من ان تحدّر الدموع من جوانب لحيته ، ثم اقبل عليّ فقال : يا ابن أبي يعفور ان يونس بن متى وكله الله عز وجل الى نفسه اقل من طرفه عين فأحدث ذلك الذنب قلت : فبلغ به كفرا أصلحك الله؟ قال : لا ولكن الموت على تلك الحال هلاك.

على أية حال أدنى من ظلم آدم حين عصى ربه فغوى.

ثم وعلّها لابن متى كما لموسى كانت رسالة تدريبية تجريبية ، حتى إذا اكتمل بعثه لرسالة اصلية ، وقد تشهد له ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ بعد قوله بعدة آيات ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ولكي يثبت على حاق رسالته وحققها دون اي تفلّت عنها او تفلّت!.

فلما أناب ذا النون الى ربه بما أناب ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ عما قصر ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ حين يدعون كذلك الذي دعى ذا النون. ولقد تكاثرت الروايات وتضاربت حول قصة يونس ، بين ما تكذبها الآيات ام لا تصدقها ، وما تصدقها الآيات ، فلا نصدق منها إلا ما صدقته ، ولا نكذب إلا ما كذبت به ، ثم نتردد في عوانها لا مصدقة ولا مكذبة.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ٨٩.

ان قصة ولادة يحيى العجيبه مضت في سورة آل عمران ومريم ، وهنا ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ استدعاء لولد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (١٩ : ٦).

ولما كانت هذه الوراثه المطلوبه توهم أن لولاها لم تكن هناك وراثه والله خير الوارثين ، يلحق دعاءه بتلك الوراثه الإلهية ، وانه يطلب وارثا من جنسه حتى يرثه في حمل الرسالة الإلهية ، فحتى ان لم ترزقي ولدا ف ﴿أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ وان رزقتنيه ايضا ف ﴿أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ ٩٠.



«وأصلحنا» زوجه عن عقرها إذا كانت عاقرا ، ثم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ﴾ من قبل ، قد تعني فيما عنت إصلاح حاله عن كبره إذ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ... وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

هذه تبين لنا ان المسارعة في الخيرات والدعاء رغبا ورهبا والخشوع لله ، ان في ذلك مادة الاجابة الخارقة للعادة في الادعية الصالحة ، وكما نرى السابقين والمقربين وشطرا من اصحاب اليمن تستجاب لهم دعواتهم العجيبة.

والعبادة «رغبا» هي الرغبة في الله ثوابا ولقاء ورضوانا ، و «رهبا» هي الإشفاق من الله خوفا ورهبة وفرقا منه ، والدرجة العليا من الرغب والرهب تناسب السابقين والمقربين الذين يعبدون الله حبا له ، ثم سائر الناس عبيد «رهبا» ام تجار «رغبا»<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ٩١ .  
والروح المنفوخ فيها هو المسيح ، وفي الطلاق ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ...﴾ (١٢) ييانا ان الموضوع

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٥٧ في كتاب الخصال عن يونس بن ظبيان قال قال الصادق (عليه السلام) ان الناس يعبدون الله على ثلاثة أوجه فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهي الطمع وآخرون يعبدونه فرقا من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة ولكني اعبدته حبا له فتلك عبادة الكرام.  
أقول : ولان هؤلاء الرسل هم من الكرام فعبادتهم رغبا ورهبا لا تعني ما عنته هذه الرواية.

المنفوخ فيه الروح منها هو فرجها لا سواه ، وقد فصلناه في محالها الأنسب كالطلاق وسواها .  
وترى كيف جعلاهما ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ لا «آيتين» والمسيح بنفسه آية إلهية بما معه  
من آيات؟ القصد من «آية» هنا هي الذاتية الكونية ، وهذه الولادة المنقطعة النظير آية  
واحدة ، قائمة بكلا الولد والوالدة ، لولا أحدهما لم يكن الآخر آية ، إذا فهما آية نظرا الى  
هذه الولادة القائمة بهما كليهما ، آية واحدة فذة في تاريخ الإنسان على مر الزمان ، ومثل  
واحد من ذلك النوع يكفي تأملا للإنسانية في اجيالها على طولها وعرضها في سماءها وارضها  
، لمسا معرفيا وواقعا ليد القدرة الطلقية المطلقة الإلهية التي تخلق النواميس ، دون حصر  
واحتباس داخل النواميس!

و «روحنا» هنا هي روح المسيح اضافة الى جسمه وقد جرت من مجراها في مريم نفخا  
دون علوق من ذكر ، ولا انتقال من طبق إلى طبق ، وأضيفت الى الله لمزية الاصطفاء  
بالتكريم والاختصاص بالتعظيم في بعدي خرق العادة لخلقها ، والميزة على سائر الأرواح ،  
اللهم الا التي ساماها بل فضلت عليها كروح محمد والمحمدين من عترته الطاهرين صلوات الله  
عليهم أجمعين.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا  
رَاجِعُونَ (٩٣) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤)

وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَخَزُغُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ ٩٣.

«ان هذه» الأمم بأسرها وعن بكرتها «أمتكم» ايها الرسل بأسركم وعن بكرتكم ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ في مغزاها ومرماها ، كما الرسالة واحدة مهما حملها مرسلون عدة ، وهما تتلاقيان في ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ دون سواي ، إذا «فاعبدون» دون سواي : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ. فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ. فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٢٣) : (٥٤).

آيتان كريمتان في الذكر الحكيم تؤكدان على وحدة الرسالة ووحدة الأمم في عبادة الله الواحد وتقواه والرجوع اليه ف ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

ويا له من اله واحد ورب واحد مبدء ومرجعا ، ويا لهم من امة واحدة على ضوء رسالة واحدة تلتقيان على عبادة واحدة وتقوى واحدة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾! خطابا شاملا للرسل بامهم ، هم يحملون «كيف يعبد الله ويتقى» الى كل الأمم ، فمهما اختلفت الطقوس والصور فالأصل والاتجاه واحد هو عبادة الله وتقواه.

ولان الرسالة تعم العالمين ككل من الجنة والناس ومن سواها أجمعين ، فالكل هم «أمتكم» كما و «كم» تعم رسل الجن الى جانب رسل الانس مهما كانت الرسالة الاولى على هامش الثانية.

فالرسالات كلها هي باتجاه واحد من آله واحد والى آله واحد ، وكل رسول يحمل شرعة خاصة من الخمس ، يجمع العالمين على رسالته ، وكل لاحق هو على خط سابقه ، وعلى كل امة لاحقة اتباع شرعتها اللاحقة ، تركا للسابقة صورة ، وتمسكا بها سيرة ، فلم يكن القصد من شرعة بعد شرعة . وهي كلها عن دين واحد . ان تختلف امم متصارعة طول تاريخ الرسالات ، حيث الاختلافات على اية حال مرفوضة ، والوحدة في كل حال ملحوظة مفروضة ﴿وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رُتُوكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (١١ : ١١٨)!

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ جَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٥ : ٤٨) ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ (٤٢ : ١٣).

فقد أمروا بالتوحد في دين الله بشرعته ولكنهم ﴿تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ...﴾ تقطعا الى امم ، وتقطعا في كل امة الى مذاهب ، وتقطعا في

كل مذهب ايضا الى مذاهب ... ﴿تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ وهو دينهم بشريتهم ، رغم ان ﴿كُلُّ

إِنَّا رَاجِعُونَ﴾ في الاولى تكويننا وديننا ، وفي الاخرى خلقا جديدا وجزاء على دين!

امر واحد لله هو أمرهم ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ..﴾ (٤٥) :

١٨) ولكنهم بديل ان يظلوا تحت ظله متوحدين ، جعلوا أمرهم فرقة وإمرا ، تفرقا في الأهواء ، واختلافا في الآراء ، وتقسما في المذاهب ، وتشعبا في الولائج.

فقد كانوا حسب وحدة التكوين ووحدة الدين امة واحدة ، بينهم وسائل متناسجة ، وعلائق متشابكة ، ثم تباعدوا تباعد قطع لتلك العلائق ، وشذب لتلك الوسائل ، فصاروا أخيفا مختلفين ، واوزاعا مفترقين ، واوضاعا مختلفين.

وهل من منجى في ذلك البين البائن ، والاختلاف الشائن ، ام كل في شأنهم شائنون؟.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِّنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ ٩٤ .

انما الأصل المنجي في هذا البين والبينونة هو عمل من الصالحات على ركيزة الايمان ، جناحان لاي مؤمن يعمل من الصالحات ، يجنحان به عن كل مصيدة ومكيدة الى سماء الرحمة والرضوان ، فأيا كان الايمان وعمل من الصالحات ، ومن اي كان وأيان ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ لصالح العمل بصالح الايمان «وانا» بجمعية الصفات رحمانية ورحيمية «له» لسعيه ايمانا وعملا صالحا «كاتبون» في مختلف الكتابات الأربع : أعضاء واجواء وملائكة وأنبياءهم شهداء على الأعمال يوم يقوم الأشهاد ، وهي كتابة الاستنساخ لمثلث الأحوال والأعمال والأقوال في سجلاتها كما هيه.

اجل ، فالإيمان أينما حلّ بصالح العمل كان مشكورا محبورا مهما اختلفت الدرجات ، كما ان ما سواه أينما حل كان مكفورا منكورا مهما اختلفت الدرجات .

وكضابطة شاملة توضح الآية آية البقرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢ : ٦٢) وكذلك الأمر في آية المائدة (٦٩) وآية آل عمران أوضح من جهة : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١١٣ : . ١١٥

إذا ف ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٤ : ١٢٣) .

﴿فَلَا كُفْرَانَ﴾ إذا لسعي الساعي المؤمن العامل من الصالحات مهما كان يهوديا او نصرانيا ، ولا شكران لغير الساعي بمجرد انه مسلم ولكنه لا يعمل من الصالحات وهو مؤمن ، الا ان الايمان الاسلامي وعمل الصالحات على ضوئه له درجته بين الدرجات ، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ .

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ٩٥ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ٩٦ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٩٧ .

آية «لا يرجعون» بما بعدها هي معركة الآراء المتضاربة بين المفسرين ، كل يحوم فيها حول ما يروم تأويلا لها كما يروم ، والتجرد في

تفسيرها مع التأمل فيها وما يحتفّ بها دون تحميل عليها ، يهدينا الى معناها ومغزاها.

هنا الموضوع ﴿قَرْيَةً أَهْلَكْنَاهَا﴾ وهي كل قرية هالكة لذنوبها بعذاب الاستئصال ، على مدار الزمن في تاريخ الرسالات ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾.

ثم ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ﴾ هي طابع الحرمان على القرى الهالكة ﴿حَتَّىٰ إِذَا...﴾ و ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ هي مادة الحرمان ، فذلك الحرمان أيا كان هو لزام القرى الهالكة ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ فيزول عنهم حرمانهم هذا ، فلم يكن . إذا . حرمانهم الى يوم الوعد الحق على طول خط البرزخ ، وانما ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ ... وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ فهم فيه يرجعون.

ولأن الحرمان عرفيا ليس إلا عما يرام ، فليكن رجوع القرى الهالكة قبل الفتح مما يرومونه ، وكما هو الواقع المذكور في آيات عدة ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُخْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (٣٢ : ١٢) . ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ..﴾ (٢٣ : ١٠٠).

فالرجوع الى حياة التكليف هو أمل المجرمين ، وآية ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ تحيّب ذلك الأمل رجاء العمل ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ ... وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ فإذا هم راجعون لا للإصلاح ، وانما لذوق العذاب يوم الرجعة.

وذلك مضاعفة للعذاب الحساب ، في ثلوث منه ، هلاك في الاولى ، ثم في رجوعهم يوم الرجعة إليها ، ومن ثم في ﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.



فلأن الحرمان عن عدم الرجوع يوم القيامة لا يخص ﴿قَرْيَةً أَهْلَكْنَاهَا﴾ فانها يوم الجمع ، وان ذلك الحرمان محدّد ب ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ ...﴾ فليكن رجوعا خاصا قبل يوم الجمع ، وذلك حسب تلميحات آيات وتصريحات روايات محتوم على «من محض الايمان محضا او محض الشرك محضا»<sup>(١)</sup>.

إذا ف ﴿أَنْتُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ هي بيان لمادة الحرمان ﴿حَرَامٌ ... أَنْتُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أم هي بتقدير اللام «لأنهم لا يرجعون».

فقيلة القائل ان «لا» هنا زائدة ، هي نفسها قيلة زائدة بائدة ، اللهم إلا على غرار ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ حيث تعني ما منعك عن السجود ، ولكن الممنوع هناك غير مذكور ، يعرف من ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ ما منعك عن السجود الا تسجد ، فلا زائدة هنا وهناك.

ثم ﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾ تحتم رجوعهم عند الفتح لأنه غاية محتومة لحكم الحرمان أيا كان ، فان كان حرمانا عن الرجوع الى الدنيا فهو رجوع عند الرجعة واقتراب الوعد الحق ، كما يلوح من الآية ، وان كان حرمانا عن عدم الرجوع فهم يرجعون ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ رجوعا محتوما عند الفتح ، ومحروما عنه قبل الفتح.

وفي الحرمان الثاني تعريض على الناكرين للرجوع يوم الدين ، فإنهم لو صدقوا رجوع ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فما هم بمصدقين رجوعهم ، والآية هنا تقول «وحرمان عدم رجوعهم» يوم الدين ، بل وعدم رجوعهم حتى يوم الفتح ، فهم على أية حال راجعون مرة ليوم الجمع

(١) البحار ٥٣ : ٣٩ عن أبي عبد الله (عليه السلام) .. وان الرجعة ليست بعامة وهي خاصة لا يرجع الا من محض الايمان محضا او محض الشرك محضا».

أقول والقرى الهالكة هي القدر المعلوم ممن محض الشرك محضا فهم يرجعون.

ككل ، ام واخرى قبلها ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ۖ وَهُوَ لِلْقُرَىٰ ٱلْهَالِكَةِ ، وَقَدْ يَعْثُبُهُمْ ۖ فَوْجًا مِّنْ يُّكْذِبُ بَيَّاتِنَا﴾ في النمل ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّنْ يُّكْذِبُ بَيَّاتِنَا ۖ﴾ (٨٣).

فالرواية القائلة ان القرى الهالكة لا ترجع لا تناسب آيتي الأنبياء والنمل ، فهي مأوله أو مطروحة <sup>(١)</sup>.

وفي رجعة اخيرة الى الآية ﴿وَحَرَامٌ عَلَيَّ﴾ تعني حرمانا شاملا على القرى الهالكة ، يبينه ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ ۖ﴾ ام ل ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ ۖ﴾ ام هم محرومون عن عدم الرجوع . إذا . فهم يرجعون حتى .. فهم على آية حال راجعون يوم الرجعة ليدوقوا وبال أمرهم مرة اخرى ، ولعذاب الآخرة أَمَرٌ وَأُنْكَىٰ.

(١) البحار ٥٣ : ٥٢ عن تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله وأبي جعفر (عليهما السلام) في الآية قالا : كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة فهذه الآية من أعظم الدلالة في الرجعة لان أحدا من اهل الإسلام لا ينكر ان الناس كلهم يرجعون الى القيامة من هلك ومن لم يهلك فقلوه : «لا يرجعون» عني في الرجعة فاما الى القيامة يرجعون حتى يدخلوا النار.

أقول : ولكن لا يرجعون . أيا كان . محدد ب ﴿حَتَّىٰ إِذَا ۖ...﴾ فهم إذا يرجعون!

وفيه (٦١) عن القمي وقال الصادق (عليه السلام) كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة فاما الى القيامة فيرجعون ومن محض الايمان محضا وغيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب ومحضوا الكفر محضا يرجعون.

وفيه (١١٨) تفسير النعماني في ما رواه عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال : واما الرد على من أنكر الرجعة وقوله سبحانه ﴿وَحَرَامٌ عَلَيَّ قَرْيَةً أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ في الرجعة فاما في القيامة فهم يرجعون ، أقول ويرد كل ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ﴾ إذا فهم عنده يرجعون!

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ...﴾ فصلناها في آية الكهف ، وانه فتح الشر الشامل للأرض ، حيث تملأ به الأرض ظلما وجورا ، ثم يملأها الله بالمهدي (عليه السلام) قسطا وعدلا.

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم كل من محض الكفر محضا أحياء وأمواتا ، حيث هم يحشرون يوم الرجعة عند اقتراب الوعد الحق.

ثم ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ قد تعني كافة الاحداث والمرتفعات الجوية والبرية والبحرية ، والنسل هو الانفصال عن الشيء ، انفصالا عن مثلث المرتفعات لإفساد الأرض بمن عليها ، وانفصالا عن احداث الأصلاب والأرحام ، إذا فالأشرار كلهم ينسلون ولادة عن كل حدب ، ونزولا عن كل حدب.

وقد يعني : ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ فيما يعنيه ، المفسدين من بني إسرائيل وسواهم ممن يعيث في الأرض فسادا في المرة الثانية من مرتي الإفساد الاسرائيلي ، حشرا من كل حدب لجموع المفسدين ، يرأسهم ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ و «بنو إسرائيل» كأصول ، ثم وسائر المفسدين في الأرض هم على هوامشهم وآثارهم يهرعون.

فآية الإسراء ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ توصل بني إسرائيل في عالمية الإفساد ، وهذه توصل ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ إذا فهما أصلان في ذلك الميدان ، يتميزان ام يتناحran في الإفساد العالمي بعلو كبير ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتَّبِرًا﴾!.

فطالما لا ذكر عن ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ في الإفساد الاول ، ولكنهم محادبون مع بني إسرائيل في الثاني ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

ان احزاب الإفساد العالمي باحداها ، ليست لتنهض النهضة الاخيرة المدمرة إلا عند ما ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ تعبيدا سلبيا لاقامة دولة الحق ، كما وإيجابيته هي التحصّل على أنصار هذه الدولة المباركة.

فدولة الباطل الاخيرة تكرّس كافة الطاقات المفسدة وامكانياتها لكي تملأ الأرض ظلما وجورا ، ثم دولة الحق تملأها قسطا وعدلا.

وعلى «كل حدب» دون «كل مرتفع» للتأشير الى أصلاب الأحداب الناسلة عنها كل يأجوج ومأجوج ، وكذلك كافة القوات المتظاهرة المتظافرة ، فان اصل الحدب هو مرتفع الظهر ، فانه ظهور القوة البدنية ، إذا ف «كل حدب» قد تعني كل طاقة مرتفعة مترفعة انتسالية ، ام حرية وسياسية واقتصادية وثقافية وعقيدية اما هيه من احداب وقوات بشرية ، حيث تحشر في آخر الزمن ، فتهدر الانسانية الى هوّات البهيمية من ناحية والى سقطات مختلف الموتات روحية وبدنية من اخرى ، فتصبح الحياة الانسانية ظلمات بعضها فوق بعض ، ويحلّق الظلم على كافة جنبات الحياة ، فلا يبقى من الحيوية الانسانية أثرا وثمرا الا اجترم ، ولا حرمة الا اجترم ، حتى يقوم قائم الحق الذي «به يملأ الله الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا»!

وقد توشّر ﴿وَلْتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ لبني إسرائيل ، ان يأجوج ومأجوج ، هم أيا كانوا ، ليسوا إلا من جنودهم الأصلاء في الإفساد العالمي بعد الجنود الاسرائيليين ، حين يسيطر بنو إسرائيل على كافة الأحداب ، فتتسل يأجوج ومأجوج ومن معهم من «كل حدب» وكما هم أنفسهم ينسلون.

فإذا تم فسادهم وطمّ ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا في دولة الإمام القائم المهدي (عليه السلام) ، وهناك في القيامة الكبرى قائلين هنا وهناك :

﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فانما كانت غفلة التغافل التجاهل ، عامدة مقصرة غير قاصرة ، تفجع المفجوء الذي تتكشف له الحقيقة الرائعة المروعة بغتة فيذهل ويشخص ببصره فلا يطرف ، ويدعو بالويل والثبور ، معترفا بالتقصير متندما وقد فات الأوان.

فهذه الدولة المباركة السعيدة . بتلك الرجعة عندها . هي من أشراط الساعة ، كما والرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو نبي الساعة ونبوته من أشراط الساعة ، كما وبعض آياته الرسالية كانشقاق القمر ، هي من أشراط الساعة : ﴿افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ولكنما الدولة الاخيرة هي اقرب شرط من أشراط الساعة ، وهي باقية حتى الساعة!.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ٩٨ .

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ تعم كل ما يعبد من دون الله أوثانا وطواغيت ، فلا تعني «ما» فقط غير ذوي العقول بل وذوي العقول ايضا كالطواغيت فإنهم أخرى حصبا لجهنم مما لا يعقل ، ولا ضير في شموله . إذا . لعباد الله الصالحين حيث هم ناجون لمكان مكانتهم من الله ، وانهم لم يدعوا أحدا الى عبادتهم ، وقد سبقت لهم الحسنى فهم عنها مبعدون كما بعد آيتين ، واستعمال «ما» في ذوي العقول ، او في المجموعة غير شاذ في القرآن ، و ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ﴾ تؤيد هنا العموم ، وعلّ «ما» هناك دون «من» للتأشير الى ان عبادتهم خلاف المعقول ، وان الداعي منهم الى نفسه داع الى غير معقول ، فغير الداعي الذي لا يدعي لنفسه ما يدعون ، كالذين سبقت لهم الحسنى ، فهم عنها مبعدون.

وترى هؤلاء الطواغيت حقا عليهم انهم معهم حصب جهنم ، فما بال الأصنام وهي لا تشعر وليست لها دعوة؟.

انها لا تلمس العذاب ولكن عابديها يلمسونه بما تدخل هي في النار ، عذابا لهم فوق العذاب ان آلهتهم كآلهتهم وقود النار ، فكما ان أبدانهم أنفسهم لا تحس العذاب وانما الاحساس للأرواح ، كذلك أوثانهم ، والقصد إيصال العذاب نفسيا الى أرواحهم الجهنمية ، وكما تبينه :

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوَهَا وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٩٩ .

حيث الإله يورد النار ولا يردها ، إذا فما هؤلاء الواردون فيها بآلهة ، وكل من العابدين والمعبودين فيها خالدون ، وهذه الحجة برهان واقعي ووجداني ينتزع من نفس المشهد الواقع هناك ، المعروض عليهم هنا وكأنه المشهد الآن! وحصب جهنم هي وقودها التي تتقد النار بها ، لأنهم اصول الضلالة عابدين ومعبودين ، فليكونوا اصول الجحيم ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢ : ٢٤) فالناس هم العبداء والطواغيت هم المعبودون والحجارة هي الأصنام ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (٣ : ١٠) .

فما الحصب . فقط . الحطب ، إذ لا حطب في الجحيم ، وانما الوقود أجسادا وأحجارا هنا ، ووقودات اخرى تناسب تلك النار المتأججة الشديدة ، من طاقات حرارية فوق ما نعرفها في حياتنا الدنيا .

والحصب في اصل اللغة هو ما يرمى به من الحصباء وهي الحصى الصغار ، يقال : حصبنا الجمار : قذفناها بالحصباء ، فشبه سبحانه قذفهم في جحيم النار بالحصباء المرمية فيها ، من ذلّ مقادفهم ، وهوان مطارحهم .

ولماذا هناك ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ وهنا ﴿مَا وَرَدُّوْهَا﴾؟ علّ اللام للتأشير انهم كحصب الوقود يصلحون للنار حيث يصلحونها إحراقا لمن في النار ، فمن اهل النار من يردها وهم المصطلون بوقودها الصلاء ، ومنهم من

يردونها لأنهم أنفسهم الصلاء.

﴿هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ١٠٠.

«لهم» العابدين والمعبودين اللهم إلا غير ذوي العقول منهم ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ وهو صوت برد النفس الى داخل ضغطا عليها حتى تنتفخ منه الضلوع ، وازدفر فلان كذا ، إذا تحمله بمشقة فتردد فيه نفسه ، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ بعضهم أصوات بعض كما لم يسمعوا يوم الدنيا صوت الحق.

وحين يصل الأمر الى ذلك الحد الحديد الإمر ، قد ينبري المشركون قائلين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : تزعم ان الله انزل عليك هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ...﴾ وقد عبدنا الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم ، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟! فتنزل إذا :

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ١٠١ (١).

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٥٩ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال : لما نزلت هذه الآية وجد منها اهل مكة وجدا شديدا فدخل عليهم عبد الله بن الزبيري وكفار قريش يخوضون في هذه الآية : . انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ... فقال ابن الزبيري أمحمد تكلم بهذه الآية؟ فقالوا : نعم . قال ابن الزبيري لئن اعترف بها لأخصمنه فجمع بينهما فقال : يا محمد أرايت الآية التي قرأت أنفا فينا وفي آلهتنا خاصة ام الأمم وأهلتهم؟ فقال : بل فيكم وفي آهتكم وفي الأمم وفي آهتهم الا من استثنى الله فقال ابن الزبيري خصمتك والله الست تشي على عيسى خيرا وقد عرفت ان النصارى يعبدون عيسى وامه وان طائفة من الناس يعبدون الملائكة؟ أفليس هؤلاء مع الالهة في النار؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا ، فضجت قريش وضحكوا ، قالت قريش خصمك ابن الزبيري فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قلت الباطل اما قلت : الا من استثنى .

... «مبعدون» عابدين ومعبودين ، وسابق الحسنى وسابغة الأحرى هو للملائكة والنبين ، من عبدوا من دون الله وسواهم على سواء ، فانما حصب جهنم هو للدّاعي الى نفسه كإله ، والمتقبل ان يعبد من دون الله وان لم يدع الى نفسه صراحا ، والعايد من دون الله ، فذلك

. الله وهو قوله تعالى : ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيستها وهم فيما اشتتت أنفسهم خالدون ، وقوله : حصب جهنم يقول يقذفون فيها قذفا وقوله : ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ «ويعني الملائكة وعيسى بن مريم (عليهما السلام).

وفيه عن قرب الاسناد للحميري بإسناده الى أبي عبد الله (عليه السلام) عن أبيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان الله تبارك وتعالى يأتي يوم القيامة بكل شيء يعبد من دونه من شمس او قمر او غير ذلك ثم يسأل كل انسان عما كان يعبد فيقول كل من عبد غير الله : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ، قال : فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة اذهبوا بهم وبما كانوا يعبدون الى النار ما خلا من استثنيت فأولئك عنها مبعدون.

واخرج مثله في الدر المنثور ٤ : ٣٣٨ بالفاظ عدة يجمعها ذلك الاستثناء ، ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال جاء ابن الزبيري الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : تزعم ...

وفي تفسير البرهان ٣ : ٧٢ عن محمد بن العباس عن النعمان بن البشير قال : كنا ذات ليلة عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) سمارا إذ قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ فقال : انا منهم وأقيمت الصلاة قريب وهو يقول : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَتَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ ثم كبر للصلاة ، ورواه ايضا صاحب كشف الغمة عن النعمان بن بشير.

وفي تعليقات احقاق الحق ٣ : ٣٩٠ عن أبي حيان الاندلسي وروي ان عليا كرم الله وجهه قرء هذه الآية ثم قال : انا منهم (بحر المحيط ٢٦ : ٣٤٢) ومن أخرجه الترمذي في مناقب مرتضوي (٥٩) والآلوسي في روح المعاني ١٧ : ٨٩ والبيضاوي ٣ : ١٠٠.



الثالث المنحوس ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ثم سائر اهل النار يتحصنون بهم اتقادا في النار ، حيث يتحسبون منهم أتباعا.

﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ هم السابقون والمقربون وشطر من اصحاب اليمين الداخلين الجنة بغير حساب ، مبعدين عن النار على طول خطها في البرزخ والاخرى ، ثم بين من هم حصب جهنم والسابقة لهم الحسنى ، درجات ودركات لم يذكروا هنا وهناك.

والحسنى السابقة ، منها الصابغة لهم استجابة لربهم : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ (١٣ : ١٨) وهي الصابغة لهم الحسنى الأخرى كما هنا وفي سواها : ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٥٣ : ٣١).

وهي الحياة الحسنى الموعودة لهم سابقة فقد ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ واقعا هنا ووعدا لما هناك.

ولماذا «مبعدون» وهي تلمح بدخولهم فيها ثم إبعادهم عنها؟ علّه لأنه ﴿إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (١٩ : ٧٢).

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ ١٠٢.

والحسيس هو الصوت المحسوس من زفير وشهيق ، ولكنهم وهم واردوها مع أهلها كما لا يعذبون بجرها ، كذلك ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ ثم ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ عند ورودها وخروجها ودخول الجنة ، دون اي سغب ولا لغوب.

﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ١٠٣.

ومن الفرع الأكبر ما يطم كل اهل الحشر في النفخة الاولى : ﴿وَيَوْمَ

يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿٢٧ : ٨٧﴾ وذلك  
 فزع الصعقة للأرواح موتا ام غشية : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (٣٩ : ٦٨) ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ  
 مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ  
 عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٣٣ : ٢٠١).

فلاهم . وهم ممن شاء الله . لا يفرعون ولا يصعقون في تلك النفخة ولا يعذبون بعداها  
 الشامل إذا ف ﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ بل و ﴿تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقيامه الإحياء في  
 النفخة الثانية ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ «فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه  
 وطاش لله وذكر ذنبه وشغل بنفسه الا ما شاء الله» (١).

قائلين لهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وهذه الحياة المشرقة فيه هي من الحسنی  
 السابقة لهم.

ليس فقط انه ﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ بل ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٦١ في ارشاد المفيد ولما عاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبوك الى المدينة  
 قدم عليه عمرو بن معد يكرب الزبيدي فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اسلم يا عمر ويؤمنك الله من  
 الفزع الأكبر فقال : يا محمد وما الفزع الأكبر فاني لا أفزع؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : انه ليس كما تظن  
 وتحسب ان الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت الا نشر ولا حي الا مات الا ما شاء الله ثم يصاح بهم  
 صيحة اخرى فينشرون من مات ويصفون جميعا وتنشق السماء وتهد الأرض وتخر الجبال وتزفر النار بمثل الجبال شررا  
 فلا يبقى ذو روح الا انخلع قلبه وطاش لبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه الا ما شاء الله فأين أنت يا عمر ومن هذا؟  
 قال : الا اني اسمع امرا عظيما ، فأمن بالله ورسوله وآمن معه من قومه ناس ورجعوا الى قومهم.

خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٢٧ : ٨٩﴾.

فلا الموت عن الحياة الدنيا يفزعهم لأنه لقاء الله ، ولا النفخة المفزعة المصعقة تفزعهم او تصعقهم ، لأنهم ممن شاء الله ، ولا اي فرع يَوْمَئِذٍ ، فانما ﴿تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ بكل سلام ووثام الى يوم الله.

«فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره ، رافق بهم رسله ، وأزاورهم ملائكته ، وأكرم اسماعهم عن أن تسمع حسيس نار ابدا ، وصان أجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾»<sup>(١)</sup>.

وفي ظل ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ «المتحابون في الله في ظل الله يوم لا ظل الا ظله على منابر من نور يفزع الناس ولا يفزعون»<sup>(٢)</sup>.

ف ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ .. وتراه اي يوم «يومكم ..» و «لا يحزنهم؟ انه :

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ١٠٤ .

وذلك يوم قيامة الامامة ، فإذا لا يحزنهم ذلك الفرع العام الطام لأهل

(١) نهج البلاغة عن الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام).

(٢) الدر المنثور ٤ : ٣٤٠ . اخرج الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ... واخرج البزار وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للمهاجرين منابر من ذهب يجلسون عليها يوم القيامة قد امنوا من الفرع ، واخرج الطبراني عن أبي امامة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال بشر المدلجين في الظلم بمنابر من نور يوم القيامة يفزع الناس ولا يفزعون.

الحشر لأنهم ممن شاء الله فبأحرى الا يحزنهم الأفراع التي بعده في مسارح الحساب والجزاء.  
وطي السماء هو نقض بنيتها وإعفاء جملتها عن صورتها ، حيث تطوى حتى تجتمع  
بعد انتشارها ، وتتقارب بعد تباعد أقطارها ، فتصبح كالسجل المطوي وهو ما يكتب فيه ،  
والكتب هنا جمع الكتابة.

إذا نطوي أوراق السماء المتفرقة المتباعدة بما كتب عليها من كواكب ، نطويها للكتب  
جديدا ، لا طيا فيه القضاء التام الحاسم على السماء بكتبها ، فلأخرى سماء كما للأولى ،  
ولسمااء الاخرى كتب كما للأولى بل هي احسن وأحرى ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣٩ : ٦٧).

وقد يحتمل ان الكتب هنا كما في غيرها هي المكتوبات ، فالسجل هو الصحيفة  
المكتوبة هي فيها ، إذا طويت انطوت بطيها كتبها عن الشهود ، وهي في الغيب لا تخلو عن  
وجود ، فكما السجل المطوي لا ينعدم ، وكتبها لا تنمحي عن الوجود ، كذلك سجل  
السماء بكتبها الأنجم ، وكتبها الأعمال المسجلة عليها ، المستنسخة فيها ، انها لا تنمحي ،  
فمهما تنمحي صورة الكون ، ولكن صور الأعمال باقية في سجلات الكون ، حيث  
سجلت فيها للشهادة يوم يقوم الأشهاد<sup>(١)</sup>.

وعلى «السماء» هنا هي صيغة اخرى عن الكون كله ، فانها مطلق

(١) تفسير البرهان ٣ : ٧٥ ابن بابويه بسند عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : ان في الهواء ملكا يقال له  
إسماعيل على ثلاثة آلاف ملك كل واحد منهم على مائة ألف يحصون اعمال العباد فإذا كان رأس السنة بعث الله  
إليهم ملكا يقال له السجل فانتسخ ذلك منهم وهو قول الله تبارك وتعالى : يوم نطوي السماء كطي السجل  
للكتب.

الجو الحامل للكرات ، والأرض كسائر الكرات من المعلقات في جو السماء .  
 والمعنيان . عليهما . معنيان ، فالطيّان إذا مرعيّان ، وذلك يناسب الحالة الطليقة في أسلوب القرآن ، وهما يناسبان هنا ادب اللفظ وحذب المعنى ! .  
 آيات ثلاث بين اضربها تقرر ان هناك مضاهاة بين العود والبدء ، فكما كان أوّل خلق من الإنسان . وهو آدم . ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ كذلك ثاني خلقه .  
 وكما الإنسان الأوّل خلق من صلصال من حماء مسنون ( ١٥ : ٢٦ ) ومن طين لازب ( ٣٧ : ١١ ) كالفخار ( ٥٥ : ١٤ ) وكل ذلك دون تحوّل للتراب منيا ثم جنينا ، ودون نسل من صلب ومكوث في رحم ، بل هو قفزة من تراب الى انسان تسلا في سلالات ، فكذلك خلقه ثانيا في المعاد ، حيث يعاد كلّ من طينه كما يناسب العدل والحكمة الإلهية وقضية الحساب والجزاء والخلود .

فأصل القفزة في المعاد للمعاد كما الإنسان الأوّل ، والتسلل فيها كما يخلق كل انسان ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ ( ٢٣ : ١٣ ) ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ ( ٣٢ : ١١ ) .  
 فسلالة الماء المهين هي النطفة الجرثومية المتسللة عنه ، فليكن كذلك العود طبق البدء في صورتيه ، قفزة في التحول ، وتسلا عن ترابه .

إذا فالمعاد في المعاد هو نفس النطفة التي خلقت منها ، بما معها من الاجزاء الاصيلية التي تعيشها طول حياتها ، وقد نمتّها فطمتّها وأتمتّها جنينا

حتى ﴿أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم وكما بدأنا عراة حفاة كذلك الاعادة حيث «استبدلوا بظهر الأرض بطننا وبالسعة ضيقا ، وبالأهل غربة ، وبالنور ظلمة ، فجاءوها كما فارقوها حفاة عراة ، قد ظعنوا عنها بأعمالهم الى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ١٠٥.

بشارة عظيمة في إشارة تحملها هذه الكريمة بين الكرميات الى الدولة الاسلامية الاخيرة العالمية ، وعدا من الله محتوما لا حول عنه كما ﴿وَعَدَ اللَّهُ

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٤٠ . اخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال يبعثهم الله يوم القيامة على قامة آدم وجسمه ولسانه السريانية عراة صفاة عزلا كما ولدوا» أقول : المصدق منه الجملة الاخيرة واما قامة آدم ولسانه فلا اللهم ان يعني كما خلق آدم من تراب.

(٢) نهج البلاغة عن الإمام علي امير المؤمنين (عليه السلام) وفي المجمع ويروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : تحشرون يوم القيامة عراة حفاة عزلا (جمع الأعزل وهو الذي لم يختن) ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

وفي الدر المنثور ٤ : ٣٤٠ . اخرج ابن جرير عن عائشة قالت دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعندي عجوز من بني عامر فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذه العجوز يا عائشة؟ فقلت : احدى خالاتي ، فقالت ادع الله ان يدخلني الجنة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان الجنة لا يدخلها العجوز فأخذ العجوز ما أخذها فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان الله ينشئهن خلقا غير خلقهن ثم قال : تحشرون حفاة عراة غلغا ، فقالت : حاش الله من ذلك فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلى ان الله تعالى قال : كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ...

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي  
شَيْئًا .. ﴿٢٤ : ٥٥﴾.

فذلك وعد للحياة الدنيا في عاقبتها ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٨ : ٨٣) وكما وعدوا  
كذلك ميراث ارض الجنة طبقا عن طبق : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا  
الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ (٣٩ : ٧٤) ف ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ  
الْفِرْدَوْسَ﴾ (٢٣ : ١١).

فلا يختص الوعد المكتوب ﴿فِي الرِّبْوِ مِنْ بَعْدِ الدِّكْرِ﴾ فقط ميراث الأرض بعد الموت  
برزخا وأخرى <sup>(١)</sup> كما لا يختص بالحياة الدنيا وان كانت هي الظاهرة من «الأرض» حين  
إطلاقها ، وقد يؤيد الشمول لهما ، تلحيق الآية بالأخرى وقبلها الرجعة الى الاولى : ﴿فَمَنْ  
يَعْمَلْ .. وَحَرَامٌ .. حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ .. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ .. إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
حَصَبُ جَهَنَّمَ .. يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ .. وَلَقَدْ كَتَبْنَا ..﴾ فلتحقق آية الوارثة ل ﴿عِبَادِي  
الصَّالِحِينَ﴾ . ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ كلتا الوراثتين في كلتا النشأتين ، فمهما كانت الاولى هي  
القدر المعلوم من نفس الآية ، ولكن الثانية تلحقها بآيات القيامة وآية الزمر واضرابهما ،  
مهما اختلف ميراث الاخرى عن الاولى في درجات ، ولكنهما يلتقيان في ظاهرة باهرة لدولة  
الايمان ، ولا سيما بين دويلات الكفر التي يقضى عليها في هذه الدولة المباركة الكريمة.

(١) تفسير البرهان ٣ : ٧٥ عن محمد بن العباس بسند عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) في  
الآية قال : آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ومن تابعهم على منهاجهم والأرض ارض الجنة أقول قد يقول  
ارض الجنة بان ارض الدنيا حينئذ تصبح كأرض الجنة ، ام انها تشمل ارض الدنيا الجنة وارض الجنة.

والوراثة الاولى ل **﴿عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾** هي السلطة الطليقة عن أسر الطواغيت بأسرها ، ليلبغ بها «الصالحون» لها كما لا تهم المقدرة لهم في هذه الحياة ، مادية . هي من الذريعة . ومعنوية هي الغاية المعنية في دولة مباركة عالمية ، فلا ينتكسون حيوانا في وسط الحضارة المادية المزخرفة ، ولا يهبطون الى دركات اللاإنسانية المتخلفة ، ولا يتعدون عن مظاهر الحياة متقشفين عن الماديات ، أخلاء لميادين الحياة للشيطانات والفرعنات ، وانما صلاحا تاما طامام كافة جنبات الحياة ، دون ان تزوى عنها شطرات ، جاعلين غير الصالحين في زواياهم منعزلين عن كل حيوية الا صالحة.

ونحن نرى طول التاريخ الرسالي والانساني عدم التوازن والتناسق في الحياة الارضية المرضية ، حيث تشيل كفة من ميزانها وترجح اخرى.

فقد يغلب . تغلبا . على الأرض بكل ثرواتها وبركاتهما جبارون وظلمة وطغاة ، ام همج متبررون غزاة ، ام كفار فجار يحسنون استغلال طاقاتها وثرواتها في الشهوات والحيوانات ، وهي الاكثرية المطلقة في الطول التاريخي والعرض الجغرافي ، فلا تبقي للصالحين رمقا إلا محقا وسحقا ، وهم بين قاصرين لا حول لهم ولا قوة ، ومقصرين متقشفين يرون الحياة انعزالية عن وراثة الأرض.

فحيثما يجتمع صالح الايمان . وهو ايمان القلب . وصالح العمل الجبار في امة صامدة قائمة ، فعندئذ تتحقق وراثة الأرض في كافة الحيوانات الميسورة منها.

ولكن حين يفترقان هذان العنصران ، فالميزان يتأرجف ، فتقع الغلبة للآخذين بالواجهة المادية للحياة ، حين يهمل المؤمنون الأخذ بها ذريعة لتحقيق دولة الايمان ودولته.

ف **﴿عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾** هم الجامعون لكل صلاحيات الحياة



وحسنيها ، إذ لا قوة للإيمان بجنب القوات الكافرة وزخرفات الحياة ، إلا على ضوء دولة  
قاهرة باهرة تخلق على كافة الطاقات الحيوية ، مجتثة جذور الافسادات والشيطنات ، ليخلو  
جو الحياة لتطبيق الحق كما يحق.

تلكم البشارة المسجلة ﴿فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ هي الشاملة للصالحين ورثة للأرض  
، وللطالحين منعزلين عن وراثة الأرض ، وهي كما يعلمه العالمون لم تتحقق حتى الآن ، وحتى  
في زمن المرسلين ، فلها . إذا . ميعاد يأتي .

وترى ما هو الزبور من بعد الذكر ، المكتوب فيه هذه البشارة ، وما هو الذكر؟ .

اللائح من «الزبور» مفردا هو زبور داود تحمله آيات ثلاث ، هذه ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ  
زُبُورًا﴾ (٤ : ١٦٣ و ١٧ : ٥٥) مهما كانت هنالك سبع أخرى في جمعه الجامع لكل الزبر  
(١) وقضية الإفصاح في كتاب البيان القرآن «الزبر» . ان كان المعني من «الزبور» كل الزبر ،  
اضافة الى ان «الذكر» ايضا من الزبر ، تورا ام قرآنا ام سواهما مما زبر من كتابات الوحي .  
و «الذكر» السابق على هذا الزبور هو التوراة ، ولأنه الأصل في الكتابات الاسرائيلية  
، وما تخصيص الزبور بالذكر ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ الا لبالح اهميته بين الكتابات الملحقة بالذكر  
، اللاحقة له ، وان هذه البشارة بينة صريحة في آيات من الزبور .

وقد اطلق الذكر على التوراة في هذه السورة مرتين ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ (٧) .

﴿وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨)

(١) وهي ٣ : ١٨٤ و ١٦ : ٤٤ و ٢٦ : ١٩٦ و ٣٥ : ٢٥ و ٥٤ : ٤٣ و ٥٢ و ٢٣ : ٥٣ .

و ﴿مَنْ بَعْدَ الذِّكْرِ﴾ كما تتعلق بمقدر «الكائن» ولقد كتبنا في الزبور الكائن من بعد الذكر ، كذلك تتعلق ب «كتبنا» فهذه الكتابة تعم الذكر ، ومن ثم . وعلى هامشه . الزبور ، كتبنا في الزبور من بعد ما كتبنا في الذكر .

بشارة مسجلة في كتابات التوراة خاصة وعامة <sup>(١)</sup> ومن بعد «في الزبور» وهو ابعد من التحريفات والتجديفات التي ابتلي بها الذكر ، وقد يعني الذكر هنا كل ذكر سماوي قبل الزبور <sup>(٢)</sup> كما نجد هذه البشارة تصريحية وإشارة في كتابات أخرى قبل التوراة وبعدها ، ولا سيما في «الزبور» .

ام ان «الذكر» هو الذكر الحكيم في اللوح المحفوظ «عند الله» و «الزبور» هو جنسه الشامل لمطلق الزبر السماوية <sup>(٣)</sup> .

وقد يعني ﴿الزُّبُورُ مَنْ بَعْدَ الذِّكْرِ﴾ كل ما ذكر على الترتيب الرتيب ، دون اختصاص بواحدة دون الأخرى ، مهما كان الأولى كل أولى فأولى حسب القرائن المسرودة عندها . وزبور داود ، المخصوص بالذكر هنا ، يحمل تصريحات عدة بشأن وراثته

(١) التوراة الخاصة هي الاسفار الخمسة ، والعامة هي هيه وسائر أسفار الأنبياء من بني إسرائيل .

(٢) البرهان ٣ : ٧٥ القمي في معنى الآية قال قال الكتب كلها ذكر الله ان الأرض يرثها عبادي الصالحون قال قال : القائم (عليه السلام) وأصحابه .

(٣) نور الثقلين ٣ : ٤٦٤ في اصول الكافي بسند عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه سأله عن قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مَنْ بَعْدَ الذِّكْرِ﴾ ما الزبور وما الذكر؟ قال : الذكر عند الله والزبور الذي انزل على داود وكل كتاب نزل فهو عند اهل العلم ونحن هم .

الأرض في الدولة الاخيرة التي يقودها ابنه من بنته : القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف .

وإليكم فيما يلي نصوصا من تلك البشارة الغالية ، تجددو تفاصيلها في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» وهنا نماذج ملتقطة تحلق على كل ذكر في كتابات السماء .

ففي المزمور ٣٧ من الزبور : الا تفر من الأشرار ولا تحسد عمّال الإثم ٢ فإنهم مثل الحشيش سريعا يقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون ٨ كفّ عن الغضب واترك السخط ولا تغتر لفعل الشر ٩ لان عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم ﴿يَرْتُونَ الْأَرْضَ﴾ ١٠ بعد قليل لا يكون الشرير تطلع في مكانه فلا يكون ١١ اما الودعاء ﴿يَرْتُونَ الْأَرْضَ﴾ ويتلذذون في كثرة السلامة ١٢ الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه ١٤ الأشرار قد سلوا السيف ومدّوا قوسهم لرمي المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم ١٥ سيفهم يدخل في قلبهم وقسيهم تنكسر .. ١٨ الرب عارف ايام الكملة وميراثهم الى الأبد يكون .. ٢١ الشرير يستقرض ولا يفني اما الصديق فيترأف ويعطي ٢٢ لان المباركين منه ﴿يَرْتُونَ الْأَرْضَ﴾ والملعونين منه يقطعون .. ٢٩ الصديقون يرتون الأرض ويسكنونها الى الأبد .. ٣٤ انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض إلى انقراض الأشرار تنظر .. ٣٨ لاحظ الكامل وانظر المستقيم فان العقب لإنسان السلامة ٣٨ اما الأشرار فيبادون جميعا ، عقب الأشرار ينقطع ٣٩ اما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم في زمان الضيق» .

هذه آيات بينات مكررات ثمان عدد أبواب الجنة تصرح ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِي﴾

الصَّالِحُونَ﴾ والآية (٣٤) تصرح ان داود (عليه السلام) من

سواعد تلك الدولة المباركة في وراثة الأرض!.

وهذا الفصل فقط من الزبور يحمل أربعين آية كلها تحوم حوم انقراض الأشرار ووراثة الأرض للأخير<sup>(١)</sup>.

وفي المزمور ٧١ : ١ - ٢٠ مواصفات للقائد الأول لهذه الوراثة ومنها ١٧ «يكون اسمه الى الأبد ، ما دامت الشمس ، ينمو اسمه ويتبارك فيه جميع قبائل الأرض وتغبطه كل الأمم .. ١٩ وتبارك اسم مجده الى الأبد ولتتمتلي الأرض كلها من مجده. آمين ثم آمين<sup>(٢)</sup>.

وفي مزمور ٤٥ : ١٨ «يكون بنوك عوضا عن آبائك تقيمهم رؤساء على جميع الأرض».

وفي «أهونودغات» في يسناكاتھا ٤٨ : ٢ - ١١ : الترجمة الحرفية عن الأصل البهلوي الاوستائي<sup>(٣)</sup> : «عرفني يا أهورامزدا! (الله) هل ان قبل القيامة يوم الجزاء المحتوم سوف يهزم أتباع الصدق أتباع الكذب فإنه حقا بشارة حسنة لهذا العالم.

وفي يسناها ٣٠ : ١٠ بعد استرجاء الحياة الجديدة في آخر الزمن يقول «وفي ذلك الزمان ينكسر عالم الكذب بفلاح الصدق ، وكذلك في عالم الخير (القيامة) ..».

وفي يسناها ٤٦ : ٣ «متى يا مزدا (الله) يصلنا أول النهار ، الشريعة

(١) راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢) راجع رسول الإسلام ٢٢٩ - ٢٣٣.

(٣) نقلنا عن الترجمة الفارسية عن الأصل للاستاذ بور داود أستاذ اللغة الاوستانية في جامعة طهران.

الصادقة تشمل وتعم الكون .. للإنباء والإعلان بعثتك»<sup>(١)</sup>.  
وهنا آيات توراتية تدلنا على اجتماع كافة الأمم في آخر الزمن ، وليس ذلك إلا عند وراثة الأرض للصالحين.

ففي سفر التكوين ٤٠ : ١٠ «لا تنهض عصي السلطنة من يهودا ولا الحكم من بين رجليه حتى يأتي شيلوه الذي يجتمع فيه كافة الأمم».

وذلك الاجتماع أمر واقع لا مردّ له ، دون ان يكون أملا لا يتحقق ، فانه يعم اولي العزم من الرسل كافة دون اختصاص ب «شيلوه» وفي التراجم العربية ١٧٢٢ و ١٨٢١ و ١٨٤٤ فسر «شيلوه» ب «الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم» وهذا هو حقا رسول الإسلام الذي تجتمع الأمم في دولة المهدي القائم من آله<sup>(٢)</sup>.

وفي دانيال ٢ : ٤٤ «وفي ايام هؤلاء الملوك يقيم آله السماء مملكة لا تنقض الى الأبد وملكه لا يترك لشعب آخر فتسحق وتفني جميع تلك الممالك وهي تثبت الى الأبد ، وفي الآية (٢٩) يعبر عنها بمملكة رابعة تكون صلبة كالحديد لان الحديد يسحق ويطحن كل شيء فكما ان الحديد يحطم كذلك هي تسحق وتحطم جميع ذلك.

وفي دانيال ٧ : ٢٧ «ويعطى الملك والسلطان وعظمة الملك تحت السماء بأسرها لشعب قديسي العلي وسيكون ملكه ملكا ابديا ويعبد جميع السلاطين ويطيعونه».  
وفي حبقوق ٣ : ٦ . ٣ «الله من جبل فاران يأتي ابديا. غطى جلاله

(١) راجع رسول الإسلام ٢٠٩ . ٢٢٢ . واوست يعزى الى زردشت لما قبل ستين قرنا وهو خليط من تعليمات ابراهيمية من صحفة وزيادات من زردشت ام سواه.

(٢) راجع رسول الإسلام ٢٣ . ٢٧ .

السموات وامتألت الأرض من تسبيحه ٣ شعاعه كالشمس وشع من يمينه النور وهناك استتار قوته ٥ وقف ومسح الأرض وأذاب الأمم وتبددت الجبال القديمة وخسفت وانحنت آكام وأتلال القدم مسالك الأزل له»<sup>(١)</sup>.

وفي إنجيل متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦ يذكر قيام المهدي (عليه السلام) قائلا : ٣١ ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة معه فحينئذ يجلس على عرش مجده ٣٢ وتجمع لديه كل الأمم فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء ٣٣ ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره ٣٤ حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي خالقي ورثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم .. ٤١ حينئذ يقول أيضا للذين عن يساره ، اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لإبليس وملائكته ...»<sup>(٢)</sup>.

وفي اشعيا ١١ : ٩ بعد ما يذكر ميزات لذلك الزمن يقول «لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر ١٠ وفي ذلك اليوم اصل يسي القوائم راية للشعوب إياه تترجى الأمم ويكون مثواه جيدا» وفيه ٦ : ٢١ «ويكون شعبك كلهم صديقين والى الأبد يرثون الأرض ...».

وفي إنجيل متى ٢٥ ... ٣٢ وتجمع لديه كل الأمم .. ٣٤ حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي خالقي ورثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم ...».

هذه نماذج يسيرة من هذه البشارة والتفصيل راجع الى رسول الإسلام.

ثم «الأرض» هي الأرض كلها بكافة سلطاتها الروحية والزمنية حيث

(١ ، ٢). راجع رسول الإسلام ٤٦ - ٥٣.

تلتقيان في زعيم الدولة الاخيرة ، ثم آخرون من أضرابه الذين يجمعهم ﴿عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله سنادا الى الآية «فنحن الصالحون»<sup>(١)</sup> فانه يرأسهم يوم الدنيا ويوم الدين ، و «هم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)»<sup>(٢)</sup> و «هم اصحاب المهدي في آخر الزمان»<sup>(٣)</sup> فهم . إذا . كل صالح ليكون من أعضاء هذه الدولة المباركة واعضادها من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، بمختلف درجاتهم .

### ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ ١٠٦ .

«هذا» هنا هو إرث الأرض للصالحين ، وطبعا فيه بلاغ لقوم عابدين ، حيث يأخذون حريتهم وحيويتهم الطليقة الايمانية في ذلك الزمن . وذلك البلاغ يدفع قوما عابدين للصمود في عبادة الله مهما بلغت بهم الصعوبات ، ناظرين بلوغهم الى ذلك الزمن ، فلذلك يحضرون أنفسهم ليكونوا من أعضاء تلك الدولة الكريمة ، دون تقشّف وتقايس عن القيام بواجباتهم الجماعية سياسية وثقافية واقتصادية وعسكرية أمّا هيه ، وكما أمرهم الله : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ..﴾ . فلقد جاءت هذه الرسالة الاخيرة كتابا مفتوحا للعقول المتفتحة ،

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٤١ . اخرج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله تعالى : ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ فنحن الصالحون .  
(٢) تفسير البرهان ٣ : ٧٥ عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال : هم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .  
(٣) المصدر عنه (عليه السلام) في الآية هم اصحاب المهدي في آخر الزمان .

شاملة لكافة الأصول الحيوية البنائة للحضارة الحقيقية المرضية ، واضعة اصول المنهج الدائم للحياة الانسانية المتجددة ، كافلة للعقل الانساني حرية العمل بكفالة حقها في التفكير الطليق.

ومن قيم هذه المنهجية الحيوية انها متوازنة متناسقة ، لا تعذب الجسد لتسمو بالروح ، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد ، ولا تقيد الفرد . فقط . لتحقيق مصلحة الجماعة او الدولة ، ولا تطلقه في نزواته وشهواته الطاغية لتؤدي الجماعة ، ولا تقيد . كذلك . الجماعة لخدمة الفرد ، بل يستخدم كل فرد فرد لصالح نفسه ولصالح الجماعة على سواء . وهذه هي المصلحة الالابقة اللاتئة لتأسيس الدولة العالمية ، من عباد صالحين ، و

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ١٠٧ .

وتلك الرحمة العالمية الرسالية لا تطبق إلا على ضوء دولة عالمية ، ولكي ينتفع منها العالمون اجمع ويستظلوا في ظلها ، حين تذوب الفوارق الجغرافية والجنسية والعنصرية والطائفية اما هيه تحت رعاية هذه الدولة الاخيرة الاسلامية العالمية ، وذلك من المعني لقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٤٨ : ٢٨) ، حيث الظهور الغلبة على الدين كله ، وهو الطاعة كلها ، ان ذلك يتخطى الأمل الى العمل وليس الا في دولة القائم (عليه السلام).

صحيح ان كل رسالة مستقلة هي عالمية الاتجاه والرحمة مبدئيا ، ولكنها . وحتى الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) ما حلت زمن رسوها وأتمتها . إلا الغائب . على العالمين ككل ، وليس ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ غاية خيالية غير واقعية ، بل ان لها واقعها في مستقبل الزمن.



لا بد في ذلك الزمن ان يتأثر العالمون أجمعون بتلك الرحمة طوعا او كرها ، ليستروحوا فيها نسائم السماء الرخية في هجير الأرض المحرق المطبق ، كلما ازدادوا تخلفا عن الشرعة الإلهية ، يلمسون حاجة أكثر بهذه الرحمة.

ومن آيات تخليق هذه الرحمة الرسالية على واقع العالمين مستقبلا ، ان ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ تختص بهذا الرسول دون سواه كما النذارة المحمدية عالمية بواقعها ، لا فقط في مغزاها ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٢٥ : ١) ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣٨ : ٨٧) و «العالمين» مكررة في القرآن (٧٣) مرة ، وهم جموع المكلفين ولا اقل من ثلاثة مهما لم نعرف حتى الآن الثالثة ، وتلك النذارة الذكر الرحمة تصلهم . يوما مّا . أجمعين ، ولم تصل لحد الآن كافة الناس وحتى نذارته ، فضلا عن واقع رحمته ، التالية لتأثير نذارته!.

وقد يروى عن رسول الرحمة ومضات من تلك الرحمة العالمية وكما يقول «انما انا رحمة مهداة» <sup>(١)</sup> ولأنه كله رحمة ما كان يلعن أحدا من الطاغين قائلا «ان الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين» <sup>(٢)</sup> وإذا «قيل يا رسول الله الا تلعن قريشا بما أتوا إليك؟ قال لم ابعث لعانا إنما بعثت رحمة

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٤٣ . اخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... وفي الجمع روى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لجبرئيل لما نزلت هذه الآية هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال : نعم اني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لما اتى الله علي بقوله : ذي قوة عند ذي العرش مكين «وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : انما انا رحمة مهداة.

(٢) المصدر اخرج ابو نعيم في الدلائل عن أبي امامة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

يقول الله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله ،  
اللهم انا نشكو إليك فقد نبينا وغيبته ولينا وشدة الفتن بنا وتظاهر الزمان علينا ، اللهم  
فسهل مخرجه واجعلنا من أنصاره وأعوانه آمين.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۖ ١٠٨ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ  
آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنِ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ ١٠٩ .

فالتوحيد والتوحيد فقط هو العنصر الموحد الوحيد في تلك الرسالة الاخيرة المكملة لما  
قبلها ، ومنه تنبثق الرحمة العالمية في كافة الجهات والجنابات ، انقاذا للعالمين من أوهام الجاهلية  
الجهلاء ، ومن أثقال الوثنية الحمقاء ، ومن ضغوط الخرافات الجارفة العمياء .  
التوحيد الذي يربط الكائنات كلها إلى بعض ، ويربطها الى الله الواحد القهار ،  
ويوحد كافة الفعليات والانفعاليات دون أية شتات واختلافات واختلاقات .  
ذلك هو طريق الرحمة العالمية ، وملتقى النعمة الشاملة للعالمين ، الذين يتبناها دين الله  
كله ، وشرعة الله كلها .

هنا «إنما .. أنما» حصر على حصر يحصران ما يوحى الى الرسول في ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ  
وَاحِدٌ﴾ توحيدا اكيدا يخلق على الدين كله ، مما يتفرع عليه او ينحل اليه ام يتبناه عقائديا  
وعمليا وقوليا وفي كافة الأمور المختارة ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لذلك الوحي ام معرضون؟ .  
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ بعد كافة الحجج على التوحيد «فقل» لهم «آذنتكم»

(١) المصدر اخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال قيل يا رسول الله الا تلعن ...

اعلاما مجازا بالوحي بحق التوحيد وبمصير الذين يقولون عنه «على سواء» حيث شملتكم الحجة فيها على سواء دون تمييز ولا تبعيض ، وإذا أنتم تتساءلون متى هذا الوعد ف ﴿إِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ إذ لم يوح الي الا أصله دون أمدّه وفصله ، سواء أكان وعدا لعذاب الاستئصال هنا ، ام لعذاب البرزخ بالموت ، ام عذاب الآخرة بقيام الساعة مهما كانت قريبة نسبيا ، فهذه الساعات الثلاث غيب إلا ما أظهره الله ، ولم يظهر لي إلا اصل «ما توعدون» فانه غيب من غيب الله لا سواء إلا من أعلمه إياه.

فطالما الإيدان متعود في الحرب كإعلام الإنذار لفترة السلم الاختبار ، ولكنه هنا في العهد المكّي حرب باردة في جبهة الإحتجاج المنذر ، فالقصد منه . إذن . انني قد نفضت يدي منكم ، وتركتمكم على علم بمصيركم في مسيركم.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ ١١٠ .

﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ . وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ ، من قول أو نية أم فعل ، على سواء ، ف ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٣ : ١٠).

فأمركم مكشوف له كله ، يعذبكم على علم وحكمة او يرحمكم على علم وحكمة دوغما فوضى جزاف.

﴿وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ١١١ .

وذلك اللادري هنا بارقة أمل لهم علّهم يفيقون عن غيهم فيرجعون ، علّ الله يحدث بعد ذلك الإيدان امرا بغير إمرا ، إن أحدثتم أنتم أمرا فيه نجاتكم ام لأقل تقدير ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ تأجيلا لعاجل العذاب الى

مستقبل من حياة التكليف ، ام بعد الموت <sup>(١)</sup>.

فهو بذلك التجهيل تأجيلا وتعجيلا يلمس قلوبهم المقلوبة لمسة قوية ويذرهم يتوقعون كل احتمال ، وتوقع العذاب على غير موعد محدد مضروب يترك النفس متوجسة ترتقب في كل لحظة لحظة ما توعدت من عذاب ، ام ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ تأجيلا له فتنة وابتلاء فالى رحمة ام مزيد عذاب.

ولما وصلت حالته الدعائية في بلاغه لهذا الحد الحديد المديد ، هنا يتركهم مؤديا أمانته ، متوجها الى من حمله إياها ، ملتمسا منه متطلبا :

﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ١١٢.

﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ بيني وبين هؤلاء المكذبين ، حكما لي بما بلغت الرسالة كما حملت ، وحكما عليهم بما كذبون ، حكما عينيا بما كانوا يوعدون ، كما حكمت بوحى من قبل ، حكما يطبق ما حكمت.

وقد كانت الأنبياء تقول في نهايات الأمور ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ فاستن الرسول بسنتهم في قوله ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ طلبا لإنجاز الوعد الحق ، وقد كان إذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق» <sup>(٢)</sup>.

---

(١) الدر المنثور اخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٦٧ في عيون الاخبار في باب جمل من اخبار موسى بن جعفر مع هارون الرشيد ومع موسى بن المهدي حديث طويل يقول فيه رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة الأربعاء في النوم فقال لي : يا موسى أنت محبوس مظلوم ،

هذا . ومن ثم تأكيد للحكم الحق في رجعة اخيرة إليهم ﴿رَبُّنَا الرَّحْمَنُ﴾ صاحب  
الرحمات كلها ، «المستعان» لرسله والمؤمنين به ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ فلا يعجز عن عونهم ولا  
يخلف الميعاد.

ويا لهذه السورة ختاماً كما بدأت ، تجاوباً في طرفيها بإيقاع نافذ باهض وبينهما  
حجاجات من حملة الرسالات ، ثم تصديقات من كتلة مؤمنة ومن الآخرين لجججات.

---

. فقلت : نعم يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محبوس مظلوم فكرر ذلك علي ثلاثا ثم قال : وان ادري  
لعله فتنة لكم ومتاع الى حين.

وفيه عن الاحتجاج للطبرسي وروى انه لما قدم معاوية الى الكوفة قيل له ان الحسن بن علي (عليهما  
السلام) يرتفع على انفس الناس فلو امرته ان يقوم دون مقامك على المنبر فتدركه الحداثة والعي فيسقط من أعين  
الناس ، فأبى عليهم وأبوا عليه الا ان يأمره بذلك فأمره فقام دون مقامه في المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال : اما  
بعد فانكم لو طلبتم ما بين كذا وكذا لتجدوا رجلا جده نبي لم تجدوه غيري وغير اخي وانا أعطينا صفقتنا هذه  
الطاغية . وأشار بيده الى أعلى المنبر الى معاوية . وهو في مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورأينا حقن  
دماء المسلمين أفضل من إهراقها ﴿وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وأشار بيده الى معاوية فقال له  
معاوية : ما أردت بقولك هذا! فقال : أردت به ما أراد الله عز وجل.



## الفهرس

- «سورة طه» محتملات حول آياتها الثلاث الأولى ..... ١٧ - ١٠
- العرش وما تحت الثرى بمختلف الأبعاد . السروما أخفى . الأسماء الحسنى ..... ٣١ - ٢٩
- «فاخلع نعليك» في وجوه ستة ، مذياع النداء لموسى وكيفيتها؟ ..... ٤٦ - ٣٥
- إختيا موسى ، «أقم الصلاة لذكرى» في ٢٤ وجهاً ، و «أكاد أخفيها» في وجوه ..... ٦٣ - ٥٦
- عصى موسى في حلقات ، لماذا «سيرتها الأولى» دون صورتها؟ ..... ٧١ - ٦٣
- أسئلة موسى المستجابة ، تشابه وزارتي هرون وعلى للرسولين ..... ٨٧ - ٧٣
- الوحي إلى ام موسى؟ وآخر إلى اليم والساحل ، ورابع لفرعون وأهله ، حفاظاً على موسى «ولتصنع على عيني» كيف «أعطى كل شيء خلقه» وليس قبل الخلق شيء! ..... ١٢١ - ١١٧
- كيف «أوجس في نفسه خيفة موسى» وهو رسول الهدى؟ ..... ١٣٧ - ١٣٦
- هل إن «جهنم لا يموت فيها ولا يحيى» دليل على الخلود الانهائي؟ ..... ١٤٧ - ١٤٥
- لماذا أعجل عن قومه موسى؟ وقصة عجل السامري وأثر الرسول ، والمحااجة المثلثة الزوايا فيها ..... ١٨١ - ١٥٩
- كلام حول الشفاعة ..... ١٩٧ - ١٩٤
- ما هي عجلة الرسول بالقرآن قبل قضاء وحيه إليه؟ ..... ٢٠٣ - ١٩٩
- نسيان آدم لعهد الله وعصيانه إياه ..... ٢١٥ - ٢٠٣

- ما هي المعيشة الضنك والعمى لمن أعرض عن ذكر الله..... ٢١٩ - ٢٢٢
- أوقات الفرائض ..... ٢٢٤ - ٢٢٦
- «سورة الأنبياء» كيف اقترب للناس حسابهم وموسى الساعة الحساب مجهولة؟ حدوث كلام الله..... ٢٣٨ - ٢٤١
- قضية البشرية السارية المفعول في الرسل بلا أخطاء ..... ٢٤٥ - ٢٤٧
- العروبة . كما سواها . المنفصلة عن القرآن . في دار البوار ..... ٢٤٨ - ٢٤٩
- بحث عريق فلسفي حول «لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا» ..... ٢٥٨ - ٢٦٣
- على ضوء «لا يسأل عما يفعل ..»..... ٢٦٣ - ٢٦٩
- كيف «لا يسبقونه بالقول» «وقد سبقه الملائكة في سئوالهم؟» ..... ٢٧٤ - ٢٧٥
- «ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى» وابعادها ..... ٢٧٥ - ٢٧٨
- رتق السماوات والأرض وفتقهما في قول فصل . حياة كل حيّ من الماء ..... ٢٨١ - ٢٩٢
- ذوق الموت لكل نفس ، والنفوس سواها المستثناة عنها ..... ٢٩٥ - ٢٩٩
- ما هي «الموازن القسط»..... ٣٠٧ - ٣٠٩
- هل كذب إبراهيم في «بل فعله كبيرهم هذا؟!» ..... ٣٢٢ - ٣٢٤
- كيف كوّنّت النار برداً وسلاماً؟ إسحاق ويعقوب نافلة ، أئمة يهدون بأمرنا... ٣٢٦ - ٣٣٥
- كيف «فهمناها سليمان» دون أبيه داوود؟..... ٣٣٧ - ٣٤١
- ماذا يعني «ومثلهم معهم» فيما أوتيّ أيوب اهله؟..... ٣٤٤ - ٣٤٥
- «فظن أن نقدر عليه. إني كنت من الظالمين» كيف يلائمان الرسالة؟..... ٣٤٥ - ٣٥١
- مريم وابنها آية واحدة؟..... ٣٥٢ - ٣٥٣
- أمة واحدة برسالة واحدة؟..... ٣٥٥ - ٣٥٨
- .. إنهم لا يرجعون. حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ، هل تعني الرجعة؟ ..... ٣٥٨ - ٣٦٤
- «إن الأرض يرثها عبادي الصالحون» في الزبوروسائر الكتب ..... ٣٧٣ - ٣٧٤